دكتورة رمزية الغريب

العلاقات الإنسانية
في حياة الصغير ومشكلاته اليومية

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

إهـــــــداء2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

دكتورة رمزية الغريب

العلاقات الإنسانية
في حياة الصغير ومشكلاته اليومية

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

الإهداء

إلى

ابني هشام

مقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة العلاقات الانسانية فى حياة الأطفال منذ ولادتهم حتى نهاية مرحلة الطفولة (حوالى سن الحادية أو الثانية عشرة) دراسة تحليلية و بيان أثر هذه العلاقات الإنسانية على نموهم النفسى وتكامل شخصيتهم وسلامتها ، وذلك لمساعدتهم على التكيف السليم للوسط الذى يعيشون فيه ، ولتتبين أنماط السلوك الطبيعى والمنحرف أو المشكل الذى يعرقل هذا التكيف ، فكلنا يعلم أن الطفل منذ ولادته يصبح عضوا فى مجتمع صغير هو الأسرة ، وأن حياته فى هذا المجتمع عملية تربوية متصلة الحلقات بحيث يكسبه كل احتكاك له بالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها مهارة اجتماعية ، كما يكسبه معرفة وخبرة وميولا واتجاهات ، هذه الخبرات والاتجاهات قد تساعد على تكيفه واطراد نموه ، وقد تكون عادات واتجاهات سالبة تعوق هذا التكيف وتعطله بدلا من أن تعمل على اطراد نموه الطبيعى ، ومعنى ذلك أن العلاقات الانسانية الأولى للطفل مع أسرته ستحدد إلى درجة كبيرة بالاشتراك مع ما يملكه من قدرات واستعدادات ، أى فرد سيكون فى مستقبل حياته .

ولما كنا كآباء وأمهات ومعلمين ننظر إلى أبنائنا وهم لا زالوا صغاراً نظرة ملؤها الأمل والتفاؤل ونتصورهم رجالا ونساء يفخر بهم الوطن ، كان من واجبنا أن نعمل فعلا على تحقيق هذه الصورة التى نتخيلها لهم ، وهذا لا يتطلب منا أن نوفر لهم المأوى والملبس والمأكل فقط أو أن نكتفى بأن نقيس نجاحنا فى تربيتهم بنجاحهم فى التحصيل المدرسى وحده أو حتى فى النجاح المهنى ، وإنما علينا واجب لا يقل أهمية عن ذلك ، بل هو فى نظرى من أهم حاجاتهم الواجبة الاشباع ، ألا وهو أن نوفر لهم المحبة والعطف الذى يشبع حاجتهم إلى الشعور بالأمن والاستقرار النفسى ويجنبهم الخوف والقلق والشعور الشديد بالحرمان والتعاسة إذا لم تشبع تلك الحاجة ، وهكذا نساعدهم على أن يشبوا رجالا ونساء سعداء فى علاقاتهم الانسانية اكفاء فى عملهم ، أصحاء نفسيا وجسميا ، كما نعدهم لمقابلة عالم الواقع بمسؤلياته وأفراحه وأتراحه ومتاعبه دون التعرض للخوف والقلق وضعف الثقة فى النفس ، ودون التوتر النفسى والتعاسة التى تؤثر تأثيرا سيئا على صحتهم النفسية ، فنربيهم على الترحيب بالنجاح والسعى له دون استهتار وغزور ، وعدم التبرم بالفشل المؤقت واعتبار التجربة الفاشلة خبرة تربوية ممهدة للنجاح ، نعم نريد من أبنائنا أن يؤمنو بالابيات القليلة الآتية . —

نحن قـــوم لا نرى فينـا يؤوسا أو عبوسا
قـــد عجمنا الدهر عودا وشربناه كؤوسـا
إن خسرنا فى أمور لا نرى الخسران بوسا
إنما الخسران أمر نستقى مـــنه دروسا
هل عرفنـا السلم إلا بعد ما خضنا الضروسـا[1]

والحق يجب علينا أن نعلم أن تربية الطفل الصحيح الجسم والنفس ليس من المشكلات العويصة التى من الصعب علينا أن نحلها ونسبر غورها ، بل على العكس إن الامومة والأبوة انفعالات وعوطف طبيعية يلذ لنا القيام بها ويؤلمنا الحرمان منها . ويجب ألا ننسى أن ما قد نسببه لأبنائنا من مشكلات ومتاعب لسوء معالجتنا لأمورهم يأتى عن غير قصد منا ، ويمكن تجنبها اذا كان لدينا بصيرة ببعض المبادئ الأساسية لتربية الأطفال ، واذا عرفنا أن عملية التربية المطلوبة عملية نمو بطىء وتدريجى فى معظم الحالات وتحتاج الى بعض الوقت والصبر ، وأن لكل طفل طريقته الخاصة فى النمو ومعدله الخاص به والذى يتسق مع استعداداته المختلفة ، أمكننا أن نتبين أن من الخطأ أن نفرض عليه معاييرنا كبالغين

(١) من ديوان شعر لم ينشر للأستاذ عبد الحميد لطفى . أستاذ رياضة بحتة بكلية العلوم جامعة عين شمس .

قبل الأوان فنتعجل نموه ونكرهه على أن يفعل ما ليس فى طاقته عقليا أو جسميا . كما أنه ليس من الصواب ألا يقبل كل منا ابنه كما هو وأن يحاول أن يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من حياته ليجبره على أن يتجه بها وجهة معينة تعوضه عما يتوق هو الى تحقيقه ولم يستطع الى ذلك سبيلا .

هذا وقد عنيت بدراسة العلاقات الإنسانية التى يجب أن تسود المجتمع المدرسى واهتممت بعلاقة التلاميذ بعضهم بالبعض الآخر والعوامل التى تزيد هذه العلاقات توثقاً ووضحت كيف أن انتماء الصغير إلى جماعة من نفس سنه من الأمور الضرورية لاطراد نموه وتكامل شخصيته ، كما بينت كيف أن أصدقاء الصغير لهم تأثير كبير على تكوين ذاته العليا ونمو فكرته عن الخير والشر واكتسابه لأنواع مختلفة من السلوك الاجتماعى ، وذلك فضلا عما يجده الصغير بينهم من فرص ترويحية وأخرى للتنفيس عما يشعر به من ضيق بمجتمع البالغين وعاداتهم ومبادئهم التى لا يستسيغها عقله الصغير .

كذلك حرصت على أن أبين كيف يشعر الصغير بالإحباط والتعاسة إذا أخفق فى التكيف للوسط المدرسى أو إذا رفض هذا الوسط قبول

عضويته . ودرست علاقة المعلم بتلاميذه وأثر هذه العلاقة على التحصيل الدراسى للتلاميـذ من جهة وعلى تكامل شخصيتهم وسعادتهم من جهة أخرى .

وقد خصصت قسماً كبيراً من هذا الكتاب لدراسة سلوك الأطفال فى مختلف المواقف الاجتماعية وعلى الأخص بعض أنواع السلوك الذى قد يبدو فى صوره مشكلات تهم الأم والمربى، وعمدت إلى تحليل هذا السلوك و بيان أسبابه والظروف التى كونته ، على أننى لم أتجه فى شرح هـذه الأنماط السلوكية شرحاً نظرياً جامداً بقصد وضع حلول نظرية ، جامدة وإنما قصدت مساعدة الآباء والمربين على التعرف على ما قد يصادفهم من صعاب يوميـة أثناء تربيتهم لأبنائهم ، وحاولت أن أبين أيا من هذه المشكلات جديرة باهتمام وقلق البالغين ، وأيها يمكن التجاوز عنه واعتباره مظهراً طبيعياً لمرحلة النمو التى يحياها الطفل ، فقد تقلق الأم بلا مبرر إذا رأت ابنها يأتى ببعض أنواع السلوك غير المرغوب فيه ، وتعتبرها مشكلة تستحق منها القلق والاهتمام ، مع أنها مظاهر تكاد تكون طبيعية أو عارضة مميزة لعمره أو للأطفال فى مثل سنه ولا تلبث أن تزول ، على أن فهم الآباء الخاطىء لها كثيراً ما يكون سبباً فى خلق مشكلة

من لا شيء خصوصاً إذا اتخذوا موقفاً إيجابياً وتعجلوا نموه وعملوا على محاولة تخلصه منها قبل الأوان بكل الوسائل التي كثيراً ما تكون غير سليمة .

كذلك عمدت إلى توضيح بعض معالم الطريق الذي يهدي الآباء والمعلمين إلى فهم طبيعة النمو النفسي وذلك حتى تكون معاملتهم لأبنائهم في حياتهم اليومية مبنية على أساس سليم ، إذ كثيراً ما يكون الآباء والمعلمون مسئولين عن صعوبات الأبناء بسبب سوء فهمهم للطفل وتصرفاته في المواقف المختلفة .

كذلك لجأت إلى إرشاد الأم إلى طريقة أو طرق بسيطة لمعالجة بعض تصرفات أبنائها التي تجد فيها مشكلة محيرة ، ولم نقدم لها هذه الإرشادات في شكل قواعد جامدة تطبق في كل حالة ، أو تنفع لأي طفل دون مراعاة للظروف الخاصة به ، والتي سببت السلوك المشكل ، ذلك لأنني أعتقد أن الطفل هو الذي يوجه المرشد إلى طريقة معالجته ، وإنما قصدت من عرض بعض نواحي المعالجة استفادة البالغين المحيطين بالطفل حتى لا تكون المعالجة الخاطئة سببا في استفحال الأمر وزيادة المشكلة تعقيداً .

هذا وليست كل المشكلات التى تصادف الآباء والمربين أثناء احتكاكهم بالصغار من الأمور التى يمكن لهم تناولها بنجاح فهناك بعض الصعوبات التى تؤثر تأثيراً قويا فى صحة الصغار النفسية وتحتاج إلى معالجة مختص ولذلك ننصح هؤلاء بتحويلها إلى الاخصائيين النفسيين فى العيادات النفسية .

الباب الأول

١ — الفصل الأول : معنى النمو وخصائصه الهامة

٢ — الفصل الثانى : المجال الحيوى للصغير وتأثيره على سلوكه

الفصل الأول

معنى النمو وخصائصه الهامة

إن عملية النمو هى عملية تغير دناميكى نشيط يمكن الفرد من أن يقابل مشاكل الحياة ومواقفها بطريقة أفضل ، و إذا ماسارت كما يجب دون معرقل أو معطل فهى تهدف إلى النضوج وتكامل الشخصية، حقا إنها عملية تغيير مطرد تنقل الفرد من مراحل النشاط الوظيفى الدنيا إلى مراحل أرقى .

مميزات النمو العامة

إن للنمو مميزات عامة تصبغه بطابع معين يميز أفراد الجنس ويمكن إجمالها فيما يلى :

أولا : إن النمو يتبع نمطا معينا يشترك فيه كل أفراد الجنس فهو لا يسير بطريقة عشوائية غير منظمة ، وإنما يسير وفق خطة معينة وبمعدل معروف يشترك فيه جميع أفراد الجنس والدليل على ذلك ما يأتى . —

(١) إن التغيرات الجسمانية التى تحدث فى حياة الفرد منذ أن كان نطفة حتى صار رجلا يافعا تتبع نظاما معينا يشترك فيه الجنس البشرى بأكمله ، فتأخذ

البويضة بعد تلقيحها فى الانقسام بطريقة معروفة وتنمو الخلايا وتتعدد شيئا فشيئا حتى يصير الجنين وليدا، ويستمر التغير فى صورة زيادة فى الحجم والوزن والطول وفق أسلوب معين يمكننا من أن نتنبأ بوزن الرضيع مثلا عند أى سن نريد ، فإذا قل هذا الوزن كثيراً أو زاد عما هو طبيعى ومألوف كان ذلك بمثابة ناقوس خطر ينبهنا إلى أن هناك عوامل غريبة تدخلت فى عملية النمو ، وبذلك نستطيع تدارك الأمر فى الوقت المناسب قبل أن يستفحل الداء .

كذلك نلاحظ أن جميع أفراد الجنس البشرى يشتركون فى أن التغيير الذى يطرأ على أعضاء الجسم المختلفة لا يكون تغييرا متفقا فى معدل النمو وسرعته فى فترة النضوج ، بل إن نسبة أعضاء الجسم عند الأطفال تختلف عنها عند البالغين .

كذلك يشترك جميع أفراد الجنس فى أن معدل النمو فى نواحى الحياة العقلية لا يكون متسقا فى سنى النمو المختلفة ، فتزداد سرعة النمو فى ناحية معينة فى وقت ما من حياة الصغير على حساب النواحى الأخرى ، وتنعكس الحال فى وقت آخر، ويتضح لنا ذلك من دراستنا لناحيتين هامتين من نواحى الحياة العقلية ، الأولى خاصة بنمو القدرة على التخيل والثانية خاصة بنمو قدرته على التفكير الواقعى ، ففى سنى حياة الطفل الأولى نلاحظ نموا

سريعا وملحوظا فى قدرته على التخيل وبطئا فى قدرته على التفكير الواقعى ، ولذلك كان تفكيره مطبوعا ومصبوغا بالصبغة الخيالية التى تميز تفكير البالغين ، و يأخذ التفكير الواقعى شيئا فشيئا فى أن يحل تدريجيا محل التفكير الخيالى . وهذا ما يشاهد أيضاً فى نمو ميول الطفل واتجاهاته حيث تسبق الميول المركزة حول الذات الميول والاتجاهات الغيرية فى النمو والتفاضل.

(ب) مما يؤكد لنا الفكرة القائلة بأن النمو يتبع نمطا معينا ملاحظة ما يطرأ على الأفراد من تغيرات أثناء النمو ، مثل التغيير الذى يؤدى إلى اختفاء بعض « الملامح » والسمات الأولى ومرور جميع أفراد الجنس فى هذه التغيرات ما لم تتدخل عوامل مرضية أو عرفية تؤدى إلى عرقلة هذا التغير ولنضرب أمثلة لبعض هذه التغيرات اختفاء أسنان الصغير اللبنية لتحل محلها أسنان أكثر قدرة على التحمل ، وكذلك ضمور بعض الغدد الصماء المميزه للطفولة مثل الغدة التيموسية والغدة الصنوبرية إلخ ونمو غدد أخرى وصفات وملامح أخرى أكثر قدرة على مواجهة حياة البالغين من السابقة.

(ج) يتجه النمو عند جميع أفراد الجنس من العام إلى الخاص و بذلك يرمى إلى تفتح الاستعدادات الكامنة تدريجيا بعد مرحلة من النمو فى الاستعدادات العامة ، فكلنا يعلم أن الطفل يولد وهو مزود باستعدادات عقلية ومزاجية علاوة على الاستعدادات الجسمية ؛ وهذه تكون فى حالة

كون ، على أن مولد الطفل يبعثها على النشاط فتأخذ فى التفتح والنمو متبدئة بالنمط العام للقدرة أو الخطوط العريضة لها وتنتهى بنمو الدقائق والتفاصيل ، فقد لوحظ أن استجابات الأطفال للمنبهات سواء كانت عقلية أو حركية تبدأ على صورة استجابات عامة قبل أن تصير نوعية فيبدأ النمو العقلى بنمو فى القدرة العقلية العامة و ينتهى بتفتح الاستعدادات والقدرات العقلية الخاصة ، كذلك يبدأ الصغير برؤية الأشياء الكبيرة قبل الصغيرة لأن حركات العين أول الأمر لا تكون قادرة على التعاون بدرجة كافية لرؤية الأشياء الصغيرة،هذا و يحرك الصغير ذراعية حركات كبيرة عشوائية قبل أن يستطيع السيطرة على عضلاته لمسك شىء صغير .

كذلك يقلل الصغير من المقاطع التى يكررها فى المناغاة قبل أن ينطق بكلمة واحدة ، وإذا حاول أن يتعلم عملا أو مهارة جديدة نجده يستخدم جسمه كله فى تعلم هذه المهارة ولا يبدأ تخصص أعضائه فى ادائها إلا فى مرحلة متأخرة .

هذا ولا تؤثر سرعة النمو فى نمط النمو العام ، فلوقارنا مثلا بين النمو عند اطفال ثلاثة احدهما عبقرى والآخر متوسط والثالث غبى لوجدنا أن النمو يسير وفق خطة معينة عند هؤلاء الثلاثة ولا يكون هناك فرق إلا فيما

يتعلق بسرعة النمو أو معدله أما طبيعته فهى متسقة عند الأطفال الثلاثة ويشتركون جميعا فى تقدم النمو من العام للخاص .

(و) إن الفروق الفردية بين الأطفال فى معدل النمو تبقى ثابتة وهذا يدل على أن النمو لا يسير بطريقة عشوائية بل يتبع نظاما معينا لا يحيد عنه إلا إذا تدخلت عوامل خارجية عاقته .

هذا يخالف الخطأ الشائع ، إذ يظن البعض أن الطفل الذى يبدأ حياته أقل من المتوسط فى النواحى الجسمانية أو العقلية لا يلبث أن يصير متوسطا مع الزمن ولكن الابحاث العلمية لم تثبت صحة هذا الفرض ، وهناك من الادلة ما يثبت أن معدل النمو ثابت بالنسبة للفرد وان الذين ينمون سريعا فى بداية حياتهم يستمرون على هذه الاسبقية ، وأن من يتخلف فى النمو يستمر نموه بطيئا، ولاثبات ذلك درس بولدوين Baldwin (١٩٢٢) معدل نمو الطول بين مجموعة من الأطفال فى سن ٦ وقارن بينه و بين طول هذه المجموعة فى سن ١٢ ووجد أن معامل الارتباط و بين الطولين عند البنين ٨٢ ر٠ وعند البنات ٨١ ر٠ كذلك درس Gesell سرعة النمو العقلى عند الأطفال ودرجة اتساق هذا النمو بالنسبة لكل، فدرس مجموعة منهم فى السنة الأولى ووجد أن معدل نمو كل منهم ثابت منذ أن كان عمرهم شهرين .

هذا وقد دلت دراسة الأطفال المتأخرين عقليا على أن هذا التأخر يستمر مهما

تقدم بهم العمر وأنهم لا يلحقون المتوسطين إلا فى حالات شاذة ، أو إذا كان تعطل النمو العقلى أو الجسمانى يرجع إلى سبب خارجى غير فطرى، كما يحدث فى حالات نقص افرازات الغدد ، أو قلة التغذية والتهاب اللوزتين المستمر ، فى هذه الحالات يعود النمو إلى حالته الطبيعة متى زالت هـــذه العوامل .

تلك حقيقة على جانب كبير من الأهمية فى تشخيص وعلاج التأخر الدراسى فقد يظهر الصغير تأخرا دراسيا لا لسبب إلا لأن ظروفه غير مواتية للتحصيل ولذلك كان على الاخصائى علاج النواحى الصحية المسئولة عن التأخر جنبا إلى جنب مع طرق التعليم التقويمية[1] .

ثانيا : إن من المميزات العامة للنمو انه يحدث فى إبعاد الشخصية المختلفة بطريقة متسقة ومرتبطة بعضها بالبعض الآخر ، بمعنى ان أى نمو فى ناحية ما يتبعه نمو فى نواحى الشخصية الأخرى،فالطفل الذكى أوالمتوسط يكون فى العادة متمتعا بصحة جيدة كما أن نموه الاجتماعى والانفعالى والعقلى يسير سيرا طبيعيا و بمعدل يتفق مع استعداداته ، وذلك مالم تتدخل ظروف أخرى تؤدى إلى عرقلة ناحية من هذه النواحى أو إلى ز يادة النشاط فى ناحية على حساب النواحى الأخرى كما يحدث فى حالات اختلال

(1) Hurlock E, B (1942) «Child Development» p 37

الصحة الجسمانية أو النفسية(١) .

ويمكننا أن نقول إن عملية النمو تتناول الشخصية ككل من النواحي الثلاث الآتية :

(١) إن كل ناحية من نواحي النمو مهما كانت خاصة ونوعية تتأثر بكل شيء آخر في الشخصية .

ونضرب مثلا لذلك نمو القدرة على الرسم التي هي نوع من النمو المتخصص والتي تبدو كما لو كانت مهارة أو قدرة نوعية قائمة بذاتها ، إذا ما تتبعنا بدقة الخطوات التي يمر بها الطفل حتى يتعلم هذه القدرة لوجدنا أنها تستند على عدد كبير من العوامل النفسية ، منها نمو السيطرة على الحركات ونمو القدرة على تمييز الأشياء واستخدامها لغرض معين ، ثم الإحساس والاستجابة لما في الوسط من اشخاص ولذلك نجده يبدأ بتخطيط خطوط واسعة غير مهذبة لأنه يكون عاجزاً عن السيطرة على عضلاته الصغيرة ، كما انه لا يتقيد بالواقع ولا بالأسس المرعية في رسم الأشياء ولا يعبأ بحكم الآخرين على ما يرسم ، ويأتي التحسن ويطرد نموه في هذه القدرة كلما أصبح قادراً على السيطرة على حركاته والتحكم فيها

(1) Mursell S. L. (1949) . Developmental Teaching . p. 43-61.

بحيث يستطيع استخدام أصابعه بدقة فى مسك القلم وتتحسن قدرته على إدراك العلاقات المكانية و بذلك يستطيع أن يرسم خطوطاً منظمة مقفولة تكون أشكالا محددة يراها فى بيئة ، كما يبدأ الطفل فى الانتباه الى آراء الآخرين وحكمهم على عمله وتحتل هذه الآراء أهمية خاصة فى نفسه فيتأثر بها و يطلب الاستحسان والتشجيع ، ومعنى ذلك أن نمو القدرة على الرسم ليست عملية نوعية مستقلة بذاتها و إنما هى مظهر خاص للنمو الكلى للشخصية تتناول ابعادها الحركية والاجتماعيــة والإدراكية والانفعالية .

(ب) إن كل مظهر نوعى للنمو أو كل نوع من أنواع النمو يؤثر فى كل ما يتعلق بالشخصية كوحدة والأدلة على ذلك متعددة ، فمتى استطاع طفل أن يمشى بمفرده ، فان هذا النمو النوعى يؤثر فى شخصيته تأثيراً كبيراً بل انه يغيره ككائن اجتماعى لأنه أصبح فى استطاعته أن يتحرك فى مجال حيوى أكبر كثيراً مما كان فى متناول يده قبل ذلك ، كما انه يستطيع أن يقوم بمغامرات قد تشعره بالسرور أو الألم مما يؤثر على حياته الانفعالية ، و اذا ما تعلم القراءة فإن هذه القدرة ستعدل وتغير فى تكوينه الشخصى إذ تجعل فى متناول يده وسيلة للاتصال بالتراث الثقافى

البشرية كما تجعل فى استطاعته أن يجد مايسليه و يرفه عنه وأن يجد وسيلة لجمع المعلومات والمعرفة الخ .

حقاً إن شخصية الفرد كوحدة تشترك فى اكتسابه لكل خبرة من الخبرات وتتعدل بها ، فنحن نتعلم الكتابة بيدنا ومع ذلك لو طلب منا كتابة كلمة باصبع القدم أو حتى رسم خريطة لرسمناها دون تردد و إن كنا لم نستخدم اصبع القدم أبداً فى التدريب على الكتابة والرسم ، وكذا لو كتب أحد كلمة على ظهرنا لتبيناها وقرأناها مع أن هذا الموضع من الجسم لم يتدرب على ذلك مطلقاً ، ومعنى ذلك أننا ننمو بشخصيتنا كوحدة فتؤثر كل خبرة نكتسبها فى تكويننا كوحدة و يكون الناتج وحدة مختلفة عن السابقة قابلة للتعديل والتكوين بالخبرة اللاحقة :

(ج) إن عملية النمو تتضمن تشكيل الشخصية فى قالب معين وهذه حقيقة هامة يجب أن نأخذها بعين الاعتبار فأى تدريب واسع النطاق فى اتجاه نحو معين هو تشكيل للشخصية وطبعها بطابع معين ، فالتأهيل الدراسى لمهنة معينة هو نوع من النمو فى اتجاه معين يطبع بطابع خاص يميزه عن غيره ، فللمعلم شخصيته والمحام شخصيته والطبيب شخصيته وهكذا .

ثالثاً : إن النمو عملية مستمرة وتدريجية ، وهى مستمرة ومتصلة الحلقات منذ اللحظة التى تلقح فيها البويضة حتى يتم النضوج . بل يمكننا أن نقول حتى تنتهى حياة الفرد ، وينطبق ذلك على النمو فى جميع النواحى المتعلقة بأبعاد الشخصية المختلفة فلا تنمو أى صفة جسمانية أو عقلية نمواً مفاجئاً ولا تختفى أخرى دفعة واحدة ، وكل ما يحدث هو اختلاف معدل النمو من سنة إلى أخرى ، وأكبر ما يكون هذا المعدل فى البداية وأبطؤه فى النهاية، ومعنى ذلك أن علينا أن نتنبه إلى أن أى تعطل فى النمو أو توقف فيه لا بد له من سبب ، قد يكون المرض الطويل الذى أقعد صاحبه عن الحركة مدة طويلة ، وقد يكون اختلال فى افرازات الغدد الصماء ، وقد يكون نقصا فى التغذية الضرورية أو غيرها من ظروف البيئة المختلفة ، ونلاحظ أن الصحة الجسمانية أكثر تأثراً من هذه الظروف البيئية من الصحة النفسية ، على أن هناك ارتباطاً موجباً بين سلامة الصحة الجسمية والعقلية أو النفسية .

رابعاً : إن النمو عملية تتجه إلى هدف أو غرض هو النضوج الجسمى والتكامل النفسى وهى عملية ديناميكية نشطة تتجه إلى غاية خاصة هى الوصول إلى أكبر قدر من النمو لاستعدادات الفرد الكامنة منذ تلقيح

البويضة سواء كانت هذه الاستعدادات فسيولوجية أو عقلية ، وأبسط مثال على ذلك ما نراه من حركات يقوم بها الطفل بساقيه وذراعيه ، هذه الحركات البسيطة غير الموجهة وإن كانت تبدو عشوائية ، إلا أنها فى الواقع حركات ضرورية تحدث فى اتجاه سيطرته على عضلاته ، وتعرف الصغير على أمه وابتسامته لها هى الحلقات الأولى فى عدد كبير من أنواع السلوك الذى يهدف إلى التكيف الاجتماعى للوسط ، وهكذا ، وينطبق ذلك على أى نوع من أنواع النمو مهما كان نوعياً وخاصاً .

ولقد ذكرت (كارولين زخارى) Caroline Zachry[1] إن عملية النمو عملية معقدة تهدف إلى إشباع حاجتين بشريتين أساسيتين هما :

(ا) الحاجة إلى الشعور بالذات كفرد له قيمته .

(ب) الحاجة إلى الأمن الانفعالى الذى يعنى أن يجد الفرد لنفسه مكاناً فى مجتمعه وأن يشعر بتبعيته للجماعة وحبها له .

تلك هى المميزات العامة للنمو وخصائصه المعروفة وقد تعرضنا لها باختصار لتوضيح الخطوط العريضة التى يتبعها النمو عند السويين من

---

(1) Zachry, Caroline (1949) Democracy and Curriculum (New York) pp. 314, 345.

الأفراد . حتى إذا لاحظنا أن نمو أبنائنا لا يتبع نفس الخطوط تنبهنا إلى أن هناك نقصا فى ناحية ما . ولابد تداركه وتلافيه فى الوقت المناسب قبل أن يستفحل الأمر ، إذ أنه قد يحدث أن يختل اتساق هذا النمو واطراده ، ويبدو هذا الاختلال على صور مختلفة من ضعف الصحة الجثمانية أو من صعوبة التكيف نذكر منها على سبيل الأمثلة لا الحصر الصور الآتية : —

النكوص regression وهو عودة الطفل إلى نوع من أنواع السلوك الذى كان يقوم به فى مرحلة مبكرة من حياته ثم تركه لأنه نمى « أو كبر عليه » وانتقل إلى سلوك أكثر نضوجاً ، كأن يلجأ طفل فى الثالثة من عمره إلى « الحبو » بعد أن كان يجيد المشى والجرى ، وذلك تقليداً لأخ صغير ولد بعده فزعزع شعوره بالأمن وخاف من انصراف والدته عنه إلى هذا القادم الجديد وظناً منه أن الحبو هو سبب عنايتها بأخيه .

والنكوص قد يكون مؤقتاً وقد يكون دائماً ، ويكون مؤقتاً إذا بدأ نوع السلوك الشاذ فى أوقات الانفعال الشديد فقط ، كأن يلجأ طفل عقب غضبه غضباً شديداً إلى الارتماء على الأرض وشد شعره أو ضربه لرأسه بيده و « رفصه » لمن حوله ، على أنه يعود طبيعياً يفعل ما يفعله الأطفال

السو يين فى مثل سنه عقب انتهاء انفعاله . أما النكوص الدائم فهو ظهور السلوك الشاذ فى معظم الاحيان .

٢ — الجمود Fixation : ويقصد به ثبات الصغير عند مرحلة من مراحل النمو و يسلك السلوك الخاص بهذه المرحلة و يثبت عليه ولا ينتقل منه إلى ما هو أكثر نضوجاً بالرغم من ازدياد عمره الزمنى ، بمعنى ان نموه لا يطرد ولا يسجل تقدماً ملحوظاً ، ومن أمثلة ذلك استمرار استخدام الصغير «للبزازة» طول يومه حتى سن الخامسة أو السادسة مثلا أو استمراره فى مص إبهامه كلما لجأ إلى مخدعه .

٣ — هذا وقد يبطئ معدل النمو بدرجة ملحوظة فيتأخر نمو الطفل جسمانياً أو عقلياً عن الأطفال فى مثل سنه ، كما يحدث فى حالات المرض الطويل حيث يقف نمو الصغير فى الوزن فترة معينة رغم زيادته فى الطول ، أو كما يحدث فى النمو اللغوى حين يتأخر الطفل فى نطق الكلمات الاولى حتى سن السنتين .

٤ — وكما أن النمو البطىء يتنافى مع خصائص النمو الطبيعى ، كذلك النمو السريع ، فقد يحدث أن يزداد نمو أحد أبعاد الشخصية أو بعضها نمواً سريعاً لا يتسق مع طبيعة النمو المستمر التدريجى مما يهدد

كيان الفرد و يخل بتوازنه الصحى كما يحدث فى حالة ازدياد سرعة نمو العظام عن المعدل المعروف ، أو فى حالة سرعة اختفاء الغدة التيموسية والصنوبرية وسرعة نمو الغدد الجنسية الأمر الذى يؤدى إلى اكتمال النضوج الجنسى فى سن مبكر لا يتعادل مع النضوج العقلى والاجتماعى للصغير فينحرف جنسياً دون تقدير لعواقب الانحراف ، ولا يخفى ما لهذه المواقف من تأثير على صحة المراهق النفسية وعلى صحة القائمين بأمره من أفراد أسرته .

الفصل الثانى

المجال الحيوى للصغير وتأثيره على سلوكه

لقد سبق لنا فى الفصل السابق أن تكلمنا عن مميزات النمو العامة والتى تنطبق على جميع أفراد الجنس وهنا نتساءل هل تكفى هذه القواعد العامة لتحليل سلوك طفل معين فى موقف من المواقف ؟ الجواب عن ذلك بالنفى ، إذ أن هذه القواعد العامة لا تكفى وحدها لدراسة وتحليل السلوك تحليلا دقيقاً فلو فرض مثلا وأتى طفل فى السابعة بنوع من السلوك العدوانى فإننا لا نستطيع أن نفهم مسببات هذا السلوك والظروف التى أدت إلى ظهوره إذا ما استخدمنا فى تفسيره القواعد العامة السابق الأشارة إليها وحدها ولا بد من دراسة الصغير كفرد معين له استعدادات عقلية ومزاجية معينة كما أن ظروفا معينة أثرت عليه بطريقة خاصة .

هذا وتعترف معظم مدارس علم النفس فى الوقت الحالى بتفاعل الفرد مع بيئته وان استجابته لأى نمط تنبيهى يتوقف على تفاعل ما لديه من استعدادات عقلية ومزاجية وانفعالية وما اكتسبه من ميول واتجاهات وعادات ، مع قوى ومؤثرات البيئة سواء كانت هذه القوى طبيعية أم اجتماعية ، .

ونضرب مثلا لذلك بأى نوع من أنواع السلوك وليكن إدراك الصغير للون أو حجم أو شكل ، فإنه يتوقف على ماعنده من صور ذهنية بصرية وهل سبق له أن أدرك ما يماثله أم لا ، كما يتوقف على المجال البصرى وقت حدوث الادراك .

كذلك تختلف استجابة الطفل للعبة وجدها فى حجرته حين يلعب بها أمام أمه وحين يكون وحيدا ، ولذلك يقول ليفين Lewin « أن السلوك وظيفة للشخص وبيئته » .

س[1] = و (ف × ب)

وينطبق ذلك على أى نوع من أنواع السلوك سواء كان سلوكا بدائيا وغير متكيف أم سلوكا راقياً مغرضاً ، وذلك لأننا لا نستطيع أن نفصل بين حالة الفرد وحالة الموقف البيئى الذى يؤثر عليه ، لذلك كان من الطبيعى أن يختلف العالم الذى يعيش فيه طفل عمره سنة عن ذلك الذى يعيش فيه طفل الثامنة أو العاشرة من عمره ليس فقط فى مكوناته الطبيعية بل فى تركيبه الاجتماعى ، كما ينطبق ذلك على سلوك الطفل نفسه فى الظروف المتباينة فهو يتصرف وهو جوعان تصرفا يختلف عنه وهو شبعان ، وهو

---

(١) س = سلوك ، و = وظيفة ، ف = فرد ، ب = البيئة .

مستريح عنه وهو متعب ، كما أن حالته بعد التشجيع تختلف عنها قبله ، كذلك يختلف سلوكه في موقف يسوده جو الود والمحبة عنه في موقف يسوده التوتر والدكتاتورية، ولقد اتجه بعض العلماء إلى أن تحصيل الصغير في اختبار الذكاء يختلف باختلاف الموقف وباختلاف نوع العلاقة التي كونها مع المختبر على أنهم اختلفوا في تقدير أهمية هذا التغير وإن كان أغلبهم يميل إلى الاقلال منه في نتائج تلك الاختبارات .

كذلك تؤثر ثقافة المجتمع ودرجة رقيه على سلوك أفراده فضلا عن ماضيهم السيكولوجي وعما إذا كانوا ينتمون إلى جماعة ذات امتيازات أو إلى أقلية محرومة تشعر بالغبن والاضطهاد ، فسلوك طفل زنجي في بلدة من بلدان الولايات المتحدة المتعصبة ضد الزنوج يختلف عن سلوك طفل زنجي آخر نشأ في مدينة مجاورة للأولى ولكن أهلها لا يتعصبون ضدهم.

والخلاصة أن سلوك الطفل في أي موقف من المواقف يتوقف على حالته وحالة البيئة التي يعيش فيها ، وإذا أردنا أن نفهم سلوكه أو نتنبأ به فعلينا أن نعتبره وبيئته وحدة متمايزة ، وتسمى هذه الوحدة بالمجال الحيوي.

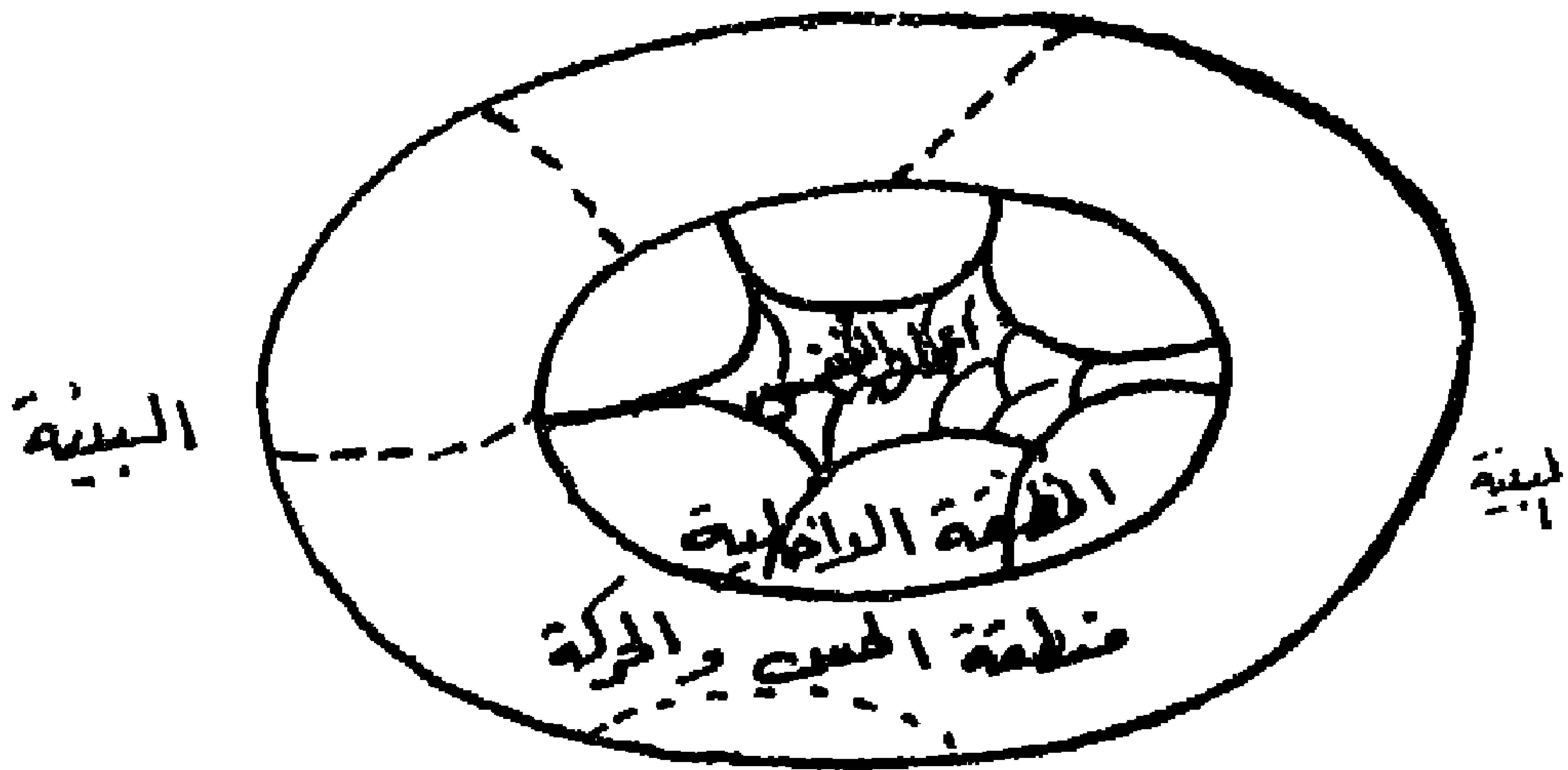
فالمجال الحيوي للطفل إذن وحدة متمايزة تجمع بينه وبين البيئة التي يعيش فيها وهي تطلق على المجال الذي يتحرك فيه وعلى ما اكتسب من خبرات أثناء هذه الحركة فهو عالم نفسي غير مادي . ورغم الصبغة النفسية

الداخلية التى للمجال الحيوى إلا أنه من الممكن أن نميز بين الفرد وبيئته داخل هذا المجال، والبيئة فى المجال الحيوى[1] شبه عقلية وشبه اجتماعية وشبه طبيعية ، بمعنى أنها تشمل تجارب الإنسان المختلفة وخبراته وآلامه وأمانيه ورغباته ومدى حريته فى المجال ولغة قومه وتراثهم الثقافى وأصدقائه وأسرته وأماكن لهوه وطريقة شغله لأوقات فراغه وما لديه من إمكانيات اقتصادية واجتماعية ، هذا فضلا عما يصادفه من عقبات تحول دون تحقيق أهدافه ورغباته ، فلا عجب إذن أن يختلف المجال الحيوى لفرد ما عن مجال فرد آخر بل يكاد يكون من المتعذر أن يتفق اثنان فى كل ظروفهما وفى القوى المكونة لمجاليهما، لذلك كان من الطبيعى أن يختلف المجال الحيوى لطفل عن المجال الحيوى لآخر يجلس معه فى نفس الفصل ويشترك معه فى المقعد ويتبع ذلك اختلافهما فى الدوافع والحاجات ومسببات السلوك ، فقد يقوم كل منهما بنوع واحد من السلوك وليكن تقطيع كراسات زملائهما . هذا النوع من السلوك سلوك عدوانى غير متكيف وهو رغم تطابقه فى المثال السابق وتشابهه فى حالة التلميذين المذكورين إلا أنه غالبا ما تكون دوافع كل منهما تختلف عن دوافع الآخر . ولذلك كان على المعلم أن يتأنى قبل الحكم عليهما ، وعليه أن يبحث عن هذه الدوافع التى حدت بكل من التلميذين إلى هذا العمل ،

(1) Lewin, K. (1952) "Field Theory in Social Science" p, 48. f
استخدم ليفين كلمة « شبه » لأن الفرد يدرك منبهات البيئة على طريقته ولا يدركها إدراكا مجرداً ، فهو لا يدرك اللون على أنه ذبذبة من نوع معين وبسرعة معينة وإنما يدرك لوناً واللون ظاهرة نفسية .

فقد يكون أحدهما معروفاً عنه الهدوء والاتزان والتعاون مع زملائه وأنه ليس معتدياً ولم يعرف عنه أى انحراف ، ولـكن السبب فيما قام به هو أن بعض زملائه أهانوه وأثاروه لدرجة أغضبته وأفقدته اتزانه ، بينما التلميذ الآخر معروف عنه قوة النزعة العدوانية والنزعة إلى الإتلاف والتخريب دون سبب ظاهر .

وقد مثل ليفين المجال الحيوى وما به من قوى بمساحة تنقسم بدورها إلى مناطق تختلف فى الاتساع حسب أهميتها ، وتحيط بهذه المناطق حدود تختلف فى مقاومتها للتعبير . وتتوقف درجة تنظيم تلك القوى أو المناطق وإعادة تشكيلها باكتساب الخبرات الجديدة على قدرات الفرد واستعداداته وما حققه من أهداف ، وما يحققه منها ودرجة شعوره بالإحباط الخ . ومع أن الفرد كثيراً ما مثل بمنطقة متحركة فى المجال الحيوى إلا أن له تـكويناً خاصاً به يمكن تمثيله هندسياً بمنحنى جوردان كما يرى فى الشكل رقم (١)



التمثيل الهندسى للفرد و به تظهر البيئة ثم منطقة الإحساس والحركة
يليها المنطقة الداخلية ، ثم منطقة أعماق النفس

وهناك اتساق كبير بين المجال الحيوى و بين عالم الواقع الذى يحتك به الصغير ، فإذا قل هذا الاتساق و بعد المجال الحيوى عن الواقع ، بعد الطفل عن عالم الحقائق الواقعية المحيط به وانغمس فى عالم خيالى غير واقعى وقل تكيفه للوسط المحيط به ، وينمو المجال الحيوى على بعدين هامين .

(أ) البعد الواقعى .

(ب) البعد الزمنى .

البعد الواقعى

تنمو خبرات الصغير وتتسع شيئاً فشيئاً فيما يتعلق بخبراته بعالم الواقع المحيط به فتزداد خبرته بعادات قومه وتقاليدهم وتراثهم الثقافى ، وكلما تقدم به العمر أصبح أكثر قدرة على إخضاع سلوكه ورغباته

لعالم الواقع ومتطلباته وكان أقدر على التكيف للوسط والتفريق بين ظروف حياته الواقعية و بين أحلامه وأمانيه ورغباته .

و يلاحظ أن مجاله الحيوى يكون قليل التمايز والتعقيد لقلة خبرته بالحياة وقلة خبراته الماضية . كما أن توقعه للمستقبل وما يمكن أن يحققه من الأمانى والرغبات محدود . على أن هذا المجال يزداد تعقيداً شيئاً فشيئاً ، فيبدأ الطفل فى الأسابيع الأولى بعد الولادة فى اكتساب خبرات عما يحيط به ، و يلعب دافع الجوع والحاجة إلى الطعام دوراً هاماً فى هذا الاكتساب ، فعن طريق إشباعه يبدأ فى تكوين أولى العلاقات الإنسانية السامية بينه و بين أمه وهى علاقة المحبة والود ، وعن طريقه توجه حواسه إلى منبهات معينة مرتبطة بالغذاء، كالتوجه إلى ثدى الأم والآنية التى تستخدم لتقديم الغذاء ، وهكذا تستجيب حواسه شيئاً فشيئاً لمنبهات الوسط المختلفة فيأخذ فى فهم عالم الواقع المحيط به بالقدر الذى يسمح له به نموه العقلى ، كما يأخذ فى إخضاع دوافعه ورغباته إلى هذا الواقع ، فيتعلم مثلا أن أمه ليست جزءا منه وأن لها إرادة غير إرادته ، وأنه ليس فى الإمكان إجابة كل طلباته ، وهذا ما يضايقه و يثقل عليه ، ولذلك قد يأتى بأنواع من السلوك قد لا يوافق عليها البالغون المحيطون به ، و يختلف هذا السلوك ودرجة انحرافه باختلاف درجة التوتر التى يشعر بها و باختلاف استعداداته .

المزاجية ، فبعض الأطفال يستجيبون لضغط عالم الواقع بالعناد ، والبعض الآخر بالعدوان ، كما يقابله آخرون بالانطواء أو بالالتجاء إلى الخيال وأحلام اليقظة وهكذا .

ويتوقف سلوك الطفل وتكيفه للمواقف المختلفة فى عالم الواقع على ما فى متناول يده من خبرات وما يربطها من علاقات ، وكلما اكتسب الصغير خبرة أو عادة جديدة كلما زادت خبراته تعقيداً ، فتتعقد مناطق مجاله الحيوى و يعدل بعضها بعضاً ، على أنه يتوقف قابليتها للتغير على نوع الخبرات المتعلمة وعلى ما بينها من علاقات ، ويعتقد ليفين ان خبرات الصغير المتعلقة بآماله وأمانيه وأحلامه هى التى تكوّن منطقة اللاواقع فى مجاله الحيوى وهى أكثر الخبرات قابلية للتعديل والتغيير ولذلك نجد رغبات الصغير وآماله تتغير تبعاً لدرجة استقراره النفسى وصحته بوجه عام . ولما كانت منطقة اللاواقع فى اعتقاد ليفين قريبة من الطبقات العميقة للنفس البشرية لهذا يستخدمها الإخصائيون فى عيادات إرشاد الطفل كوسيلة للكشف عن خبايا نفس الصغير وكوسيلة لتشخيص وعلاج بعض صعوباته .

ولما كان مستوى اللاواقع يعالج أمانى الفرد ومخاوفه وأثرها على مستقبله بينما يتناول المستوى الواقعى حقائق الحاضر ، كان التصادم بين العالمين ضروريا وكانت دراسة هذا التنازع على جانب كبير من الأهمية

التحديد قدرة الطفل على الإنتاج للحكم عليه وعلى سلوكه فى مختلف المواقف التعليمية ، فالطفل الذى يكثر هروبه إلى الخيال وأحلام اليقظة أقل كثيراً فى إنتاجه من طفل لا يتطرف فى ذلك كما أنه أقل قدرة على الاستعانة بخبراته السابقة للتصرف فى موقف ما وذلك فضلا عن عدم قدرته على تعليل أسباب سلوكه .

وفى المجال الحيوى للصغير خبرات ليست فى متناول يده (خبرات مكبوتة) ومع ذلك فهى دائمة التأثير على سلوكه دون أن يشعر وتتصف هذه الخبرات وتصطبغ بصبغة انفعالية مؤلمة وهذا هو السبب فى أن الصغير قد نسيها ولم يعد يذكرها اطلاقا .

وهناك فرق بين المجال الحيوى لطفل متوسط فى استعداداته العقلية وبين المجال الحيوى لآخر ضعيف العقل ، فبينما المجال الحيوى للأول معقد متسع كثير المناطق بسبب كثرة ما أكتسب من خبرات نجد مجال الثانى محدودا قليل التمايز والتعقيد ، وبينما يستطيع الأول الإفادة من خبراته السابقة فى التكيف للوسط وحل مشكلات مواقف الحياة الجديدة نجد الثانى قليل الحيلة يصعب عليه الإفادة من الخبرة السابقة ولذلك تقل قيمتها فى مساعدته على حسن التكيف .

وقد تختل العلاقات التى تفصل بين الخبرات المختلفة أو تربطها بعضها

ببعض وعلى الأخص تلك التى تتعلق باستعدادات الطفل المزاجية ورغباته وحاجاته فيتغير مجاله كوحدة فى اتجاه مخالف أو مضاد لاتجاه النمو فيعود الطفل مثلا إلى عادات تركها منذ زمن بعيد أو قريب ، كما يحدث حين يعود طفل الثالثة إلى « الحبو » تقليدا لأخيه الأصغر ظنا منه أنه يستطيع بذلك أن يجتذب انتباه والدته التى ترعى مولودا جديدا وتسمى هذه الظاهرة بالنكوص كما سبق أن ذكرنا .

المجال الحيوى والبعد الزمنى

يعتبر البعد الزمنى البعد الثانى الذى يؤثر فى نمو المجال الحيوى ، ويتعلق بإدراك الفرد للعلاقات الزمنية ووجهة نظره فيما يتعلق بمستقبله وماضيه السيكولوجى ، وينمو إدراك الصغير للعلاقات الزمنية التى تربط حاضره بمستقبله نموا تدريجيا كلما تقدم به العمل ، فمجال الإدراك الزمنى عند طفل السادسة ضيق ومحدود بالمستقبل القريب والماضى القريب . أما مجال البالغ فهو واسع ويستطيع البالغ أن يتصور مستقبله لسنوات كثيرة آتية . ويساعد نمو قدرة الصغير على إدراك العلاقات الزمنية على التمييز بين حقائق عالم الواقع وبين حقائق عالم الخيال والأمانى والرغبات وهناك عوامل أخرى تؤثر على المجال الحيوى للصغير نذكر منها .

عامل النضوج

إن للنضوج أثراً ملحوظا على نمو المجال الحيوى للصغير فكلما تقدم به العمر كلما زادت خبراته واتسع وأصبح أكثر قدرة على فهم العالم المحيط به ، كما يصبح أكثر قدرة على استخدام الخبرة السابقة ، فالمجال الحيوى للرضيع بسيط قليل التعقيد لأن ما به من خبرات قليلة على انه يأخذ فى التفاضل والتكامل كلما تقدم به العمر فيكتسب عادات وتقاليد ومثل وخبرات معرفية ومهارات وكلها تستخدم كأداة تساعده على تكيف أفضل للعالم الذى يحيط به .

وتؤثر درجة نضوج الصغير على نوع الخبرات المتعلمة كما تؤثر على سرعته فى التقدم، ولذلك ينصح المربون بضروره دراسة عملية النضوج ومراحله حتى يفيد المعلم من تلك الدراسة ، كما ينصحونه بألا يعلم الصغير خبرة هو غير[1] مستعد لها حتى يوفر وقته ومجهوده كما يجنب الصغير ماقد يتسبب عن هذا الإجبار من مضار .

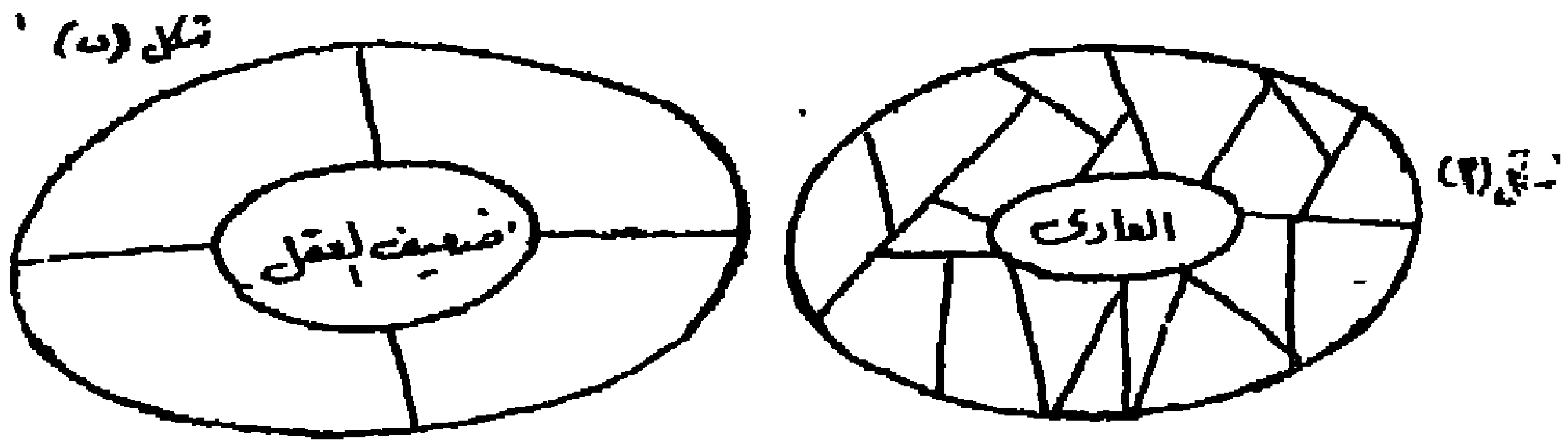
عامل الاستعداد العقلى

يؤثر استعداد الفرد العقلى وما يملكه من قدرات على نوع التجارب التى يستطيع القيام بها وعلى اتساع نطاقها كما يحدد مدى إفادته من الخبرة

---

(١) رمزية الغريب (١٩٥٩) « سيكولوجية التعلم » الفصل الرابع

السابقة ، ولهذا كان هناك فرق بين نوع الخبرات التى يستطيع العبقرى تحصيلها و بين تلك التى يحصلها شخص متوسط الاستعداد، كما يختلف تحصيل هذا عن آخر ضعيف العقل، فبينما المجال الحيوى للعبقرى معقد كثير المناطق لكثرة ما اكتسب من خبرات نجد مجال ضعيف العقل بسيطا لا يختلف كثيرا عن مجال طفل صغير، وفيما يلى شكل يوضح التمثيل الهندسى للمجالين



شكل (١) يمثل المجال الحيوى لشخص عادى فى وسعه أن يكتسب كثيراً من الخبرات .
شكل (ب) ويمثل المجال الحيوى لفرد ضعيف العقل .

٣ — البيئة المحيطة بالطفل ومدى عنايتها بالمنبهات التى تساعد على نمو شخصيته .

قد تساعد البيئة التى يعيش فيها الصغير على نمو شخصيته وتكاملها وتفتح قدراته العقلية وقد لا تساعد على هذا النمو ، وليس هناك شك فى أن المجال الحيوى لطفل نشأ فى أسرة ريفية فى قرية بعيدة عن المدن يختلف عن المجال الحيوى لطفل نشأ فى القاهرة ، ففى الريف حيث المجتمع بسيط ، تكون خبرات الصغير محدودة و بسيطة بينما تتعقد هذه

الخبرات فى المدن حيث المنبهات المتعددة والتراث الثقافى المعقد كذلك قد تكون خبراته فى البيئة سببا فى عدم استقراره الانفعالى واعتلال صحته النفسية .

إمكانيات الفرد الاجتماعية والاقتصادية

يعتبر المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة من العوامل التى تؤثر تأثيراً كبيراً على نمو المجال الحيوى ، فليس هناك شك فى أن المجال الحيوى لطفل نشأ فى أسرة متيسرة اقتصادياً يكون أكبر وأكثر تعقيداً من المجال الحيوى لآخر فقير ، إذ أن المادة تساعد الأول على أن يتعامل مع الأشياء والأشخاص على نطاق أوسع مما لا يتيسر للثانى ، فإذا ما اقترن المستوى الاقتصادى العالى بمستوى اجتماعى راق زادت فرصة الصغير فى اكتساب الخبرات الثقافية وفى التعامل الاجتماعى وتعقدت علاقاته الاجتماعية وعملت كمنبه مستمر لاستعداداته العقلية . أما إذا نشأ فى بيئة اجتماعية مستواها محدود كأن ينشأ فى أسرة ريفيسة مثلا فليس هناك شك فى أن القوى الاجتماعية المؤثرة عليه تكون محدودة حتى ولو كانت الامكانيات متوفرة .

من ذلك نرى أن دراسة المجال الحيوى دراسة مستفيضة على جانب كبير من الأهمية لمعرفة مسببات السلوك ودوافعه ، وبالتالى للتمكن من

توجيه الصغير وإرشاده ومساعدته على التخلص من صعوباته ، وبدون ذلك تكون طريقتنا فى التوجيه لا تستند على أساس علمى ، كما تكون أحكامنا غير دقيقة وربما خاطئة ، لأننا لم ندرس دقائق هذا المجال خصوصاً فى حالة محاولة تقديم خدمة نفسية للصغير الذى يشكو من صعوبة معينة ، فإننا إنما نتدخل فى شؤونه دون معرفتنا له معرفة دقيقة تمكننا من التدخل فى الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة ، ونحن لا نغالى إذ نتطاب من الاخصائى النفسى فى عيادة ارشاد الطفل العناية بدراسة وتحليل مجال الصغير الحيوى ولا نتغالى فى أن نطالب من المعلم ذلك فلا يتسرع فى الحكم على سلوك التلاميذ ولا يتجاهل اختلافهم فى الدوافع وفى أهمية الأهداف المراد الحصول عليها . والحق لقد اعترف الأدباء ضمنياً بأهمية المجال الحيوى لأبطالهم ولذلك نجدهم يحرصون على أن نرى أبطال قصصهم فى مواقف الحياة المختلفة ، مواقف ترينا البطل بين أفراد أسرته وبين زملائه فى العمل ، ومع الناس فى الشارع والمتجر والنادى والملعب ، كما يرينا البطل فى مواقف الحياة الدقيقة ، فى مواقف يتأمل فيها البطل نفسه ، ويتأمل غيره ويحكم عليه ، وبدون ذلك لا نستطيع أن نتصور أشخاص الرواية أحياء نعيش معهم فى القصة ، على أننا نتطلب من الاخصائى النفسى أكثر من ذلك ، نتطلب منه أن يتبع طريقة علمية لا أدبية فى تحليل مجال الصغير الحيوى .

وهنا نتساءل كيف يمكننا دراسة المجال الحيوى ذلك الوحدة المعقدة دراسة علمية تحليليه تساعدنا على فهمه ؟ وماهى الأسس العلمية التى يجب علينا أن نستخدمها ؟ للجواب عن هـذا السؤال يضع لنا ليفين المتحدث الأول باسم مدرسة المجاليين مبادىء عامة يمكن اجمالها فيما يلى : —

١ — العمل على دراسة انماط السلوك المختلفة عند الصغير فى ضوء تجاربه الخاصة ، والا يقل اهتمامنا بالأحداث الفردية فى تجاربه عن اهتمامنا بالأحداث المتـكررة ، فقد يمر الصغير بخبرة واحدة تصطبغ بصبغة انفعالية قوية فيتأثر بها مجاله الحيوى أكثر مما يتأثر بخبرة حدث أن تـكررت مرات عديدة . كما أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن لـكل طفل استعداداته وظروفه وتجاربه الخاصة وهى التى تحدد علاقاته مع من يحيط به من أفراد ومع عالم الواقع بصفة عامة . وقد ثبت أن هذه الظروف تؤثر فى الفرد تأثيراً كبيراً لدرجة جعلت من المتعذر أن يتفق اثنان اتفاقا تاما فى مكونات شخصيتهما وفى دوافعهما ومسببات سلوكهما ونوع الأهداف التى يسعى كل منهما إلى تحقيقها . ومعنى ذلك أننا لو جاءتنا أم تشكو من كثرة عناد ابنها الذى هو فى الثالثة من عمره ، فلا نـكتفى بتطبيق القـاعدة العامة المستخلصة من دراسة العناد عند عدد كبير من الأطفال فى نفس السن أى فى سن الثالثة . لأن هذه القوانين العامة فائدتها محدودة فى تفسير سلوك الأفراد ولذلك كان

من الضرورى دراسة ظروف هذا الصغير وعلاقاته الاجتماعية بأمه وأبيه وأخوته ، ثم نوع الجو العام الذى يسود الأسرة وهل هو جو هادىء ودى أم جو يكثر فيه العداء بين الأب والأم وبين الأخوة وبعضها ، وهل يفضل والداه أحد إخوته عليه أم انه المفضل ، وما هى علاقته بأصدقائه الخ . . ثم ماهى درجة تكرار العناد وما هى المواقف التى تستدعيه الخ و بدون ذلك لانستطيع أن نساعد الصغير على التخلص من صعوباته .

هذا وليس من الضرورى أن يتكرر السلوك المنحرف كثيراً فقد يكون للحدث الفردى أهمية تعادل السلوك المتكرر ، ولذلك لم تعدالطريقة العلمية الحديثة — طريقة جاليليو « Galillio » تهتم بالحدث المتكرر المنتظم وحده وتهمل الحدث الفردى الذى اعتبره أرسطو شاذا وغير جدير بالعناية .

٢ — إن دراسة مظاهر السلوك الخارجى للصغير غير كافية لفهم سلوكه ومعرفة بواعثه ومسبباته ، والاقتصار على هذه المظاهر الخارجية لن يساعد على توجيهه ومساعدته على التخلص من صعوباته ، بل لا بد من إيجاد طريقة يتوصل بها الاخصائى النفسى إلى التعمق فى أعماق نفس الصغير حيث دوافع السلوك ومسبباته ، ولذلك انتقد أنصار مدرسة المجال طريقة الشرطيين فى دراسة السلوك لأنها تعنى بالمظهر الخارجى له فقط ، وذكروا

أن كل مظهر من مظاهر سلوك الأفراد نتيجة لتفاعل عدة قوى مختلفة منها ماهو كامن فى أعماق النفس ومنها ماهو نتيجة احتكاكه احتكاكا عاديا مع البيئة المحيطة به ، وأشاروا إلى أن المحللين النفسانيين قد حاولوا تعليل السلوك والوصول إلى أعماق النفس ، ولكن تنقصهم طريقة علمية صحيحة لتفسير وتعليل مختلف النتائج التى يتوصلون اليها ، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى الوصول إلى طريقة علمية سليمة لهذه الدراسة العميقة .

٣ — على الاخصائى النفسى أن يكون موضوعيا فى دراسته للمجال الحيوى ، إذ يجب أن تكون طريقته موضوعية شأنها فى ذلك شأن أية طريقة علمية أخرى ، ولكن ليس المقصود بالطريقة العلمية فى نظره هو أن نتبع فى علم النفس طريقة البحث المتبعة فى دراسة العلوم الطبيعية فهناك فرق بين النفس البشرية و بين المواد الكيميائية . و يعتقد ليفين Lewin اننا إن فعلنا ذلك أخطأنا فى فهم الموضوعية فى علم النفس ، و ينتقد بعض علماء النفس وعلى الأخص الشرطيين والسلوكيين الذين أخطأوا فى نظره فى فهم المقصود بالموضوعية فى علم النفس فحاولوا استبعاد النعوت والأوصاف السيكولوجية واصروا على تعريف المثير والمنبه تعريفا سطحيا فى ضوء علم الطبيعة ، مع ان المنبه الطبيعى القح ليس له وجود فى علم النفس ، فنحن لا ندرك الألوان على أنها سطوح تعكس أشعة ذات

موجات ضوئية مختلفة الأطوال وإنما ندرك لونا ذو صفة معينة وهذا اللون في حد ذاته مدرك نفسي له وجود حقيقي بالنسبة لنا وبعيد عن « حقائق الطبيعة وقوانينها » .

والحق إن وصف ودراسة الموقف بطريقة موضوعية في علم النفس معناه وصف الموقف من وجهة نظر الشخص صاحب الشأن ، فهو وحدة أو كل ذو قوى وعلاقات أثرت في الفرد وقت حدوث السلوك ، فإذا استبدلنا الموقف كما يراه الطفل بما فيه من قوى وضغوط بموقف المدرس ومجاله ، أو بمجال وتفكير إخصائي علم الطبيعيات أو غيره ، كانت طريقتنا في البحث طريقة غير موضوعية وغير علمية ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى بحث علماء النفس عن منشآت علمية « Sientific Constructs » تسمح بتمثيل مناسب للظاهرات النفسية تسهل علينا فهم سلوك الفرد ومسبباته مع الاحتفاظ بالصبغة العلمية، كما تسمح بإخضاعها للبحث والتجريب والدراسة العلمية ، وبذلك يتمكن علم النفس من استخدام الفكرة النفسية والموضوعية النفسية التي هو في مسيس الحاجة إليها كعلم يدرس النفس البشرية .

٤ — ينصح ليفين Lewin أن نبدأ بدراسة السلوك الذي يبديه الصغير بتحليل الموقف الكلي الذي أدى إلى حدوثه ثم نتناول النواحي الخاصة،

إذ من الخطأ أن نعزل السلوك عن الموقف الكلى ونخصه بالدراسة مع أننا نعلم أن أى نوع من أنواع السلوك يحدث نتيجة لتفاعل الفرد مع بيئته ، وليس معنى ذلك أن ليفين يستبعد التحليل فى أية معالجة نفسية إذ أن المجاليين يعالجون المواقف بطريقة تحليلية فاقت التحليل فى أية معالجة نفسية أخرى و إنما يرى أن نبدأ بدراسة خصائص الموقف الكلى ثم ننتقل إلى دراسة العناصر التى اشتركت فى بناء هذا الموقف ، هذه الطريقة تفترض وجود خصائص عامة للموقف كله لا بد من أخذها بعين الاعتبار سواء كان هذا الموقف صغيرا فى أبعاده المكانية والزمانية ، أو كبيرا تمتد أبعاده الزمنية سنوات وسنوات وابعاده المكانية أميالا طويلة . ونضرب مثلا لهذه الخصائص مقدار المسافة التى يتحرك فيها الصغير بحريته أو نوع الجو الذى يسود الموقف وهل هو موقف عدائى أم ودى ، فليس هناك شك فى أن استجابة الصغير لمثير يبعث على الخوف مثل الصوت العالى المفاجىء تختلف إذا كان الصغير يلعب بين يدى أمه وأخوته عنها إذا كان وسط غرباء . فأثر الجو العام على السلوك على جانب كبير من الأهمية وهو يشبه أثر الجاذبية الأرضية أو المجال الكهربائى أو المغناطيسى على الأجسام والأشياء فى علم الطبيعة .

لذلك كان كل طفل حساس للتغيرات التى تحدث فى جو منزله سواء

كانت هذه التغيرات متعلقة بالعلاقات الإنسانية فى محيط الأسرة أو كانت مما يؤثر على الاستقرار الانفعالى لمن حوله . كذلك يؤثر الجو المدرسى على عملية التعلم وعلى نوع الخبرات والاتجاهات التى يكتسبها التلاميذ . فحيث يسود المدرسة جو الود والصفاء تزداد تبعاً لذلك استفادتهم من الخبرات المدرسية ، وحيث يسود جو من التوتر والعداء تتعرقل عملية التعلم وتقل إفادة التلاميذ من المجتمع المدرسى .

٥ — يجب علينا أن نهتم بظروف الموقف وقت حدوث السلوك . فلو فرض وأتى طفل بنوع من السلوك وليكن سلوكا يدل على غيرته من أخيه الأصغر فيجب علينا أن ندرس الظروف المختلفة التى أدت إلى اعتدائه على أخيه الرضيع وقت حدوث الاعتداء ، فندرس الضغوط الاجتماعية التى تعرض لها إذ ذاك كما ندرس القوى الانفعالية التى انتهت بالاعتداء وقت حدوثه ، فالحاضر فى نظر المجاليين أهم من الماضى والمستقبل لأن تجارب الماضى وخبراته تؤثر فى الموقف الحاضر بطريقة غير مباشرة — بالتذكر — هذا التذكر والاسترجاع بدوره يتأثر بحالة الفرد وظروف الموقف وقت التذكر ، فكأن الظروف الحاضرة وقوى الموقف وقت حدوث السلوك تؤثر فى نوع وطريقة الإفادة من الخبرة السابقة .

الباب الثانى

العلات الانسانيه فى حياة الصغير فى البيت والمدرسة

الباب الثانى

العلاقات الانسانية فى حياة الصغير فى البيت والمدرسة

إن الأسرة هى المجتمع الإنسانى الأول الذى يمارس فيه الصغير أولى علاقاته الإنسانية ، ولذلك كانت المدرسة الأولى التى تؤثر فيه وكان لانماط السلوك الاجتماعى الذى يتعلمه فى محيطها قيمة كبرى فى حياته المستقبلة ، وكثير من مظاهر التكيف وعدم التكيف يمكن ارجاعها بسهولة إلى نوع العلاقات الإنسانية التى سادت بين أفراد الأسرة فى سنى حياة الفرد الأولى .

وتلعب المدرسة دوراً لا يمكن تجاهله فى التربية الاجتماعية والعقلية للصغير ، وترجع اهميتها فى ذلك إلى أنه يتعامل فيها مع بالغين لا تربطه معهم علاقات القرابة التى تميز حياته العائلية ، كما يتعامل فيها مع رفقاء من نفس السن يجد بينهم ما هو فى حاجة إليه من متع عقلية وترويحية يعلمهم ويتعلم منهم ، وكثيراً ما ينشأ عن ذلك تعديل فى المبادىء والقيم التى اكتسبها فى محيط الأسرة ، والحق إن المجتمع المدرسى خير مساعد للصغير على الاستعداد للمجتمع الكبير .

لهذا حرصت فى هذا الباب على أن أبين أثر العلاقات الإنسانية فى محيط الأسرة والمدرسة على تكامل الشخصية ومدى التكيف للوسط وفيما يلى بيان بالفصول الذى تناولت فيها هـذا الموضوع بالدراسة والتحليل .

الفصل الثالث

الحب والنمو النفسى للصغير

الحب أولى العلاقات الإنسانية التى يمارسها الصغير وأهمها جميعاً لأنها تتعلق بعلاقات الود والعطف التى هى من أهم مميزات الأسرة السعيدة ، ويعمل الحب كدافع هام لتعلم كثير من الاتجاهات الاجتماعية التى تحدد علاقة الصغير بالمجتمع كما تحدد درجة تكيفه له .

ومن الطبيعى حين نبدأ كلامنا عن الحب وأثره على النمو النفسى للصغير أن تتعرض لعلاقته مع أمه فهى الشخص البالغ الأول الذى يبدأ فى التعامل معه منذ الأسابيع بل الأيام الأولى لولادته ولهذا كان لانطباعات هذا التعامل أثر لا يستهان به .

يبدأ الصغير منذ الشهور الأولى فى تكوين أولى علاقات الود والمحبة مع أمه ، وقد يدهش البعض إذا قلنا إنه يشعر بهذا الود والمحبة كما يشعر بالأمن والاطمئنان منذ الأسابيع الأولى لولادته حين يجد نفسه محاطا بذراعين حنونين ، وحين تطل عليه أمه بوجهها الحنون لتطعمه بعد جوع وتخفف عنه ما يضايقه ، حقا إن نوع العلاقة بين الصغير ووالدته لها تأثير

لا يستهان به على تكيفه للمجتمع فى مستقبل حياته ، ولهذا يضغط معظم علماء النفس فى الوقت الحاضر على نوع العلاقة بين الطفل ووالدته ، ونضرب مثلا لذلك قول E. Erikson [(١)] المحلل النفسانى الذى كان يعمل أساسيا على علاج الأطفال ومساعدتهم على التخلص مما يعترض حياتهم من مشكلات ، إن أساس ثقة الصغير بنفسه و بالعالم تنبع من نموه فى سنى حياته الأولى . كذلك يرى أن هذه الثقة المبنية على خبرته الأولى لا تتوقف على كمية الغذاء التى تعطى له ولا على ما يظهره له البالغون المحيطون به من حب ، و إنما تتوقف إلى حد كبير على نوع علاقته بأمه فى هذه المرحلة المبكرة من نموه .

كذلك تذكر مارجريت ريبل Margaret Ribble «إن[(٢)] العناية النفسية بالصغير لا تقل أهمية للنمو العقلى والانفعالى والاجتماعى عن العناية بأمور التغذية المناسبة و بالوظائف الهضمية » كما أن حاجته إلى الحب « أساسية » وتنبع مباشرة من العوامل المرتبطة بالمحافظة على حياته فى مرحلة الطفولة المبكرة » « هذا وتشترك الحواس المختلفة فى توطيد العلاقة بين الصغير ووالدته مثل حاسة اللمس والحاسة العضلية وحاسة السمع وحاسة البصر » .

---

(1) E. Erikson (1950) "Childhood & Society" N. York p. 221.

(2) Margaret Ribble (1944) "Personality & Behaviour disorder in. J. McV. Aunt' pp. 621-651.

وقــد بنت Ribble أقوالها على نتائج ملاحظتها لـ ٦٠٠ طفل مدة غير قصيرة ركزت فيها اهتمامها على العلاقة بين الصغير ووالدته وأثر هذه العلاقة على نموه الانفعالى والعضوى الفسيولوجى معا وعلى الأخص فيما يتعلق بالدور الذى تلعبه هذه العلاقة فى تعلم أنماط من السلوك غير المتــكيف وما تسببه من حالات القلق والتوتر . ومن هذه الملاحظات استنتجت ان أطراد النمو يتوقف على «الأمومة الرشيدة» لأن عناية الأم بصغيرها بطريقة مناسبة تؤدى إلى التــكامل العصبى وتوفير الطاقة اللازمة للنمو العقلى فضلا عن أن شعور الصغير بالرضا والسعادة وما يتبعه من استقرار انفعالى يتوقف على علاقته بأمه .

كذلك لاحظت ١٨٠ طفلا حديث الولادة وتبينت أن الصغير إذا حرم من الرضاعة وإذا افتقد ذراعى أمه ودفء جسمها تعرض لنوع من التوتر العضلى العام . ولــكن إذا ما أتيح له أن يرضع وأن ينعم بصحبة أمه وحنانها اختفت هذه الأعراض . أما إذا استمر الحرمان فإنه يعانى من اضطرابات الهضم وصعوبة التنفس ، وتذكر أن « الأمومة الرشيدة » وما تتضمنه من عناية الأم الشخصية بصغيرها وإشعاره بالحب فى غير تفريط أو أفراط كثيراً ما تفيد فى استعادة الصغير لشهيته وفى يقظته ، كما تفيد فى إنقاص حركات الفم المبالغ فيها ، وتخفيف حدة التوتر النفسى ، وكثيراً ما تؤدى إلى تخلص الصغير من « الإمساك » الذى كثيراً

ما تـكون ظاهرة جسمية نفسية ونتيجة لمـــا يعانيه الصغير من صعوبات نفسية .

كذلك لاحظت ريبل Ribble أن أطفال النساء اللاتى يعانين من عدم الاستقرار الانفعالى أو اللاتى لا يرغبن فى أطفالهن كثيراً ما أظهروا بعض أنواع السلوك المشكل . فـكان بعضهم يبدو عنيداً و يتمثل ذلك فى انصرافه عن الرضاعة ، وفقدان الشهية ، والحساسية الشديد والعصبية وجمود العضلات الصغيرة فى جسمه ، فضلا عن الإمساك والبكاء الشديد الذى يمسك فيه الصغير أنفاسه .

كذلك كان بعضهم يبدى نوعا من النكوص و يتميز بفقدان الشهية، والاضطرابات الهضمية كالقىء والإسهال وقد يصل الأمر إلى فقدان الصغير لوزنه وقلة الأفعال المنعكسة وضعف العضلات وفقدان الاهتمام بالوسط المحيط الخ .

وخلاصة هـذا البحث أن عناية الأم بوليدها فى السنة الأولى من عمره و إشعاره بالعطف والحب والحنان من الأمور بالغة الأهمية ، لأنها ليست مسألة عاطفية فقط بالنسبة له و إنما هى مسألة حيوية وضرورية لنموه الفسيولوجى والعقلى والاجتماعى الانفعالى .

و بالرغم من أهمية النتائج التى توصلت إليها ريبل Ribble فقد

انتقدت طريقتها فى البحث وأخذت عليها بعض المآخذ ،على أن ذلك لا يقلل من أهمية نتائجها لأنها اتفقت مع نتائج باحثين آخرين كانت أبحاثهم مبنية على أسس علمية سليمة نذكر منهم سبتز Spitz ، جولدفارب Goldfarb ، بولبى ، Bowlbuy .

اختار Spitz [1] أطفال مؤسستين أحدهما ملجأ أو مؤسسة للقطاء والثانية مدرسة حضانة . وراعى أن تكون المجموعتان متسقتين فى كل العوامل والظروف إلا فيما يتعلق بتوفير الرعاية الوالدية والحنان . ففى المؤسسة كان يخصص لكل ممرضة عدد من الصغار يتراوح بين ٨ ، ١٢ بينما كان كل طفل فى مدرسة الحضانة ترعاه أمه وتعنى به ، كذلك روعى أن يحصل كل طفل فى المؤسسة أو المدرسة على رعاية صحية فائقة وعناية طبية حسنة وسكن ممتاز .

ثم لاحظ « Spitz » أطفال المؤستين لمدة سنتين واستعمل اختبار « هتزر وولف للأطفال » « Hetzer-Wolf Baby Test » لقياس النمو فى نواح سبع هى : (١) الادراك (٢) الوظائف الجسمية (٣) العلاقات

(1) Spitz, R. A.) (1945) "Hospitalism : an inquiry into the genesis of Psychiatric conditions in early Childhood." (In A freud et al The Psychoanalytic Study of the Child. Vol I. New York, International Universities Press 1945, pp. 53-74.)

الاجتماعية (٤) الذاكرة (٥) التقليد (٦) القدرة على معالجة الأشياء والتعامل معها (٧) الذكاء .

وحصل من هذا الاختبار على نسبة نضجية « D-Q » لكى تقابل النسبة العقلية « I. Q » . وكانت النسبة النضجية لأطفال المؤسسة فى الشهور الأربعة الأولى ١٢٤ بينما كانت ١٠٢ فقط فى حالة أطفال مدرسة الحضانة وبتتبع نمو الصغار فى المؤسستين وجد أن الصغار فى مدرسة الحضانة احتفظوا بالنسبة النضجية ١٠٢، أما صغار المؤسسة فإنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها ولذلك نزلت هذه النسبة من ١٢٤ إلى ٧٢ فى نهاية السنة الأولى وإلى ٤٥ فى نهاية السنة الثانية .

ويذكر سبتز « Spitz » أن السبب فى تقهقر النسبة النضجية لأطفال المؤسسة هو ما يشعرون به من جوع عاطفى بسبب حرمانهم من عطف الأم وتبادل الحب معها ، كذلك وجد أن المجموعتين قد اختلفتا فى الصحة الفسيولوجية وفى نسبة الوفيات ، وذلك على الرغم من الظروف الصحية الممتازة فى المؤسسة ، فبينما لم يمت طفل واحد من أطفال مدرسة الحضانة كان أطفال المؤسسة حساسين للاصابة بمختلف الأمراض لضعف صحتهم الجسمية ، وحدث أن أصيبوا فى وباء للحصبة فمات منهم حوالى ٣٧٪ .

وقد درس سبتز « Spitz » العلاقة بين مدة الحرمان من عطف الأم وبين سلوك الصغار ووجد أنه إذا حدث أن حرم الصغير من عطف الأم بعد سن تسعة أشهر ، ظهر على الطفل نوع من الاكتئاب والهدوء غير الطبيعى الذى لا يختلف كثيراً عن حالات الاكتئاب « Depression » عند الكبار فإذا عاد الصغير إلى أمه واستأنف معها علاقات الحب المتبادل قبل انقضاء ثلاثة أشهر عاد إلى حالته الطبيعية واتخذ النمو طريقه الطبيعى، أما إذا لم تستأنف هذه العلاقة ساءت صحته جسمياً ونفسياً .

ويلاحظ أن ريبل « Ribble »، سبتز وجولدفارب « Golgfarb » قد قصروا دراستهم على صغار الأطفال، على أنه قد عملت أبحاث أخرى على مجموعات أكبر سناً من الأطفال واتفقت نتائجها مع نتائج البحثين السابقين ونذكر منها على سبيل المثال البحث الذى قام به جولد فارب[1] « Goldfarb » الذى اهتم بدرسة أطفال مختلفى العمر ممن حرموا من عطف الأم وحبها .

قارن جولد فارب « Goldfarb » فى أحد أبحاثه المعروفة أطفال يدْعى ممن شبوا فى مؤسسة خاصة وقضوا بها أكثر من ثلاث سنوات ، بآخرين

(1) Goldfarb, W, (1945) "Effect of Psychological Deprivation in Infancy and Subsequent Stimulation" Am. J Psychiat. Vol. 102. pp. 18-33.

ممن تمتعوا بالعلاقات الانسانية التي تتميز بها حياة الأسرة لأنهم نشأوا في أسر التبني « Foster-homes » واستخدم لذلك أربع مجموعات متوسط أعمارها ٣½ ، ٦½ ، ٨½ ، ١٢ سنة على التوالي ، واتبع في دراسته طريقة البحث الفردي كما استخدم عدة اختبارات نفسية معروفة لمعرفة مستوى الذكاء ومستوى التحصيل المدرسي ودراسة شخصياتهم ونضوجهم الاجتماعي وتوافقهم الحركي وقدرتهم اللغوية .

وقد أسفرت دراسته عن حقائق هامة وهي أنه على الرغم من أن أمهات هؤلاء الصغار الأصليين ينتمون إلى طبقات تتمتع بمستوى اجتماعي اقتصادي راق، إلا أن أطفال المؤسسة في كل مجموعات السن السابق الإشارة إليها كانوا أقل من الأطفال المتبنين في كل اختبارات الذكاء ، وكان تأخرهم أكثر ظهورا في ناحية التعقل والتفكير المعنوي . وقد استمر هذا التفاوت في النمو العقلي حتى مرحلة المراهقة حيث كان تحصيل أطفال المؤسسات أقل في الاختبارات الخاصة بتعلم الأغاني والأوزان والقصص ، وفي تذكر الماضي بوضوح أو تصور المستقبل .

وقد تتبع جولد فارب Groldfarb أطفاله فوجد انه بالرغم من أن كثيرا منهم قد ترك المؤسسة وذهب ليعيش في أسر بالتبني إلا أن استعداداتهم العقلية لم تتحسن كثيرا ، ولذلك استنتج أن الحرمان من العطف والحب

وقت الطفولة قد يؤدى إلى آثار لا تحمد عقباها ، إذ يتأخر الصغار فى الأداء العقلى تأخراً يستمر آثاره باقيا حتى إذا تغيرت ظروفهم إلى أحسن .

كذلك لاحظ أن أطفال المؤسسات كثيرا ما يعانون من صعوبات النطق والكلام وعدم القدرة على التعبير عن النفس بسهولة حتى بعد أن يتركوا المؤسسة بوقت غير قصير ، كما أن كثيرا منهم يعانون من صعوبات أخرى تبدو فيما يشعرون به من قلق وما يتبعه من عدم الاستقرار الانفعالى وكثرة الحركة وعدم القدرة على الانتباه ، فضلا عن اتجاههم إلى العدوان وما يتبعه من انفجارات انفعالية والوقاحة والقسوة فى معاملة بعضهم لبعض والنزعة إلى التخريب أو السلبية ، كذلك كثيرا ما تضعف عندهم الطاقة الانفعالية .

هذا وقد اتفقت نتائج جولد فارب Goldfarb مع نتائج سبتز Spitz وريبل Ribble فى أن هؤلاء الصغار المحرومين من عطف الأم أو من يحل محلها قد تأخروا عن الأطفال فى مثل سنهم فى نضوجهم العضوى وفى قدرتهم على ضبط ونقد النفس حتى بعد مدة غير قصيرة من تركهم المؤسسة ومعيشتهم بين أسرة التبنى ، وأن كثيراً من هؤلاء كانوا يجدون صعوبة فى التكيف . على أن هناك بعضا منهم قد تكيف بسرعة للوسط فى هذه الأسر ، وبدراسة حالتهم وجد أن السبب فى سرعة تكيف هؤلاء هو أنهم جاءوا إلى المؤسسة فى أواخر السنة الأولى (حوالى سن ١١ شهرا)

وأقاموا بها مدة ٢٥ شهرا فى المتوسط ، أما الذين وجدوا صعوبة فى التكيف لحياة الأسرة فقد جاءوا للمؤسسة فى سن مبكرة حوالى سن ٦ أشهر وبقوا بها مدة أطول كانت فى المتوسط حوالى ٣٤ شهرا

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نشير إلى البحث الذى قامت به [1] منظمة الصحة العالمية تحت اشراف الدكتور بولبى Bowlby وهو بحث شامل درس فيه أثر عناية الأم بصغارها على الصحة النفسية لهؤلاء الصغار ، وقد أجرى البحث على مجموعات من عدة دول نذكر منها انجلترا والولايات المتحدة والدنمارك وفرنسا وغيرها .

فى هذا التقرير أكد الباحث أن أهم مدعمات الصحة النفسية هى أن يمارس الطفل منذ سنى حياته الأولى مع أمه علاقة حب وود خالص ومستمر ، وأنه يجب أن يشعر كلاهما — الطفل وأمه — بالرضا والسعادة ، فالطفل فى حاجة إلى أن يشعر بأنه موضع حب أمه ومبعث كبريائها ، كما أن الأم فى حاجة إلى أن يشعر أن ابنها هذا جزء منها وامتداد لشخصيتها ، فالأمومة ليست عملية سهلة بحيث يمكن أن نعدها وننظمها بجدول دقيق ، ولكنها علاقات إنسانية راقية ومعقدة تغير من سلوك كل من الطفل وأمه ، كما أن توفر الأمومة الرشيدة للصغير تعنى أكثر من

---

(1) Bowlby. J. (1951) "Maternal Care and Mental Health."

مجرد عدد الساعات التى يجب أن تقضيها الأم مع ابنها ، وإنما هى علاقة راقية يتمتع فيها كل منهما بصحبة الآخر ، ويرى بولبى Bowlby أن مثل هذا التمتع غير ممكن بالنسبة لـكل منهما إلا إذا كانت هذه العلاقة مستمرة ، فاستمرار عناية الأم بابنها واستمرار علاقة الود والحب بينهما على جانب كبير من الأهمية ليس فقط لضمان إشباع حاجة الصغير إلى الأمن ، وإنما هى ضرورية أيضاً لنمو الأم وتـكامل شخصيتها ، فهى فى حاجة لأن تشعر أنها تنتمى لابنها وأنها ملك له كما أنه ملك لها ، فإذا أعوزها هذا الشعور كان من الصعب عليها أن تحقق له أمومة رشيدة ، وتتفانى فى خدمته ، وتجد رضاً عميقاً فى مراقبة نموه من الطفولة إلى الغلومة ثم الشباب والرجولة .

والحق أنه لا توجد أية علاقة إنسانية أخرى يضع فيها الفرد نفسه تحت تصرف آخر بمثل هذا الإخلاص والاستمرار إلا هذه العلاقة السامية بين الأم وصغيرها . وينطبق ذلك حتى فى الحالات التى توصف فيها الأم بالإهمال أو الجهل ، وكثير من نقادها من علماء النفس قد ينسون مجهوداتها المتواصلة فى توفير وإعداد الطعام والمسكن والملبس لهذا الصغير وفى السهر بجانبه تواسيه وتخفف عنه مايعانيه من مرض أو ألم ، ولا ترى من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً ، وهذا يفسر تمسك الصغار بأمهاتهم وأسرهم حتى فى

الحالات التى يكون فيها جو الأسرة أو المنزل فاسداً وغير جدير ببقاء الصغار فيه .

ويقول بولبى Bowlby[1] أن نتائج هذا البحث العالمى الذى عهدت إليه به منظمة الصحة الدولية قد أكدت لنا أهمية الدور الذى تقوم به الأسرة فى بناء المجتمع الحديث وفى تربية أفراد قد يحسنون التكيف للوسط وقد لا يحسنونه ، وينصح بضرورة العمل على تربية الفتاة على الأمومة وإعدادها لهذا الدور الهام ، كما ينصح بألا نتجه فى علاج الأحداث المنحرفين بإبعادهم عن أمهاتهم وأسرهم وإرسالهم إلى مؤسسات الأحداث وذلك بعد أن ثبت أن أطفال المؤسسات يعانون كثيراً من الصعوبات ، ويدلل بولبى Bowlby على ما يقول بمقارنة مجموعة من أطفال المؤسسات تتراوح أعمارهم بين سنة وأربع سنوات بمجموعة مماثلة تعيش مع أسرها ، ولم تكن ظروف معظم هذه الأسر مواتية إذ كانت الأم تعمل بالخارج ويقضى الصغار معظم أوقاتهم فى مدرسة الحضانة . وقد ثبت من المقارنة تفوق أطفال الأسر رغم عدم صلاحيتها فى كثير من الحالات على أطفال المؤسسات . كذلك ثبت من بحث آخر تتبع فيه الباحث عدداً من البالغين الذين قضوا خمس سنوات فى المؤسسات وقارنهم بآخرين كانوا يعيشون

---

(1) Bowlby J. (1957) Child Care and Growth of love (third Edi tion) based on the Report (Maternal Care & Mental Health.

مع أمهاتهم ، إنه رغم أن ٨٠٪ من هذه الأسر كانت غير صالحة تماما فإن ١٨٪ فقط من هؤلاء البالغين أظهروا عدم قدرة على التكيف الاجتماعى مقابل ٣٤٫٥٪ ممن كانوا يعيشون فى مؤسسات .

من كل هذه البحوث نستنتج أن حاجة الصغير إلى عطف ومحبة أمه أو من تقوم مقامها على جانب كبير من الأهمية لاطراد نموه العضوى والنفسى معاً ، وأن كثيراً من مشكلات السلوك التى يبديها الصغير فى مستقبل حياته ترجع إلى حرمانه من الحب وهو لازال فى المهد . فالحب هو العلاقة الإنسانية الأولى فى محيط الأسرة وهو العامل الأول فى تكوين اتجاهات موجبة نحو الحياة والمجتمع بصفة عامة ، وحرمان الصغير منه فى السنوات[1] الثلاث الأولى يؤدى إلى عدم قدرته فى الغالب على التكيف للوسط كما يؤدى إلى تعلمه لأنماط من السلوك غير المتكيف فضلا عن الاتجاه العدائى أو الهدام نحو المجتمع ، و يتوقف إشباعه لتلك الحاجة على نوع الأمومة التى يتمتع بها الطفل ، لا على كثرة حنوها عليه وحمله بين ذراعيها فالأمومة الرشيدة مبدأ وطريقة وعاطفة .

نقول عاطفة لأن من أهم مقومات الأمومة الرشيدة توفير الحب للصغير كما سبق أن ذكرنا ، فحاجته إليه لا تقل أهمية عن حاجته للطعام والشراب

(1) Bowlby (1957) "Maternal Care and the Growth of Love" p.51

وتقول بطريقة لأن عليها ان تشبع فيه الحاجة إلى المحبة والأمن فى اعتدال دون تفريط أو إفراط ، وقد سبق لنا أن تكلمنا عن تفريط الأم فى حرمان ابنها من حبها و بينا مايترتب على ذلك من اضرار لايستهان بها تعيق تكامل شخصيته وسلامة صحته النفسية . بقى علينا أن نتكلم عماينتج من إفراط الأم فى الحب والتدليل أو مبالغتها فى فرض حمايتها على ابنها .

الإفراط فى الحماية وأثره على شخصية الصغير .

إن إفراط الأم فى حبها للصغير وتدليله لايقل خطرا على صحته النفسية من التفريط فى ذلك ، فقد ثبت من دراسة كثير من حالات انحراف الاحداث التى تحول إلى العيادات النفسية أن بعض الأمهات وعلى الاخص من يشعرن بعدم الاستقرار والأمن النفسى و بالخوف والقلق يقبلن على ابنائهن بطريقة غير سليمة فيفرطن فى ارضائهم و إجابة رغباتهم مهما كانت ، و ينشأ عن هذا النوع من الأمومة صعوبات متعددة منها انها تقود الطفل على أن يشب شخصا عديم الحيلة يعتمد على أمه بصفة خاصة وعلى البالغين المحيطين به بصفة عامة ، يتهرب من المسئولية ضعيف فى نزعته الاستقلالية .

هذا وكثير ما يؤدى الإفراط فى المحبة وفى اجابة الصغير إلى مايريد إلى أنانيته وتوقعه مزيدا من الحقوق وقليلا من الواجبات وهذا مايعرقل

تـكيفه للمجتمع خارج محيط الأسرة حيث يتطلب التـكيف اخذا وعطاء كما يؤدى إلى تعاسته وعمق شعوره بالاحباط قبل أن يتعلم أن ما كل مايتمنى المرء يدركه .

وقد عملت ابحاث متعددة لدراسة هذا النوع من الاطفال نذكر منها على سبيل المثال البحث الذى قام به[1] ليفى Levy على عشرين طفلا ممن تعرضوا لحماية مبالغ فيها أدت إلى انحرافهم وزيارتهم للعيادة النفسية ، واثبت البحث أن هناك نوعين من الحماية ، احدهما تجمع فيه الأم بين الإفراط فى الحب والحماية والإفراط فى ترك الحبل على الغارب للصغير يعمل كما يريد ويحقق مايريد من رغبات « Laissez faire » لذلك حرصت على اجابة طلباته سواء كانت معقولة أم غير معقولة الأمر الذى حوله إلى طاغية صغير غير مطلع ، يعتمد عليها فى كل صغيرة وكبيرة وينزع إلى الاعتداء والانفجارات الانفعالية لاتفه الأسباب ، وإذا ما ذهب إلى المدرسة نقل معه انماط السلوك التى تعلمها فى محيط الأسرة وجعلها أساس تعامله مع معلمه وزملائه فيبدو معتديا مسيطرا محبا للظهور على أنه لايلبث أن يكتشف أن زملاءه ومعلميه لن يقبلوا منه هذا السلوك كما كانت تفعل أمه ، ولهذا يجد أن هناك صعوبات لا يستهان بها فى التكيف للوسط المدرسى لايقابلها فى العادة الطفل الذى تمتع بأمومة رشيدة .

(1) Levy D. N. (1943) "Maternal overprotection." (New York.)

النوع الثانى من الحماية نوع تجمع فيه الأم بين الأفراط فى الحماية والافرط فى السيطرة والتحكم فتتدخل فى حركات الصغير وسكناته خوفا عليه من الخطر ، فتمنعه من اللعب مع الأطفال فى مثل سنه خوفا عليه من العدوى ، وتمنعه من الخروج إلى الحدائق والاندية خوفا عليه من أخطار الطريق ، وتمنعه من الوقوف فى بلكون أو أمام نافذة مفتوحة خوفا عليه من التعرض للبرد ، وتمنعه من الاستطلاع وتناول الأشياء بالفحص والحل والتركيب خوفا على الأشياء من التلف وعليه من الإساءة لنفسه . هذا وكثيرا مايحاول هذا النوع من الامهات فرض روتين قاس على ابنائهم يقيد حريتهم ويزيد من اعتمادهم على هؤلاء الأمهات .

هؤلاء الصغار الذين يتميزون عن غيرهم بالخجل والانطواء والاستكانة لأوامر البالغين ونواهيهم وإطاعتهم طاعة عمياء ويعتمدون عليهم فى كل شىء ويصعب عليهم تحمل المسئولية ، فإذا ماذهبوا إلى المدرسة وجدوا صعوبة كبيرة فى التكيف ، وقد يلجأ بعضهم إلى التنفيس عن نزعته العدوانية المكبوتة فى المنزل بالمشاغبة والاعداء على زملائه .

وأخيرا نقول ان الامومة الرشيدة مبدأ لانها تتوقف على فهم الأم لطبيعة عملية النمو فتكون حساسة للأعراض التى توحى بتدخل عوامل غريبة تعوقه عن اتخاذ الطريق الطبيعى المعروف ، وتكون على بينة من الخطوط

العريضة التى تتبعها ، فلا تكثر من التدخل فى شئونه تدخلا يجعله يضيق ذرعا بعالم الواقع ويتبرم مما تفرضه عليه من روتين وأوامر ونواه ويلجأ إلى العناد والمشاغبة أو الانطواء والعزلة ، ولا تتعجله فى تعلم خبرة أومهارة قبل ظهور استعداده لتعلمها كما يحدث حين تتعجل بعض الامهات نمو ابنائهن فيجبر الصغير على الوقوف ومحاولة المشى قبل نمو عضلات الساقين وعظامهما فتشوه استقامة هذه العظام، وكما يتعجل بعض الآباء نمو ابنائهم فيرسلونهم إلى مدارس المرحلة الاولى لتعلم القراءة والكتابة بطريقة شكلية قبل استعدادهم لتعلم هذه الخبرة .

والامومة الرشيدة مبدأ يدفع الأم إلى قبول ابنها كما هو بميزاته ونقائصه دون الشعور بخيبة أمل لانه لم يحقق حلما راودها طول حياتها أو لأنه لم يصل إلى المستوى الذى رسمته له قبل ولادته ولم تمكنه استعداداته من الاتجاه وجهة أرادها دفعا لشعور بنقص يكمن فى اعماق نفسها .

الفصل الرابع

معاملة الأم لرضيعها فى السنة الأولى
ودور الرضاعة فى تدعيم علاقتها به

نبدأ أولى علاقات الصغير بأمه عن طريق إشباع حاجاته الفسيولوجية ومن هنا كان للرضاعة دور هام فى تدعيم علاقته بأمه وفى تعليمه أنماطاً مختلفة من السلوك الاجتماعى ، فالجوع من الدوافع القوية الأولى التى تدفعه بإلحاح وإصرار إلى الاحتكاك بالوسط المحيط به والتعرف على أمه . وهكذا يبدأ فى تكوين أولى علاقاته الإنسانية ليس مع أمه فقط بل ومع العالم المحيط به بطريق التحويل والتعميم ، وهذا هو السبب فى عناية علماء النفس فى الوقت الحاضر بطريقة معاملة الأم لطفلها الرضيع منذ اليوم الأول الذى يبدأ فيه الرضاعة ، وبالدور الذى تقوم به الرضاعة كدافع للتعلم . وقد انقسم علماء النفس — إزاء الطريقة التى يجب على الأم اتباعها فى الرضاعة — إلى فريقين :

الفريق الأول وعلى رأسه وطسن[1] Watson المتحدث الأول باسم

---

(1) Mussen, P, H. & Conger, J. J. (1956) "Child Development and Personality" pp. 139 f. (New York.)

مدرسة السلوكيين ، و يرى أن الواجب أن تكون معاملة الأم لرضيعها مبنية على أسس موضوعية غير ذاتية ، وأن تبدأ منذ الأسبوع الأول لولادته فى تعو يده السير على جدول رضاعة خاص ، وعليها أن تنفذه بدقة وألا تسمح للحنان والعطف لعرقلة هذا فى التنفيذ حتى لا يتدخل الحنان فى نظام الرضاعة التى يجب أن تكون على فترات منتظمة كل ثلاث ساعات حسب عمل الطفل وحاجته . و يرى ألا يسمح للرضيع بالرضاعة قبل انقضاء المدة المقررة إطلاقاً . وقد أجرى هو وغيره من علماء النفس تجارب على أطفال حديثى العهد بالولادة واتضح منها انه فى الإمكان تعو يد الرضيع على جدول تغذية خاص منذ الأسبوع الأول لولادته .

الفريق الثانى وهو فريق علماء النفس فى الوقت الحاضر الذين انتقدوا طريقة وطسن Watson فى معاملة الأم لرضيعها على أساس أن معاملتها له بطريقة محايدة باردة لا تشعره بحنانها ودفء حبها ، من شأنه أن يضر بصحته جسمياً ونفسياً ، ولذلك ينصحون الأم بألا تتمسك بتعو يد صغيرها على جدول تغذية يعتمد على مواعيد دقيقة ، فعليها أن تتيح له فرصة كلما ظهر أنه جوعان ، فإذا بدأت معه الرضاعة كل ثلاث ساعات مثلا ولكنه بكى جوعاً بعد ساعتين فعليها ألا تتركه يبكى ساعة كاملة تمسكا بجدول الرضاعة الذى يتبعه ، ولابد أن تقدم له ما يريد من غذاء دون تردد .

كذلك يمكنها أن تستغل وقت الرضاعة وما يشعر به الرضيع من إحساس بالرضا والسعادة لإشباع الحاجة إلى الطعام والرغبة فى المص ، فى إشعاره بحبها وحنانها وقوة السند الذى تقدمه له بذراعيها ، ذلك لأنها إن أمكنها أن ترضيه فإنه لا يلبث إن قريباً أو بعيداً أن يكتشف أن فى علاقته بها و بالحياة الجديدة ما يبعث على الرضا والمحبة فيطمئن للبالغين المحيطين به و يكون طفلا وديعاً قليل المشاكل . . . أما إذا لم يشعر بالرضا فإنه لا يلبث أن يربط بينها و بين الشعور بعدم الرضا أو الألم المصاحب للرضاعة سواء كانت مضايقته ناتجة من عدم كفاية لبنها أو من ضيق الحلمة أو وضعه فى وضع غير مريح ، وهكذا تتعقد العلاقة بينها و بينه .

و يذكر فينشل Fenichel [1] وهو من أئمة المحللين النفسيين أن إرضاء الطفل وقت الرضاعة يرتبط ارتباطاً موجبا بالتفاؤل والثقة بالنفس ، أما الحرمان والإحباط المركز حول الفم (Oral) فكثيراً ما يؤدى إلى عدم الرضا والتشاؤم والشك وعدم الصبر والجود وقوة الشهوة والتعطش لعطف الآخرين وحمايتهم .

---

(1) Fenichel E. (The Psychoanalytic Theory of Neurosis New York 1945.

أثر تجارب الطفل المتعلقة بالرضاعة على حياته المستقبلة

لقد عملت ابحاث متعددة عن أثر تجارب الطفل فى السنة الأولى من حياته على نمو شخصيته قبل التحاقه بالمدرسة وعولجت فيها نواحي متنوعة، فاهتم بعضها بدراسة بعض أنواع السلوك المشكل عند الصغار مثل مص الأصابع وقضم الأظافر، كما اهتم البعض الآخر بقدرة الصغير على التكيف بصفة عامة، وتناولت أخرى نمو بعض صفات الشخصية، على أن نتائج معظم هذه [١] الابحاث متعارضة. إذ من الصعب التحكم فى نمو صفات الشخصية وقياسها قياساً دقيقاً ومعرفة أثرها على السلوك، ولذلك فاننا لن نتعرض لها تفصيلا وسنكتفى بعرض موجز لاحدها وهو البحث الذى قام به سيرز Sears[٢]. لبحث العلاقة بين عدم القدرة على الاعتماد على النفس وبين درجة الشعور بالإحباط فى سنى الطفولة المبكرة، اختار سيرز Sears مجموعة من أطفال مدرسة الحضانة عددها ٤٠ طفلا واتبع فى البحث الخطوات الآتية.

١ — طلب من معلمات الصغار أن يرتبوهم على مقاييس تقدير « Rating Scales » لقياس النزعة العدوانية فى النواحى الآتية : —

(1) Conger & Mussen (1956) "Child Development and Personality" pp. 148 ff.

(2) Sears. R. R. et Al "Some Child Rearing antecedents of aggression and Dependency in young Children" Genet. Psych. Monog. (1953).

ا) الاعتداء على الأطفال الآخرين .

ب) اتلاف أملاكهم .

ج) كثرة العراك والمشاغبات .

د) تهديد التلاميذ الآخرين .

ه) تهديد المعلم .

و) السخرية من الآخرين .

ن) الاعتداءات غير المباشرة .

٢ — استخدم خبراء لملاحظة الأطفال ملاحظة علمية فى ست عشرة مناسبة وبلغت مدة الملاحظة لكل منهم ١٥ دقيقة وحسب عدد مرات ظهور كل من السلوك العدوانى والسلوك التبعى وأعطيت درجة لكل نوع

٣ — قابل أمهات الصغار الأربعين مقابلة شخصية حصل فى اثنائها على معلومات أفادته فى دراسة سلوك الأم وطريقتها فى الفطام ، والنظام الذى سارت عليه فى تغذية ابنها ورتبهم على مقاييس تقدير وحصل منها على درجة للفطام والإحباط .

و بدراسة نتائج هذه الملاحظات استطاع أن يثبت أن الأطفال الذين تعرضوا للاحباط الشديد أثناء التغذية والفطام كانوا أكثر الأطفال أظهارا لأنواع السلوك التبعى ، كالبكاء والاعتماد على الغير . كذلك لاحظ أن

الأطفال الذين كانوا يسيرون على جدول دقيق كانوا أكثر ميلا للاعتماد على الغير من الأطفال الذين كانوا يغذون كلما احتاجوا إلى التغذية .

لهذا كان للرضاعة وللتجارب التى مر بها الصغير مدة الرضاعة أثر كبير على شخصيته ، فهى ليست وسيلة لتغذيته ونموه الجسمانى فقط و إنما هى أيضاً وسيلة لتعلم كثير من الاتجاهات الاجتماعية التى تؤثر فى تكيفه للمجتمع فى مستقبل حياته ، لهذا كانت مسئولية الأم فى هذه الفترة من حياة ابنها كبيرة ، ولهذا كان عليها أن تحاول بقدر الامكان أن تجعل السنة الأولى فترة رضا وسعادة يتمتع فيها رضيعها بحبها وعطفها وتتمتع هى بصحبته وتفخر ببنوته. و بذلك تتجنب كثيراً من المشكلات والمصاعب التى كثيراً ما تصادف الأم مع أبنائها وكان من الممكن تجنبها .

والحق إن العلاقة بين الأم و ابنها معقدة للغاية وتتوقف على عوامل متعددة بعضها يرجع إلى شخصية الأم واستعداداتها المزاجية الدينامية و بعضها يرجع إلى التكوين النفسى للصغير و يجدر بنا فى هذا المقام أن نشير إلى طائفة من البحاث فى علم النفس يتجهون بأبحاثهم اتجاهاً جديداً محاولين اثبات أثر الطفل على شخصية والدته و يعتقدون أن الابن يحدد نوع الأمومة التى يتمتع بها . فالطفل الهادىء الطباع الذى ينام ساعات طويلة ولا يبكى كثيراً يتناول غذاءه بسهولة ودون صعوبات تنعكس حالته على

أمه فتكون هادئة سعيدة مستريحة جسمياً ونفسياً فتمتعه بأمومة سعيدة.
أما الطفل كثير البكاء كثير السهر ليلا والبكاء والعويل نهارا أو الذى تكثر مشكلاته المتعلقة بالتغذية و بالاخراج فهو طفل عصبي فى العادة تنعكس حالته على والدته فتبدو متعبة مرهقة الأعصاب وهكذا تختلف نوع الأمومة التى تقدمها لابنها عن نوع الأمومة التى تقدمها الأولى ، ومعنى ذلك أن الصغير هو الذى يشكل أمه على الصورة التى نراها بها . على أن هذه الابحاث لا زالت فى بدايتها ولا يمكننا تعميمها ، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن العلاقة بين الطفل وأمه علاقة وثيقة يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه ، هذا ويتوقف مدى تأثر الأم بسلوك ابنها على استعداداتها المزاجية وصفات الشخصية الغالبة عندها ، كما يتوقف على نوع التدريب الذى تلقته ، ولذلك يمكننا أن نميز أنوعا متباينة من الأمومة تبدأ بالأم المفرطة فى العطف والحنان والتى تغلب عاطفة الأمومة على أى اعتبار آخر وتنتهى بالأم التى تترك ابنها يبكى ساعات طويلة دون أن تخف إليه وتواسيه لأنها قرأت فى احد كتب أو مجلات الطفولة ما يفهم منه عدم تلبيتها نداءه ما دامت حاجاته مقضية .

وأخيراً قبل أن اختم الكلام عن علاقة الأم بوليدها فى السنة الاولى أود أن أسوق بعض النصائح لعلها تفيدها فى حل بعض مشكلاتها

وتجنبها كثيراً من القلق والاشفاق الذى قد تكون على حق فيه وقد لا تكون ، ويمكن إجمال هذه الارشادات فيما يلى :

١ — على كل أم أن تعد نفسها فسيولوجيا ونفسيا فى فترة الحمل للوقت الذى تحمل فيه ابنها بين ذراعيها لترضعه وتشعره بأن حياته الجديدة يمكن أن ترضيه وتشبع رغباته ... والواقع انه ليس هناك صعوبة فى الاعداد الفسيولوجى ذلك لأن الطبيب يسعى فى العادة إلى إعدادها فسيولوجيا باعطائها تعليمات لتدليك الحلمات إذا احتاج الأمر واستخدام بعض « المراهم » لمنع المضاعفات التى قد تجعل عملية الرضاعة مؤلمة لها ومضايقة للطفل ، كما يحدث عادة فى حالة تشقق الحلمات .

كذلك لا تجد معظم الامهات صعوبة فى الاعداد النفسى للرضاعة فمعظمهن يتقن إليها ، ولكن هناك فئة قليلة منهن يشفقن على أنفسهن وقت الرضاعة من زيادة الوزن ، وضياع الرشاقة التى يتمتعن بها ، كما أن هناك فئة أخرى تعتبر الرضاعة الطبيعية ضياعا للمجهود و « ربطة » للام بجانب طفلها لا تسمح لها بقضاء أعمالها خارج المنزل ولذلك تلجأ إلى الرضاعة الصناعية . مثل هؤلاء الأمهات فى العادة يعملن على إرضاع ابنائهن طبيعيا إذا اضطررن إلى ذلك كارهات ولذلك ينتقل إحساسهن الخاص بالتبرم بالرضاعة إلى الصغير دون أن يشعرن وينعكس اتجاههن السالب نحو

الرضاعة على طريقة معاملتهن لأبنائهن أثناء الرضاعة فيأتين من الأعمال ما قد يؤدى إلى توتر العلاقة بينهن و بين هؤلاء الابناء ، وكثيراً ما يكون ذلك سببا فى إيجاد بعض المشكلات التى تزيد من قلقهن وتوترهن .

٢ — عليها أن تبتعد عن كل ما من شأنه تعكير جو العلاقة بينها وبين صغيرها لاسباب قد تظنها تافهة ولكن اثرها على الطفل قد يكون كبيرا برغم أنها لم تعر فيها أى اهتمام وتفكير وقت حدوثها . ويحضرني فى هذا المقام قصة أم كانت تشكو من أن ابنها ينصرف عن الرضاعة الطبيعية ويفضل عليها الصناعية برغم توافر لبنها ، فإذا ما ارغمته على أن يرضع طبيعيا من ثديها كان عصبيا يقبل على الرضاعة بصورة متقطعة وكثيرا ما يعض ثديها لدرجة تؤلمها . . وببحث حالتها مع رضيعها منذ ولادته اتضح انها حين حملته لأول مرة بين ذراعيها لارضاعه لم يقبل على الرضاعة لسبب ما ، فحاولت إرغامه بتثبيت فمه على الثدى رغم إرادته فكان يحاول الامتناع والبكاء وكانت تكرر هذه المحاولة كلما لاحظت أنه لا يثابر على الرضاعة ، أو لم يأخذ من الغذاء قدرا كافيا ، وكانت — كما تقول — تنجح أحيانا فى إرغامه على الرضاعة وتفشل اخرى .

مثل هذا التصرف من الام لم يكن حكيما ، لأن الطفل ، حتى فى هذا السن المبكرة يكره تقييد حريته وأرغامه على ما لا يريد ، وتكون النتيجة

الطبيعية هى تعكير صفو العلاقة بينها وبينه ، وانصرافه عن الرضاعة الطبيعية لانه حرم من لذتها .

٣ — عليها أن تكون واثقة من نفسها فى معاملتها لطفلها ، ولاتجعل الصعوبات التى تعترضها معه سبيلا إلى زعزعة هذه الثقة ، لأن الطفل حتى فى هذه المرحلة المبكرة من عمره يحب أن يشعر بقوة السند الذى يعتمد عليه ، ولأن فقدها لثقتها بنفسها من شأنه أن يجعلها مترددة فى معاملتها له ، خائفة قلقة وكلها عوامل تسىء إلى الموقف وتعقده ، فلو حدث مثلا انها بعد أن تركت المستشفى إلى البيت — أو بعد أن تركت وحدها معه فى المنزل ان أكتشفت أن ابنها ليس الحمل الوديع الذى كان يحمل اليها من حين لآخر لارضاعه ، وهو لطيف نظيف ، وانما هو طفل كثير البكاء يستيقظ معظم ساعات الليل وينام بعض ساعات النهار وأنه غير ما كانت تتوقع فى شكله وفى طباعه فعليها الا تنزعج و يجب ألا ترجع هذه المشاكل إلى اخفاقها فى معاملته بل عليها أن تصبر وتكون طبيعية لطيفة ليس من السهل استثارتها ، وعليها أن تعامله برفق وهدوء حتى يزول هذا السلوك العارض الذى سبب قلقها .

٤ — لو حدث أن وجدت الأم بعد كل ما بذلت من جهد لارضاعه طبيعيا ، أن الرضاعة من ثديها متعذرة لعدم توفر اللبن أو لأى سبب آخر ، فعليها الاتبئس وأن تلجأ إلى الرضاعة الصناعية على أن تعوضه عنها بأخذه بين ذراعيها أثناء الرضاعة واشعاره بحنانها ودفء حبها .

الفصل الخامس

علاقة الصغير بوالده وأثرها على نمو شخصيته

بالرغم من كثرة الأبحاث التى عملت عن علاقة الطفل بوالدته وحاجته إلى حبها وعطفها فإن الأبحاث التى عملت عن علاقته بوالده ونمو حبه له ومدى تأثير هذه العلاقة على نموه وتكيفه للوسط قليلة ، ولا زلنا فى حاجة إلى المزيد منها ، على انه يمكننا أن نقول إنه بينما يبدأ الصغير بتكوين علاقة ود وحب مع أمه منذ الأسابيع الأولى لولادته ، وتطرد هذه العلاقة حتى تصبح علاقة اجتماعية راقية فى نهاية السنة الأولى كما سبق أن ذكرنا، نجد أن علاقته مع والده فى هذه المرحلة المبكرة من حياته تكون فاترة إذا ما قيست بعلاقته بأمه ، وهذا أمر طبيعى لأن الحب كعلاقة إنسانية بين الصغير وأمه فى السنة الأولى يكون مرتبطاً بقضاء حاجياته الفسيولوجية ، ولما كانت الأم أو من يقوم مقامها هى التى تقضى له هذه الحاجات بينما يبتعد الأب فى العادة عن الصغير خصوصاً فى الشهور الأولى ، كان من الطبيعى ألا تكتمل معرفة كل منهما بالآخر فى هذه المرحلة المبكرة من حياته .

على أن علاقة الصغير بوالده تبدو بصورة واضحة فى السنة الثانية حيث يبدأ فى الكلام والمشى وحيث تبدأ خبرته بوسط الأسرة الاجتماعى فى النمو فيزداد انتباهه إلى والده، ويتهلل وجهه حين يراه قادماً، ويحاول اجتذابه إليه كلما اجتمع به، ويساعد على تدعيم هذه العلاقة استطاعته فى هذا السن تعميم حبه لأمه وتوجيهه إلى أفراد الأسرة الآخرين ويكون للأب إذا ما كان عطوفاً ومحباً ورشيداً نصيب الأسد فى هذا الحب.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن درجة معرفة الصغير بأبيه وتعلقه به لا تتوقف على عدد الساعات التى يقضيها الأب مع ابنه، أو عن كثب منه، وإنما تتوقف على نوع أبوته ومعاملته له والطريقة التى بها يتعرف عليه ويوجهه.

هذا ويحتاج الوالد فى تعرفه على ابنه وتكوين علاقات ود ومحبة بينهما إلى مجهود أكبر من تعرفه على ابنته التى تميل[1] فى معظم الحالات إلى أبيها دون تردد، هذا بينما ينجذب الابن عادة إلى أمه خصوصاً فى سنوات حياته الأولى، علاوة على ذلك فإن الدور الذى يقوم به الأب فى الأسرة يكثر من فرص احتكاكه بابنه فتتوتر علاقته به خصوصاً إذا

---

(١) ذكرت كلمة معظم هنا (لأنه ثبت أن عقدة أوديب وعقدة الكترا ليستا عقدتين ضروريتين لابد من حدوثهما بل يتوقف تكوينهما على ظروف الفرد الاجتماعية.

شعر الصغير أن أباه يقف فى سبيل تحقيق رغباته ، لهذا كان على الأب أن يبذل جهداً ملحوظاً حتى يجعل الوقت الذى يقضيه مع أبنائه وقتاً ممتعاً لا ينسى بسهولة فيعوض بذلك الساعات الطويلة التى يقضيها خارج المنزل ويشبع فيهم حاجتين نفسيتين من أهم الحاجات ذات الأثر الفعال فى النمو ألا وهى الحاجة إلى حب الوالدين وكسب رضاهم والحاجة إلى الأمن .

هذا ويزداد موقف الأب صعوبة فى حالة وجود نزاع بينه وبين الأم يجعل الابن ينحاز لها ويتعلق بها تعلقاً شديداً وتشتد رغبته فى أن يستحوذ على انتباهها وعنايتها ويرى فى والده منافساً قوياً له وعاملا من العوامل الهامة الباعثة لشعور الإحباط .

دور الأب فى تنشئة أبنائه :

إن للأب فى الأسرة وفى تنشئة الصغار دوراً لا يقل أهمية عن دور الأم ولذلك يخطىء الأب كثيراً إذا شغلته متاعب الحياة عن أسرته وقضى معظم وقته بعيداً عنها تاركا الأمر للأم وحدها ، ذلك لأن دوره يختلف عن دورها إلى حد ما ولا تستطيع هى أن تعوض أبناءها النقص الذى ينشأ عن تغيبه عنهم أو عدم العناية بالإشراف عليهم ومصاحبتهم ، ويمكننا أن نلخص دور الأب فى تنشئة أبنائه فيما يلى :

يقوم الوالد بدور كبير فى عملية التصنيف الجنسى لأبنائه «Sex Typing» فعنه يتعلم الصغار أنماط السلوك الاجتماعى الذى يميز الذكور فى المجتمع ، حقاً هناك صفات جنسية تميز الأولاد عن البنات ، ولكن صفات الشخصية والسلوك الاجتماعى والانفعالى فضلا عن الميول والاتجاهات كلها مكتسبة من البيئة وتلعب الأسرة دوراً كبيراً فى هذا الاكتساب ، فوجود الأب واتصاله المباشر بابنه يجعل الأخير يعمل على تقليده بطريقة شعورية أحياناً ولا شعورية أخرى خصوصاً فى سنى حياته الأولى فيتعلم بذلك أنماط السلوك التى يعتبرها المجتمع مناسبة ومميزة للذكور من أفراده ، ولذلك فهو يثيب هذا السلوك ويعاقب أو يعيق أنماط السلوك الاجتماعى المميزة للإناث، ويعتبر التخنث عيباً أو عادة سيئة لابد للصغير أن يتخلص منها حتى يمكنه التكيف للوسط ، ولذلك كان المجتمع داخل نطاق الأسرة أو خارجها يذكره باستمرار بأنه « ولد » وأن على الولد أن يسلك سلوكاً معيناً يخالف سلوك البنات وكثيراً ما يوجه نظره إلى سلوك أبيه كمثل يحتذى به .

ولقد لخص Mowrer(1) عملية التصنيف الجنسى هذه تلخيصاً موفقاً وذكر انه يتم عن طريق إثابة الوالدين لأنواع السلوك المناسب لجنس الصغير وعقوبة أنواع السلوك المميز للجنس الآخر . وفى ذلك يقول :

---

(1) Mowrer, O H. (1950) "Learning theory and personality dynamics" from Muss 5 p. H. Conger J. J. "Child Development & Personality" p. 243.

«من الطبيعي أن يسير الولد الصغير في الأسر المثالية السعيدة متتبعاً خطى والده الذي يسر سروراً كبيراً حين يجد ابنه يتتبع خطاه و يكتسب اتجاهاته وصفاته ، كما يعتريه الزهو حين يجد رجولته تتمثل بصورة حية في ولده الصغير ، أما أمه فيدفعها حبها لزوجها إلى تشجيع ابنها على ذلك . هذا ، ولا يلبث أن يكتشف الصغير أن محاولاته الشعورية أو اللاشعورية للتشبه بوالدته غير لائقة به ثم إنها لا تجد تشجيعاً من البالغين من أفراد الأسرة ، ولذلك فهو ينبذها و ينصرف عن تقليد صفات الأنثى .

في مثل هذه الأسرة السعيدة تنعكس الصورة بالنسبة للفتاة فتسير مقلدة لأمها رغم حبها وتقديرها لأبيها» .

أما في الأسر غير الموفقة حيث يكثر الشقاق والصراع بين الوالدين ، يجد الصغير نفسه في حيرة من أمره فإن هو صاغ نفسه في صورة والده أغضب والدته وهدد بفقد ودها وعطفها ، و إن هو قلد والدته تعرض لنقد والده من جهة واكتسب سلوكا مخنثاً يعوق تكيفه للوسط في مستقبل حياته من جهة أخرى .

هذا وقد عملت عدة أبحاث عن الدور الذي يقوم به الأب في الأسرة فيما يتعلق بالتصنيف الجنسي ، وافترض الباحثون (Sears & Pintler & Sears) ان النزعة العدوانية من أنماط السلوك المميز للرجولة ولذلك يلعب

الأب دوراً فعالا فى تشجيعها فى الصغار ، ومعنى ذلك أن تغيبه عن المنزل يعرقل أو يؤجل نمو هذه النزعة فى الصغير ، أما فيما يتعلق بالبنات فإن الأب ليس المثل الذى تهدف إليه أنوثتهن ، ولذلك لن يكون لوجوده أو تغيبه أثر على نزعتهن العدوانية .

ولإثبات صحة هذا الفرض درسوا ظهور النزعة العدوانية أثناء اللعب بالعرائس لمجموعتين من الصغار إحداهما تتكون من ٢٢ ولداً والأخرى من ٢٢ بنتاً وكانت أعمارهم تتراوح بين ٣ ، ٤ ، ٥ سنوات ، ولاحظ المجربون حين اختيارهم لكل مجموعة ولفئات السن الثلاث أن يكون نصف عدد الصغار فى كل مجموعة من أسر عادية تتمتع بصحبة الأب اليومية والنصف الآخر من أسر يتغيب فيها الأب كثيراً عن المنزل وغالباً مايكون هذا التغيب بسبب قضاء مدة التجنيد . ثم لوحظ كل طفل أثناء اللعب لمدة فترتين طول كل منها عشرين دقيقة ، وسجل الملاحظ كل أنواع السلوك الجسمانى أو اللغوي الذى تبدو به أية نزعة عدوانية .

وبدراسة نتائج تلك الملاحظات ثبت صحة الفرض السابق ، إذ لم تختلف البنات فى مجموعهن فى إظهار النزعة العدوانية سواء كن من الأسر العادية أم من الأسر التى يتغيب فيها الأب كثيراً عن أسرته ، بينما كان أولاد الآباء المتغيبين فى فئات السن ٣ ، ٤ أقل إظهاراً للنزعة العدوانية

من الأطفال الآخرين من نفس السن والمتمتعين بصحبة آبائهم ، على أن البحث لم يثبت أية فروق فى هذه النزعة فى فئة السن ٥ سنوات ويعلل الباحثون ذلك بأن أطفال الخامسة فى العادة يتعلمون أنماطاً من السلوك الاجتماعى العدوانى من زملائهم خارج نطاق الأسرة .

والخلاصة إنه سواء كانت نتائج هذا البحث يمكن تعميمها على جميع الأطفال أم لا ، فأنا نرى انه ليس هناك شك فى الأثر الكبير للوالد على الأبناء الذكور فيما يتعلق بتعليمهم أنماط السلوك الاجتماعى المميز للذكور من أفراد المجتمع .

كذلك يقوم الأب بإعالة أولاده وقضاء حاجياتهم الاقتصادية ، ويعتبر المجتمع هذه الناحية من أهم واجبات الأب لدرجة أنها طغت على واجباته الأخرى ، واقتنع بعض الآباء بأن دوره فى تربية أبنائه هو أن يوفر لهم المسكن والمأكل والملبس وترك التبعات الأخرى للام سواء كانت متعلقة باشباع حاجتهم إلى المحبة والأمن ، أو شغل أوقات فراغهم أو تنشئتهم ، وهو اتجاه غير سليم لا يلبث أن يكتشف عواقبه .

وعلى كل حال فلا نستطيع أن ننكر أنه يبذل فى سبيل الحصول على المال لكفاياتهم جهـــدا كبيرا ، ومع ذلك فكثيرا ما تكون الصعوبات الاقتصادية سبباً فى تفكير صفو العلاقات بين الابن ووالده ،

فقد يشعر الأخير بحاجته إلى مزيد من النقود للملابس أو للصرف عن سعة كما يفعل زميل له فى سعة من العيش ، ولا يقبل من والده اعتذاراً فى كثير من الأحيان ، فإذا عجز الأب عن إشباع رغبته لقلة دخله أو كثرة عدد أفراد أسرته ، ظن أنه يقتر عليه ويقف حائلا دون تحقيق رغباته فيغضب منه وقد يكرهه لهذا السبب دون أن يعلم أن أباه يحرم نفسه الشيء الكثير لكفايته و إخوانه .

هذا وللاب فى المجتمعات الشرقية العربية دور يفوق دوره فى المجتمعات الغربية ذلك لأن المجتمع الشرقى العربى قد أعطاه سلطة كبيرة على أبنائه و بناته بل وعلى زوجته ، وجعل له كرب أسرة منزلة لا تدانيها منزلة أى فرد آخر فى الأسرة ، وتزداد هذه السلطة الأبوية فى الطبقات الدنيا التى أعطته الحق فى صبغ ابنه فى الصورة التى تتفق مع الرجولة فى نظره و يلعب التعلم دوراً كبيرا فى تكوين هذه الصورة فيثيبه و يظهر رضاه واستحسانه إذا أتى بعمل يظهر فيه الرجولة ، و يعاقبه عقابا شديدا فى كثير من الأحيان إذا ما تصرف بضعف وتخنث خصوصاً إذا ما كان عمره قد تجاوز العاشرة، هذا وكثيرا ما يحرم الطفل فى هذه الطبقات من التمتع بمرحلة الطفولة ومن ممارسة كثير من أنواع النشاط البسيط المنطلق الذى يميز الطفولة لأنه لايجد الفرصة ولا الامكانيات التى تمكنه من ذلك ، فهو إما مشغول

فى العمل لإعالة نفسه ومساعدة والده ، و إما مشغول فى المدرسة بالمذاكرة والكتب ولا يسمح له بتنظيم وقته حتى يشمل الجد واللعب .

و يعتقد الأب فى هذه الطبقات انه كلما تشبه ابنه بالرجال فى الملبس والكلام كلما كان مبعث فخره وموضع رضاه ومعنى ذلك انه لازال يدين بمبادىء نبذها علم النفس منذ أمد بعيد فالطفل ليس رجلا صغيرا ، و إنما هو فى مرحلة نمو معينة لا بد له أن يعيش على مستواها و يتمتع بها فقليل منا يعلم أن للعب الذى يقوم به الصغير فوائد لا يستهان بها فى تشجيع النمو و إطراده فهو ضرورى للنمو ضرورة الطعام والشراب والهواء .

ولما كانت نسبة كبيرة من الأمهات فى هذه المجتمعات لا زالت أمية أو متعلمة تعليما مبدئياً بسيطا ، كان الدور الذى يقوم بة الأب لايستهان به ، وكان من الطبيعى أن يقوم بدور كبير فى نقل تراث الجماعة ومثلها ومبادئها إلى ابنائه بنين وبناتا ، فيوجههم إلى تعلم أنماط خاصة من السلوك الاجتماعى يتفق مع مبادىء المجتمع كما يتفق مع ما يدين به هو من عادات وتقاليد ومعتقدات دينية وكثيراً ما يكون قاسياً فى تنشئة ابنه على هذه المبادىء فلا يسمح له بالاخلال بها و يطبق بشدة ما يفرضه من مثل وعرف على ابنته المراهقة . وذلك لأنه ينظر إلى هذه الناحية من نواحى التكوين النفسى لأبنائه نظرة غاية فى الجدية و يقيس نجاحه فى

تربيتهم بمدى اخضاعهم لرغباته وأوامره ونواهيه ، ويعتبرهم جزءاً لايتجزأ من نفسه ويعتبر أى نقد يوجه لهم موجهاله شخصياً ، ولعل هذا التطابق النفسى بين الأب وأبنائه هو الذى يجعله يغضب غضباً شديدا إذا سمع نقداً يوجه لابنائه وعلى الاخص الأناث منهم ، وكثيرا ما يندفع فى عقوبة ابنته عقابا شديدا قد يصل إلى درجة القتل .

هذا ويختلف مركز الأب فى الاسرة بعض الشىء فى الطبقات الوسطى والعليا عنه فى الطبقة العاملة فى المجتمعات الشرقية العربية ، فهو ولو أنه لا زال يحتل مركز الصدارة إلا أن سلطته عليها أقل من سلطة رب الاسرة فى القرية أو فى الطبقات الدنيا فى المدن حيث تعترف له هذه الطبقات اعترافاً تاماً بحق قوامة وتأديب أفراد أسرته بما فى ذلك زوجته تأديباً يتناول أنواع العقوبة المختلفة بما فى ذلك الضرب ، ويرجع السبب فى تضاؤل سلطة الوالد نسبيا فى هذه الطبقات إلى أسباب متعددة منها تعليم الزوجة أو الام تعليما لا بأس به جعلها أقدر على الاشتراك معه فى توجية أبنائهما بعد أن كان يقوم بالعبء الاكبر فى هذا التوجيه، ومنها كثرة تغيب الزوج عن الاسرة أثناء عمله اليومى الامر الذى جعل مدة مصاحبته لاولاده قصيرة إذا ما قيست بمصاحبة الصغير لابيه فى الطبقات الدنيا العاملة ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تعليم الأبناء وكثرة اختلاطهم وتعاملهم

مع مقومات الحضارة العربية جعلهم أكثر استقلالا عن الاسرة وأكثر تمردا على سلطة الآباء أمكننا أن نعرف لماذا تحددت سلطة الأب فى الاسرة الحديثة . ولماذا وجد نفسه فى كثير من الأسر المتوسطة مضطرا إلى أن يقوم بدور الموجه والمرشد دون فرض أو حتم كما هو الحال فى معظم الأسر فى الطبقات الدنيا .

على أنه يمكننا أن تقول ان الأب لا زال يلعب دوراً كبيراً فى تكوين الذات العليا أو ضمائر ابنائه فى الطبقة المتوسطة والعليا ، ولا زالت الأم تشعر بأمن ويسر فى تعاملها مع ابنائها ولا سيما المراهقين منهم ما دام الأب موجودا ، ولا زالت الأم تهدد المخطىء من ابنائها بعقوبة والده ولا زال هؤلاء يهابون آباءهم ويحاولون ارضاءهم بأتباع أنواع السلوك الذى يرضيهم خوفا من العقاب .

كذلك لا يسعنا أن نغفل فى هذا المقام انه لا زالت هناك أسر فى كل الطبقات يتحكم فيها الأب فى ابنائه تحكما قد يشقيهم كما يحدث حين يرغم الأب ابنه أو ابنته على الزواج من قريب أو قريبة لا يربطه بها صلة ود وانسجام ويمنعه من الزواج من فتاة اختارها بنفسه . الأمر الذى يسبب فشل هذه الزيجات وتعاسة الأسرة وشقاءها كما يتسبب فى اعتلال الصحة

النفسية للصغار ؛ أو كما يرغم الأب ابنه على متابعة نوع خاص من التعلم لا يرغب فيه وليس لديه الاستعداد الكافى لمتابعته بنجاح ، وذلك لأنه يعتقد أن المهنة التى يعد لها هذا التعليم تدر ربحا وفيرا يجنبه ما يعانيه من ضيق وحرمان . الخ .

من ذلك نرى أن الدور الذى يقوم به الأب فى الأسرة على جانب كبير من الأهمية ، و يتوقف نجاحه فى بناء شخصية ابنائه على نوع العلاقة التى ينجح فى تكوينها معهم ، ولهذا كانت الأبوة الرشيدة من مقومات الصحة النفسية للصغار شأنها فى ذلك شأن الأمومة الرشيدة ، وهى لا تقاس بطول المدة التى يقضيها مع أبنائه ، ولا بحرصه على توفير المال اللازم لقضاء حاجياتهم المادية كما سبق أن ذكرنا ويمكننا أن نجمل مقومات الأبوة الحكيمة فيما يلى :

أولا — عليه أن يشعر الصغير بحبه له و عنايته به منذ وقت مبكر من حياته ، حقاً اننا نعلم أن مسئولياته الاجتماعية ووظيفته فى المجتمع تجعل مركزه غير سهل كمركز أمه فى كسب مودته واشعاره بالحنان والحب ، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يحاول الاقتراب من ابنه منذ الشهور الست الثانية من السنة الأولى ، كما أن عليه أن يستغل نمو الصغير فى السنة الثانية

حيث يبدأ المشى واستخدام اللغة فى تدعيم علاقته عن طريق المداعبة والمصاحبة إذ يصبح فى امكانه فى هذا السن تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية بها روح الود والمحبة ولا ترتكن على قضاء حاجياته الفسيولوجية كما فى السنة الأولى .

مثل هذه المعاملة من جانبه تساعد على اطراد نمو الطفل وعلى شعوره بالأمن والرضا الناتج من تمتعه بمحبة والديه كما تساعد على تكامل شخصيته هو واستقراره النفسى كأب ، هذا وتطرد علاقة الصغير بوالده كلما تقدم به العمر حتى يصبح الأب ومصاحبته من الأمور البالغة الأهمية للطفل حتى سن العاشرة ، فهو مثله الأعلى وموضع ثقته ، وليس أدل على ذلك من نتائج الابحاث التى سئلت فيها مجموعة من الأطفال بين سن الخامسة والسابعة عشر عن تسمية شخصية يعجب بها كل و يتخذ منها مثلا أعلى فى الحياة فكان جواب غالبية الصغار بين سن الخامسة والعاشرة هو أن الشخصية التى يعجبون بها ويريدون تتبع خطاها هى الأب ، بينما ذكر غالبية مراهقى السابعة عشر أسماء أشخاص آخرين غير آبائهم ليس من الضرورى أن يكونوا فى البيئة المحلية .

ثانياً — عليه أن يهىء نفسه للأبوة وتضحيات الأبوة بأن يحاول أن

يشترك مع الأم كلما سنحت له الظروف فى اعداد غذاء الصغير والعناية بحاجياته اليومية ولهذا الاتجاه الأبوى أهمية كبيرة خصوصا فى حالة طفله الأول ، لأن هذا التعاون فى الأسر المتفاهمة السعيدة محبب إلى النفس كما انه تدريب جميل على مسئوليات الأبوة وتمرين على تغيير عاداته اليومية فهو فى هذا الحالة لا ينتظر من زوجته أن تعطيه كل عنايتها وكل وقتها ولا ينتظر من أسرته السهر على خدمته دائماً بل يجد نفسه مساقا إلى أن يسخر نفسه لخدمة القادم الصغير .

ثالثاً — عليه أن يقضى مع أبنائه بعض الوقت يومياً حتى يشعرهم بأنه على اتصال دائم بهم ، وذلك بعد أن ثبت أن استمرار العناية واتصال الود من الأمور الهامة الباعثة على استقرار الصغار وأمنهم النفسى . وعليه أن يفكر فى أن يشغل هذا الوقت معهم بطريقة ممتعة ومحببة لهم وعاملة على تدعيم علاقته بهم فيظهر اهتمامه بهواية خاصة يميل إليها أحد أبنائه وينصت إلى الآخر وهو يقص عليه مغامراته اليومية ، ويبدى اعجابه بحركة أو كلمة نطق بها ثالث صغير وهكذا يمكنه فى هذه المدة القصيرة نسبياً أن ينزل إلى مستوى أبنائه ويتمتع معهم بوقت طيب لا ينسونه ولا ينساه .

رابعاً — من أهم مقومات الأبوة الحكيمة أن يعمل الأب على أن يكون جو الأسرة جوا يسوده الوفاق والهدوء وأن تكون علاقته بالأم علاقة

طيبة ولهذا كانت مهمة اختيار شريكة حياته من المهام الخطيرة ، على أنه مهما كان الأمر فعليه أن يتحكم فى غضبه و يقلل من اظهار هذا الانفعال أمام أبنائه ، وأن يتغاضى بقدر الامكان عن اخطاء زوجته وابنائه التافهة إن وجدت،وأن يعمل موجها ومرشداً لهم فينبههم إلى مايراه من اخطاء بطريقة لطيفة بعيدة عن الأمر والنهى حتى لا يثير مقاومتهم ورغبتهم فى التمرد على سلطته .

وعليه أن يعمل بقدر الإمكان على أن يتفق مع زوجته على طريقة متسقة فى معاملتها لأبنائهما لأنه ليس أخطر على تنشئة الصغار من اختلاف الأبوين فى طريقة المعاملة ، وكثيراً مايؤدى هذ الاختلاف إلى انحراف الصغار وصعوبة تكيفهم للوسط .

خامساً — وأخيراً وليس آخرا ان عليه عبئا لا يستهان به فى تعليم أبنائه الذكور أنماط السلوك الاجتماعى المميز لجنسهم من أفراد المجتمع ، كما أن دوره فى تكوين الذات العليا لأبنائه و بناته كبير ، و يجب ألا يغيب عن باله ان تكوين ضمائرهم وتعليمهم مثل الجماعة ومبادئها وعقائدها لا يتم عن طريق النصائح والتوجيهات اللغوية لأن النمو العقلى والمعرفى للصغار لا يمكنهم من فهم المعنويات والرموز فإذا أراد مثلا أن يعلم ابنه احترام ملكية الغير أو الصدق أو الأمانة فلا يبدأ معه بشرح لغوى

ونصائح لغوية لإفهامه أن الاستيلاء على لعبة أخيه أو قلم زميله فى المدرسة شر ورذيلة وأن الصدق والأمانة خير وفضيلة ذلك لأنه لا يعرف الحكمة التى تختفى وراء هذه المثل كما انه لا يدرك معنى الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فهذه الرموز اللغوية على أسوأ الفروض بالنسبة له لغو لا معنى له، وعلى أحسن الفروض أوامر ونواه تستوجب الطاعة دون مناقشة أو محاولة لفهمها والاقتناع بضرورتها ، وإنما عليه أن يعلمه عن طريق القدوة الحسنة والمثل الصالح الذى يضرب به لأبنائه فيقلده دون عناء و بطريقة شعورية أحيانا ولا شعورية أخرى .

وعليه ايضاً أن يهىء له مواقف حقيقية تبيح له ممارسة هذه الفضائل والعادات ممارسة فعلية على مستوى بسيط حتى تصبح عادة مستأصلة فى نفسه .

سادساً — إننى أعتقد عن حق أن محك نجاح الأب فى تكوين شخصية أبنائه هو نجاحه فى كسب ثقتهم ومودتهم لدرجة يتخذون منه صديقا حكيما يلجأون إليه كلما اعيتهم الحيل فى حل مشكلة من مشكلات الحياة التى كثيراً ما تصادفهم فى هذه السن ، ويسرون إليه بأسرارهم ويتمتعون بذلك الشعور الجميل الذى يتميز بالراحة النفسية والاطمئنان الذى يشعر به المرء إذا كان له شخص قوى موثوق به يأتمنه على أسراره الدفينة

ويمكنني أن أقول مع الأسف أن معظم الآباء والأمهات في مصر لا يهتمون بصداقة أبنائهم وبناتهم وتشجيعهم على الالتجاء اليهم وقت الحيرة والقلق واستدل على ذلك بنتائج بحث قامت به الكاتبة على مجموعة كبيرة من الشابات الجامعيات ، إذ نفت الغالبية العظمى منهن أنهن يلتجئن إلى أمهاتهن أو آبائهن بأي سر من أسرارهن وذكر البعض أنهن لم يعودن على ذلك .

الفصل السادس

العلاقات الانسانية بين الابوين وأثرها على معاملتهما لابنائهما

انني اعتقد أن العلاقات الإنسانية بين الأبوين من أهم العوامل التي تؤثر فى نوع المعاملة التى يتلقاها الأبناء من آبائهم كما أنها تؤثر تأثيراً كبيرا على الجو السائد فى محيط الأسرة ، ذلك لأن الأبوين يقومان فى الأسرة بدور القيادة علاوة على دورهما كآباء وأمهات ويضربان لأعضاء الأسرة صغارا وكبارا الأمثلة التى يحتذى بها بطريقة شعورية ولا شعورية على حد سواء. فهما اللذان يوجهان ابناءهما لتعلم أنماط خاصة من السلوك الاجتماعى ويحددان مدى إفادة الصغار بالخبرة الاجتماعية السابقة فى محيط الأسرة ووسائل تعميمها فى مواقف الحياة المشابهة .

هذا وقد ثبت من ملاحظة سلوك الأفراد وما تعلموه من وسائل التكيف الاجتماعى كما ثبت من الأبحاث التى عملت عن علاقة التكيف الاجتماعى بماضى الفرد فى أسرته انه من السهل انتقال أنماط السلوك الاجتماعى الذى تعلمه الصغير فى محيط أسرته ، إلى مواقف الحياة خارجها ،

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بحثاً قامت به[1] بيشب Bishop .

لاحظت Bishop سلوك أربعة وثلاثين طفلا يتراوح أعمارهم بين ٤٠ ، ٦٧ شهراً (١٧ ولدا ، ١٧ بنتا) وذلك أثناء تعاملهم مع أمهاتهم ، ومع سيدة غريبة عليهم . ترك كل طفل مع والدته فى جلستين مدة كل منهما نصف ساعة وذلك فى حجرة من حجرات اللعب المزودة بمرآة ملاحظة وبعدد من اللعب والمجلات ، وأخبرت الأمهات بأنهن يشاركن فى إجراء تجربة علمية لدراسة سلوك الصغار فى حضرة البالغين . ثم ترك الطفل مدة مماثلة مع إمرأة لا يعرفها دربت تدريبا خاصا بحيث تستجيب له بطريقة مقننة ، وسجلت بيشب Bishop سلوك الصغير مع أمه . ومع السيدة الغريبة بالتفصيل ، وبعد دراسة الاستجابات لاحظت انه بالرغم من وجود فروق فردية فى الاستجابات بين التلاميذ وكذلك بين الامهات ، فقد كان سلوك كل متسقاً مع نفسه فى جلستى الملاحظة ، وكانت استجابات الصغار للسيدة الغريبة متسقة مع استجاباتهم لامهاتهم فيما يتعلق بالنزعة العدوانية ، ودرجة التعاون والمقاومة والتمرد على السلطة

ومعنى ذلك ان السلوك الاجتماعى الذى تعلمه الصغار فى محيط الاسرة

---

(1) Conger, J. J. , Mussen P. H "Child Development and Personality" p. 245.

قد انتقل وعمم إلى مواقف الحياة بخارجها بدليل استجابتهم للسيدة الغريبة نفس استجابتهم لأمهاتهم .

من ذلك نرى أنه من الضرورى ان نعمل على تحليل سلوك الأبوين واتجاهاتهم نحو الطفل ونوع العلاقات الاجتماعية السائدة بينهما ومدى تأثير ما يتمتعان به من استقرار نفسى على الصحة النفسية للابناء ، وذلك حتى نستطيع أن نفهم أى أنواع السلوك يمكن أن يتعلمها الطفل فى محيط الأسرة لتكون أساساً لتعامله الاجتماعى خارجها ، وأى أنواع السلوك ترتبط بالخوف والقلق الذى يميز سلوك كثير من الأطفال الذين يعانون من بعض الصعوبات النفسية التى تحد من تكيفهم للوسط .

والحق إن التفاهم بين الأبوين وتقدير كل منهما للاخر من أهم مقومات سعادة الأسرة ، لأنه يساعد على تغلبهما بسهولة على ما قد يحدث بينهما أحياناً من اختلاف فى وجهات النظر قد تنقلب نزاعاً مستمراً يهدد سعادة الأسرة ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية السائدة فيها ، كما يهدد أمن الصغير واستقراره النفسى . حقاً إن التفاهم يساعد الأبوين على التغلب على كل ما قد يعترض حياتهم العائلية من صعوبات و بذلك يتجنب الصغير الحيرة والتشتت بين هذين الاتجاهين .

أما إذا انعدم التفاهم بينهما أو قل بحيث يكثر تنازعهما أمام أبنائهما

ويكثر تبعاً لذلك الشجار والخلافات على أتفه الأسباب ، تعكر جو الأسرة العام ويحل العداء والشقاء محل الوفاق والمحبة والاتساق ومن ثم تنعكس حالة الأبوين على معاملتهما فتكثر أخطاؤهما معهم ويعم الشقاء الأبناء والآباء على حد سواء لأننا لا نتوقع من أبوين شقيين أن يسعدا أسرتهما لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

ولإثبات ذلك عملت عدة أبحاث نذكر منها بحث قام به باروخ « Baruch » على ٢٣ طفلا من أطفال الحضانة وأبويهم ممن يعانون بعض مشكلات التكيف ، وفى هذا البحث أمكن ترتيب الصغار على مقاييس للترتيب « Rating Scales » متعلقة بتقدير مدى تكيف الصغير لنفسه ولعائلته ولزملائه فى المدرسة فضلا عن تكيفه العام . وقد حصل الباحث على معلومات عن درجة استقرار الأبوين وتكيفهم العائلى من مقابلات شخصية دقيقة وعلمية .

بدراسة نتائج هذا البحث اتضح له أن هناك أسباباً متعددة للاحتكاك بين الأبوين وكان أكثرها أثراً على تكيف الصغار هى صعوبات التوافق الجنسى والمنازعات الخاصة بالرغبة فى السيطرة والخضوع ، كذلك ارتبط

---

(1) Baruah, O. W. "A Study of Reported tension in interparental relationships as co-existent with behavior adjustment in young children" J. exp. Educ. (1937) Vol VI p. 187-204.

عدم استقرار الصغار الانفعالى ببعض العلاقات الاجتماعية الأخرى بين الأبوين وما ينتج عنها من نزاع واحتكاك، مثل عدم مراعاة كل منهما لشعور الآخر وعدم القدرة على تبادل الآراء فيما يعترضهم من مشكلات .

أما الخلافات التى تنشأ عادة حول شغل أوقات الفراغ أو العوامل المالية والاقتصادية أو الاختلاف فى الذوق فلم يكن لها أثر يذكر على الاستقرار الانفعالى للصغار .

كذلك وجد أن الآباء غير الراضين عن حياتهم الزوجية كانوا غير قادرين على تعليم أبنائهم حسن التكيف إذ من الطبيعى أن يمنعهم ما يشعرون به من شقاء من أن يوجدوا مواقف اجتماعية خالية من التوتر والعداء يتعلم فيها الصغيران التعاون والعمل الجماعى نشاط مرض ومفيد ؛ بل على العكس من ذلك كانت معاملتهم لابنائهم يسودها العداء والعنف مما جعل الصغار يستجيبون لهذا الجو إما بالقوة والتحدى وإما بالانطواء والابتعاد عن الاختلاط بالناس وصعوبة التكيف للمجتمع .

—كذلك ثبت من هذا البحث أن ظروف الآباء ومامر بهم من خبرات فى مرحلة الطفولة فى محيط الأسرة كانت مسئولة عن صعوبة تكيفهم ، وكان أقل الآباء قدرة على التكيف هم الذين كانوا يرغبون فى الاعتماد على الغير أطول وقت ممكن كما كانوا يفعلون وقت طفولتهم ، أو الذين كانوا

يحاولون التعويض عما فاتهم من حب وهم صغار (١) كذلك كانت أكثر الأمهات نزاعا مع أزواجهن من اللاتى عانين من تنازع والديهم باستمرار .

ويجدر بنا قبل أن نترك هذا البحث أن نذكر القارىء إلى أن البحث السابق عمل فى الولايات المتحدة ولذلك كان من الطبيعى أن تختلف الأسباب الرئيسية للنزاع بين الأزواج عن تلك الأسباب فى مصر . وقد قمت ببحث سريع أثناء تأليف هذا الكتاب لترتيب الأسباب التى تعتبر من دواعى النزاع الأساسية بين الوالدين فى مصر حسب أهميتها وعملت استفتاء لهذا الغرض أعطى لمجموعات ثلاث . مجموعة من ربات البيوت وأخرى من الازواج وثالثة من الطالبات الجامعيات ، ووجدت أن الأسباب الاقتصادية والنزاع المتعلق بالأقارب فى مقدمة الأسباب المسئولة عن تعكير صفو العلاقات الاجتماعية فى الأسرة وكانت الأسباب المتعلقة بتنازع السلطة واضحة بين الزيجات المتعلمة فى مصر بينما كانت فى المرتبة الثالثة فى الطبقات الدنيا .

وسيأتى شرح هذه الأسباب تفصيلا فيما بعد وإنما قصدت من

---

(1) Carmichael, L. (1954) "Manual of Child Psychology" New York p. 1151.

الاشارة إليها هنا إيجاد نوع من المقارنة بين أسباب النزاع الرئيسية فى الولايات المتحدة ومصر .

كيف يؤثر الشقاق بين الوالدين على معاملتهما لابنائهما

يؤثر الشقاق والتنازع الدائم بين الأبوين على معاملتهما لابنائهما كما يؤثر اتجاه الصغار نحوهما ويمكن اجمال هـــذا التأثير فى النواحى الآتية : —

إن التوتر والنزاع الدائم بين الأبوين قد يؤدى إلى تنافس كل منهما فى اكتساب محبة أبنائهما وكثيراً ما يشغلهما هذا التنافس احدهما أو كلاهما عن توجيههم وحسن تنشئهم ، ومع ذلك فلن يخدع هذا التنافس الصغار وسرعان ما يتحدد اتجاه الصغير نحو كل منهما ، فقليل منا يعلم أن الطفل منذ الطفولة المبكرة حساس لمعاملة كل من والديه للآخر وعلى الأخص فيما يتعلق بمعاملة والده لأمه ، فإذا كانت هذه المعاملة قاسية، انحاز الصغير لأمه وتوترت علاقته بأبيه كلما حاول إثارة نزاع ، فإذا ما زادت هذه المواقف عن درجة معينة ، ابتعد الصغير عن أبيه وربما كرهه وفى هذه الحالة يعانى عادة صراعا نفسياً مؤلما لأنه يشعر انه فى حاجة إلى محبة أبيه وكسب مودته والاقتراب منه . والتشبه به . ولـكن موقفه من أمه يعقد علاقته معه فيرغب فى الابتعاد عنه .

وكثيرا ما تزيد الأم الأمر تعقيدا إذ أن تعاستها فى حياتها الزوجية قد تدفعها إلى التعلق بابنها وغمره بالمحبة والافراط فيها فتفرض عليه نوعا غير صحى من الحماية والرعاية لدرجة تمنع شخصيته من النمو وتمنعه من الفطام السيكولوجى، فيشب قليل الحيلة لا يستطيع الاعتماد على نفسه والتصرف فى أموره ، كما أن شدة تعلقها به يجعلها تجيب له كل طلباته المعقول منها وغير المعقول فتجنبه بذلك تجربة المواقف التى يتعلم فيها أن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وتحرمه من الشعور بالاحباط أحيانا وهو ضرورى ، إذا لم يزد عن الحد المعقول لبناء الشخصية وتكاملها لانه يعوده على مواجهة ما يصادفه فى حياته من صعاب وفشل دون أن تتأثر صحته النفسية

ويقول بعض علماء النفس وعلى الاخص[1] المحللون النفسيون أن الأم التى تفرط فى حبها لابنها وتغدق عليه الحماية الزائدة هى فى الواقع تمهد له السبيل لكى يتعلق بها أشد التعلق ، وقد تخلق فيه رغبة شديدة فى أن يحل محل والده عندها ، كما تدفعه إلى التنافس معه على اكتساب ودها وعطفها ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن موقف الاب فى الأسرة يجعله المصدر الأكبر للسلطة ومرجع مثل الجماعة ومبادئها التى كثيرا ما تتعارض مع دوافع الصغير ونزعاته الذاتية ، اتضح لنا لماذا كانت الظروف مساعدة لها

(1) Carmichael (1954) "Manual of Child Psychology."

على تعكير علاقة الابن بوالده . إذا أرادت ، وهكذا تتوفر فى جو الاسرة مقاومات عقدة أو ديب خصوصا إذا زاد ضغط الوالد على الصغير اثناء محاولته توجيهه ، أو إذا كان دكتاتوريا فى معاملته له.

فى مثل هذه الظروف يصبح نفور الابن من والده من الامور المتوقعة ، فيغار منه وقد يكرهه ويكون لهذا الشعور وقع غير محمود العواقب على صحته النفسية يشعره بالذنب والخطيئة لأنه سلوك مكروه من الجماعة التى يعيش بينها ، ولهـذا يحتفظ به لنفسه ولا يستطيع أن يجد له منه مخرجا بالقول أو بالفعل ، ومما يزيد الأمر سوءا أنه لايلبث أن يتبين عدم جدوى تنافسه مع أبيه فينكمش وقد يفقد ثقته بنفسه لدرجة تجعله يحجم عن التنافس مع قرنائه من أفراد المجتمع خارج محيط الأسرة إذا استدعى الأمر ذلك، ويضيف كارميكل « Carmchael » أن مثل هؤلاء المراهقين يكونون فى العادة موهوبين لدرجة كبيرة ولـكن نجاحهم فى الحياة لا يكون كبيرا ولا يتناسب مع مواهبهم الـكبيرة لأنهم لاينتهزون ما يتاح لهم من فرص ، كما أنهم يحطمون نجاحهم بأيديهم لأنهم لا يتصرفون على مستوى الراشدين الناضجين و إنما يحتفظون بوسائل الصغار فى مقابلة مواقف الحياة و يقبعون فى عقر دارهم تحت تصرف أمهاتهم وذلك لأن خوفهم اللاشعورى من الفشل وعداءهم لأفراد المجتمع الذى

يحيط بهم يجعلهم يحجمون عن التنافس من جهة ويربطهم بأمهاتهم من جهة أخرى ، ويجدون فى الاعتماد على الأم والتبعية لها صمام أمن لهم يجنبهم خوض معارك الحياة بعزم وتصميم على النجاح كما يفعل غيرهم ممن لم يتعرضوا لهذه الظروف .

وقبل أن ننتهى من هذا الموضوع أحب أن ألفت نظر القارىء إلى أن عقدة أوديب وما تتضمنه من تعلق الصغير بأمه واعتماده عليها ومعاداته لأبيه ليست من الأمور الحتمية التى لامفر منها ، وقد ينشأ بعض أولادنا خلوا من هذه الاضطرابات الانفعالية . ولهذا كان من أهم نواحى النقد التى وجهت إلى عقدة أوديب وتعلق الصغير بأمه ومعاداته لوالده ، هو أن فرويد « Freud » افترض انها عالمية ولا يمكن تلافيها . على أن ماقام به علماء الأنثروبولوجيا [1] . من أبحاث اثبتت عدم صحة الفرض السابق وأكدت أن ظهور هذه العقدة يتوقف على تركيب الأسرة فى المجتمع ومركز كل من الأب والأم فيها ، ففى ميلانيزيا مثلا يلعب الأب دور الشخص البالغ اللطيف الذى يمضى معظم وقته مداعبا للصغار بينما يقوم الخال بمهمة تأديبهم؛ فى مثل هذا المجتمع لا يمكن أن يكون الأب موضع كره ولا يمكن أن يعمل « كمنافس يقف فى طريق الطفل فيرغب فى ازاحته » .

---

(1) Mussen p H & Conger J. J. (1956) Child development and personality pp. 238-39.

كذلك ذكر إجان Eggan انه لا توجد ادلة عن وجود عقدة أوديب بين هنود هوبى Hopi إذ يوزع أطفال هذه المجموعة محبتهم على عدد كبير من الاقارب ولهذا لا يوجد هناك مجال للمنافسة بين الابن وأبيه. كذلك يذكر هونجمان « Honigmann » .

« يرى معظم المشتغلين بدراسة الشخصية والحضارات البشرية أن الطفل يظهر عداء لأبيه فى بعض المجتمعات وقد يصحب ذلك تنافس على حب الوالدة وكسب رضاها وعنايتها ، على أن هذا السلوك يتوقف على ظروف الأسرة وأكثر ما يكون ظهورا فى الأسر الصغيرة حيث يرتبط الصغير ارتباطا وثيقا بوالديه . ويعتبر أى تقصير من أيهما مدعاة لتوليد الغيرة . وطبيعى أن يتجه الصغير إلى معاداة والده لأنه أكثر ارتباطا بأمه بحكم وظيفتها ومركزها منه » .

كذلك قد يكون من نتائج التنازع بين الوالدين انصرافهما أحدهما أو كلاهما عن الرغبة فى الصغير ، وذلك لأن كلا منهما يرى فى ابنه صورة الطرف المكروه فترى الأم ابنها صورة مصغرة من أبيه الذى تكره حياتها معه وتعتبر مجيء الصغير مدعاة لإطالة أمد هذه المعاشرة غير المرغوب فيها . وهذا يدفعها إلى عدم الرغبة فيه والانصراف عنه وقد تكون هذه الرغبة عن ابنها شعورية أو لاشعورية ، وقد تتأثر معاملتها له حتى ولو

كانت تسير على جدول ونظام دقيق يوفر له العنـــاية بالنمو العضوى وما يتعلق به من تغذية وراحة جسمانية ، ولما كنا نعلم كما سبق أن ذكرنا أن العبرة ليست بإشباع حاجات الصغير الفسيولوجية وعدد الساعات التى تقضيها الأم بجانب صغيرها وإنما فى طريقة الأمومة ونوعها ومدى توفير الجانب الروحى للأمومة ، أمكننا أن نتبين مدى الأضرار التى يمكن أن تلحق بالصغير فى مثل هذه الأسرة .

ويذكر المحللون النفسيون أن الأم الراغبة عن ابنها قد تمنعه من أن ينمو نمواً طبيعياً سليما ، وكثيراً ما تـكون نتيجة هذه الأمومة أحد أمرين إما أن يتأثر لاشعورياً بمعاملتها غير السوية ، ويبدو عدم رضاه عن سلوكها معه فى صورة مقنعة فيصبح قلقاً عليها دون مبرر ، مشفقاً على ما قد يصيبها من ضرر أو مرض ، كما يبدو غير مستقر حساساً عصبياً قليل الثقة فى نفسه ، وقد يتطرف فى الخوف والقلق لدرجة تجعل منه شخصاً مريضاً ويتدخل هذا الشعور بالقلق فى تعامله مع المجتمع وفى كفايته الإنتاجية ، وإما أن يجاهر بعدائه المبالغ فيه لأمه وللجنس الآخر فيقسو عليها ويسىء معاملتها وتتعقد علاقاته بالجنس الآخر وتتميز بالقسوة وعدم الاتزان .

هذا ولا يقتصر عدم قدرة الصغير على التـكيف للوسط على محيط الأسرة بل أنه يعمم ما تعلمه من سلوك اجتماعى فى أسرته إلى مواقف

حياته خارجها فيبدو غير قادر على التكيف للوسط المدرسي وللمجتمع الكبير خارجها ، وكثيرا ما يعاني صعوبات نفسية قد تفسد عليه حياته ، وقد عملت أبحاث كثيرة لإثبات هذه الحقائق نذكر منها بحث قام به فيلد[1] Field على ٢٥٠ طفلا من الأطفال المنحرفين والذين يعانون صعوبات خاصة . بدأ فيلد بتحليل مجال كل طفل على حدة تحليلا دقيقاً ومعرفة الظروف التي تتحكم في جو الأسرة ووجد أن ٩٢٪ منهم كانوا غير مرغوب فيهم من أمهاتهم ، ٦٤٪ من آبائهم .

ثم درس مجتمع الأمهات ووجدهن جميعا غير متزنات فبعضهن معتديات قاسيات والبعض الآخر إما متساهلات لدرجة الإفراط وإما عصبيات أو غير ناضجات وكانت علاقتهن جميعا بأبنائهن متوترة فقاسي الصغار إما من « قلة الحب والحنان » وإما من « النظام القاسي » الذي يميز بالعقوبة الشديدة والنقد اللاذع وتعيير الصغار بنقائصهم ومقارنتهم بغيرهم من الصغار الممتازين أو المحظوظين . كذلك وجد أن السبب في عدم قدرة الأمهات على حسن التكيف هو ماضيهن في أسرهن وقد ذكرن جميعا فيما عدا اثنتين أن طفولتهن كانت تعيسة .

---

(1) Field M (1940) Maternal attitude found in twenty-Five Cases of children with primary behaviour disorders' Am. J. Ortho psychiat." Vol Io p. 293-312

أما دراسة مجتمع الآباء فقد أسفرت عن أنهم كانوا متزنين فيما عدا اثنين ، كذلك كانت طفولتهم أكثر سعادة من طفولة الأمهات غير أنهم كانوا غير مستعدين لتحمل أعباء الأسرة ومسئوليات الأبوة .

كذلك درس نيـــويل Newell ٧٥ طفلا من الأطفال غير المرغوب فيهم من زوار إحدى العيادات النفسية وقارنهم بمجموعة أخرى من الأطفال العاديين الذين لم يرغب عنهم والداهم ، وراعى الباحث اتساق المجموعتين فى عدد أفراد الأسرة وفى مركز الصغار فيها واعتبر الصغار غير مرغوب فيهم إذا كانت أمهاتهم راغبات عنهم ولم يرحبن بقدمهم أو كن قاسيات فى المعاملة أو كن غير مهتمات بهم أو عصبيات غير مستقرات . كذلك دل تحليل التاريخ النفسي للوالدين كما دلت المقابلة الشخصية على أن الخلاف العائلى بينهما كان أكبر فى مجموعة المنحرفين عنه فى مجموعة السويين فبينما ذكر ٥٠ ٪ من آباء المنحرفين عدم رضاهم عن حياتهم الزوجية لم يشك من ذلك إلا القليل من مجموعة السويين. كذلك كانت طفولة الآباء الذين لا يرغبون فى أبنائهم غير سعيدة كما كانت أسرهم مفككة بينما شكى من هذا الوضع قليل من آباء مجموعة الأطفال السويين.

هذا وكانت غالبية الآباء فى مجتمع المنحرفين قساة فى معاملة ابنائهم

أما الأمهات فلم تكن معاملتهن ثابتة بل تأرجحت ٦٦ ٪ منهن بين إظهار الحب الشديد والقسوة الكبيرة فى معاملتهن لأبنائهن [1] .

وأخيراً وليس آخراً فقد ثبت أن هناك علاقة بين اتجاه كل من الجنسين نحو الجنس الآخر وبين ما مر بالفرد وهو صغير من تجارب وخبرات فى محيط الأسرة خصوصاً ما كان منها متعلقا بعلاقة والديه كل منهما بالآخر ، فإذا انحدر الفرد من أسرة كثر فيها التنازع بين الوالدين وشجارهما لدرجة أشاعت فى الأسرة جوا من الشقاق والتعاسة فإننا كثيراً ما نجده يهاب الزواج ويحاول الانصراف عنه لأن تكوين أسرته يذكره بما مر به من قلق وخوف زعزع شعوره بالأمن والاطمئنان وقت أن كان أحوج ما يكون إلى هذا الأمن ، كما تذكره عن اقتناع بأن فشله فى اختيار الزوجة التى تناسبه كفيل بإشقاء الأسرة كلها . ويحضرنى فى هذه المناسبة مثال فتاة على جانب غير قليل من الجمال تعلمت تعليما عاليا ومع ذلك فقد كانت تهاب الجنس الآخر وترفض يد من يتقدم إليها من الشبان وبسؤالها عن السبب فى هذا الرفض المستمر للمتقدمين للزواج منها دون مبرر ، ترددت ثم ذكرت أنها تخاف أن يحدث لها مع أحد هؤلاء المتقدمين ، ما حدث لوالدتها مع والدها الذى يسىء إليها لدرجة تخيفها

(1) Mussen, P. H. Conger , J. J. (1956) "Child bevelopment and Personality page, 337.

كلما فكرت فى الزواج .

ومن ذلك نرى أن العلاقة بين الأبوين على جانب كبير من الأهمية فى توفير جو الود والمحبة الملائم للنمو النفسى السوى ولذلك كان من الضرورى أن نعمل بقدر الإمكان على توفير هذا الجو إذا كنا نريد أن نربى أفراد المجتمع تربية سوية .

ويجدر بنا ونحن نتعرض لهذا الموضوع أن نمر مراً سريعاً على الظروف التى توجه العلاقة بين الأبوين فى محيط الأسرة فى الجمهورية العربية المتحدة أو على الأقل فى الأقليم الجنوبى منها لنرى إلى أى مدى ساعدت هذه الظروف على توفير الجو الصالح وماهى نوع العلاقات الانسانية الغالبة بين الأبوين بها .

هذا وتدل دراسة ظروف تكوين الأسرة فى مصر على أن هذه الظروف غير مواتية ولا تؤدى إلى استبعاد التنازع والشقاق بين الوالدين ، والحق إن جو الأسرة فى مصر ليس أفضل الاجواء لتعليم الأبناء العلاقات الاجتماعية السامية ولضمان سعادتهم وسهولة تكيفهم للوسط ولسنا هنا فى مجال الكلام تفصيلا عن الظروف التى تحدد العلاقة بين الأبوين فى مصر ولذلك سنمر بها مراً سريعاً مسترشدين فى بعض الأحيان بنتائج بحث مبدئى قمت به عن أسباب التنازع بين الأبوين فى مصر . وفيما يلى هذه الأسباب .

أولا — اختلاف الأبوين فى درجة التعليم والثقافة كثيراً ما يكون سبباً فى عدم فهم أحدهما للاخر و بالتالى فى كثرة النزاع والشقاق بينهما ، ذلك لأنه كثيراً ما يكون الزوج متعلماً وعلى درجة لا بأس بها من الثقافة بينما تكاد تكون الزوجة أمية لا تزيد ثقافتها على مجرد القراءة والكتابة ، وقد ينشأ عن ذلك عدم فهم كل منهما للاخر واختلاف فهمهما للحياة وفلسفتها، ففى محيط الطبقة المتوسطة نجد زوجة ترى متع الحياة فى « أكلة » طيبة أو « نزهة » جميلة ولذلك فهى تنفق معظم ميزانية الأسرة على هذين البندين دون النواحى الأخرى ، وهناك أخرى تتغالى فى الصرف على زينتها وملابسها دون مراعاة لميزانيتها وهل تكفى لقضاء حاجيات أبنائها ومنزلها ، وهكذا ينشأ الاحتكاك بين الأبوين، ومما يزيد الأمر سوءاً عدم استطاعة الأب تقدير ظروف زوجته والتغاضى عن بعض أخطائها المترتبة على قلة خبرتها بالحياة بل على العكس يعيّرها بجهلها ويذكرها بهذا النقص باستمرار ، وكثيراً ما يؤدى هـــذا الوضع إلى اختلافهما فى فكرتهما عن تنشئة الأبناء ، فاذا نهى الأب ابنه عن نوع ما من أنواع السلوك . شجعته الأم على الاستمرار فيه فى غيبة أبيه وأظهرت له عدم موافقتها على تصرفه ، وليس من شك فى أن لهذا الاختلاف أسوأ الأثر على تنشئة الصغار .

ويحضرنى فى هذه المناسبة المثال الآتى : ـ أسرة كان ربها رجلا من رجال العلم المشهود لهم بالذكاء وسعة الاطلاع فى مادته ، تزوج وهو صغير السن بفتاة ريفية ، فلما شب وأتم تعليمه وجد أنهما لا يتفقان فى طريقة التفكير ولا تربطهما هواية كما لا يتفقان فى الأمزجة والمشارب ، فبعدت الشقة بينهما تدريجيا حتى أصبح يرى فيها مثالا للريفية الساذجة التى بلغت من تفاهة التفكير درجة البلاهة (هكذا كان يصفها) فكان يعارضها فى كل ما تقول أمام أبنائه وينتقدها أمام الناس ، وبلغت به التعاسة والشقاء أنه كان يهرب من منزله طول اليوم إلى القهوة ، وهكذا شقيت الأم وشقى الأب وعانى الأبناء من هذا الشقاء الشىء الكثير .

ثانياً — كذلك قد يكون سبب كثرة التنازع والخلاف بين الأبوين فى بعض الأسر المصرية ليس جهل الأم وإنما علمها الذى كان له نتيجتان، الأولى راجعة إلى أن عهد الفتاة بالتعليم فى مصر غير بعيد،ففى سنة ١٩٣٠ كان عدد الفتيات اللاتى حصلن على تعليم ثانوى يعد على أصابع اليد الواحدة ، على أن المجتمع اتجه منذ ذلك الوقت إلى العناية بتعليم الاناث تعليما لا يختلف عن تعليم الذكور ، فالتحقت الفتاة بالجامعة وحصلت على الأستاذية فى الجامعات كما حصلت على حق الانتخاب والتمثيل النيابى ولكن كثيرا من الفتيات المصريات مع ذلك لم يتكيفن لهذا الوضع

الجديد تكيفا يمنعهن من المبالغة فى تقدير أهمية النجاح الذى حصلن عليه فى هذا المجتمع الشرقى الذى يحتل فيه الرجل بحكم مركزه فى الأسرة مركز الصدارة ، وكثيرا ما تدفعهن رغبتهن الشعورية واللاشعورية فى محو أثر الأجيال السابقة التى غبنت الفتاة وأضاعت حقوقها التى تمتعت بها المرأة العربية فى صدر الإسلام ، إلى المبالغة فى طلب المساواة بالرجل والمبالغة فى الدفاع عن حقوقهن مبالغة أنست بعضهن أحيانا وظيفة المرأة الأولى فى المجتمع كزوجة وأم وربة بيت وملاك رحمة ، لهذا لجأت الزوجة المتعلمة فى كثير من الأحيان إلى تنازع السلطة بينها وبين زوجها ، وقد أدى موقفها هـذا إلى اندلاع نار الخلاف والنزاع بينهما لأسباب تافهة تتجاهلها المرأة العاقلة ، لهذا لا نستغرب أن يكون جو الكثير من الأسر فى مصر جو يسوده الشقاق والنزاع بين الأبوين .

والنتيجة الثانية التى ترتبت على تعليم المرأة هى عدم رضاء الرجل الشرقى عن موقف المرأة العصرية منه ، وقد يكون عدم الرضا هذا واضحاً فى كلامه ومعاملته لها ، وقد يكون لاشعوريا ، ذلك لأن العناية بتعليم المرأة جعلتها تشغل كثيراً من المناصب التى كان يشغلها وأظهرت كفاية لا بأس بها فتزعزع شعوره بالأمن لأنه لايستطيع الآن أن يقنع نفسه اقناعا تاما أنه لا زال متفوقا تفوقا ساحقاً ، كما كان يفعل منذ نصف قرن بعد أن

قربت المسافة الاجتماعية بينهما ، هذا وقد ظهر تزعزع شعوره بالأمن فيما نراه فى معاملتها من نزعة عدوانية سافرة أو مقنعة قد تكون فى صورة « نكتة » أو « مباسطة » أو « سخرية » أو نقد ، كما تبدو فى تحيزه لجنسه أو تحيزه ضدها فى كثير من المواقف التى يمثل هو فيها دور الحكم ، والتحيز كما نعلم أحد مظاهر الصراع التى قد يكون خافيا عن صاحبه .

ثالثاً — قد يكون فارق السن بين الزوجين من دواعى كثرة الشقاق وعدم الوفاق بينهما فكلنا يعلم أنه قد يحدث فى المجتمعات الشرقية وعلى الأخص فى البيئات الريفية التى يكثر فيها تعدد الزوجات ، إن تتزوج فتاة فى السابعة عشرة من عمرها برجل فى العقد السابع من عمره ، ففى مثل هذا الزواج لا يلبث كل منهما أن يتبين انه لا يستطيع أن ينعم بصحبة الآخر ... فهى غير قادرة على أن تتكيف للوسط الذى أعده لها لاختلافهما فى وجة نظرهما للأمور وفى طريقة التفكير والأمزجة ، ولا يلبث هو أن يكتشف فيها طفلة غريرة قليلة الخبرة بالحياة .

رابعاً — قد تعمد الأسرة إلى ارغام ابن أو بنت على الزواج بشريك حياة لا يريده وليس بينهما أى توافق لا لسبب إلا لأنه قريب أو صديق العائلة ، هذا النوع من الزواج وإن نجح فى بعض الأحيان إلا أنه كثيراً ما يكون سبباً فى شقاء أحدهما أو كليهما فيسود جو التوتر الأسرة بأسرها .

خامسا ـ كذلك ثبت من بحث قمت به لمعرفة أسباب النزاع بين الزوجين لترتيب هذه الأسباب حسب أهميتها أن ضعف المستوى الاقتصادى للأسرة فى الإقليم الجنوبى وارتفاع مستوى المعيشة من الأسباب الهامة للاحتكاك بين الزوجين ،هذا .وقد تصدر هذا السبب الاقتصادى الأسباب الأخرى عكس ما أثبته بحث باروخ السابق الاشارة إليه ، ويلاحظ أن عدد الآباء الذى أجرى باروخ عليهم البحث غير كاف للتعميم،ومع ذلك فيمكننا أن نقول ربما كان السبب فى ضعف أثر الأسباب الاقتصادية فى الولايات المتحدة على العلاقات العائلية هو ارتفاع مستوى دخل الأسرة نسبياً وقدرة المرأة الأمريكية على أن تكيف نفسها وميزانيتها حسب ميزانية زوجها ، فلا تتطلب منه أكثر مما يطيق بينما كثيرات من الزوجات المصريات لا يستطعن عمل ميزانيات مضبوطة، ولذلك كثيرا ما يتجاوزنها، كما أن بعضهن يظهرن بمظهر يفوق ما تستطيع ميزانية الأسرة تحمله ، ولذلك كان مجال نزاعهن مع أزواجهن حول النواحى المادية أكبر .

كذلك يعتبر النزاع حول الأقارب فى مصر من الأسباب القوية التى تعكر جو الود والصفاء وتسىء إلى العلاقات الاجتماعية فى محيط الأسرة ، وكثيرا ما تكون سببا فى هدم سعادتها بعكس ما اثبتته نتائج

بارونج السابق الاشارة إليها ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى الروابط المتينة التى لا زالت تربط أفراد الأسرة فى مصر بعضهم بالبعض الآخر حتى بعد زواج الأبناء، الأمر الذى يجعل من الأمور المألوفة تدخل الأم والأقارب فى حياة ابنائهم وبناتهم بما فى ذلك المتزوجين منهم ، ولهذا يكثر النزاع حول الأقارب وتدخل الأقارب ولا سيما الحماة التى قد تتدخل فى تنشئة الصغار تدخلا يزيد فى صعوبة تكيفهم للوسط .

مثل هذه الأسباب وغيرها كثيرا ما تكون سببا فى شعور الأبوين بنوع من الاحباط والتوتر الذى ينعكس على معاملتهما لأبنائهما كما سبق أن ذكرنا .

وهنا نتساءل كيف نستطيع أن نصلح الظروف التى تؤدى إلى تنازع الأبوين فى الاقليم الجنوبى حتى تضمن سلامة الصحة النفسية للابناء ؟

الجواب عن هذا السؤال ليس من السهل فى شىء حيث تتم كثير من الزيجات بمعرفة الأب أو رب الأسرة وحيث تتدخل العادات والتقاليد وخاصة فى المجتمعات الريفية وفى الطبقة المتوسطة — فى اختيار الزوج أو الزوجة ، ومع ذلك يمكننا أن نخطو خطوات لا بأس بها إذا راعينا الارشادات الآتية . . .

— اقتناع الآباء بأن مهمة اختيار الشاب لشريكة حياته وبالعكس

هى أولا وقبل كل شىء مهمة الشباب ، لأن تدخل الآباء فى ذلك كثيرا ما يؤدى إلى اجبارهم على الزواج من زوجات لا توافق بينهم فى المشارب والأمزجة وطريقة التفكير وهى نواح ضرورية لسعادة الاسرة وقلة الاحتكاك بين الآباء .

العمل على اتاحة الفرصة للشباب من الجنسين للتعرف بعضهم على البعض الآخر فى محيط الأسرة وعن طريق الاختلاط فى دور العلم وأندية الشباب وساحات التربية الرياضية والنشاط الاجتماعى الموجه ، وذلك حتى يتم الاختلاط فى جو طبيعى موجه يتيح لكل جنس دراسة الجنس الآخر عن كثب ، كما يتيح لكل شاب اختيار شريكة حياته التى تضمن له سعادته وسعادة ابنائه .

العمل على تدريب الأبناء وتربيتهم على فهم الحيـــــاة العائلية ومسئولياتها وذلك باعداد برامج تعليمية داخل المدارس والمعاهد وعن طريق الاذاعة والصحافة بحيث تبصرهم بطبيعة العلاقات الانسانية التى تربط أفراد الاسرة بعضهم بالبعض الاخر ووظيفة كل من الاب والابن وإعداد برامج للارشاد « Counselling » لتوجيه الآباء وإرشاد الأبناء المقبلين على الزواج .

كذلك على الشباب المقدم على الزواج أن يعلم إن الزواج يجب أن

يبنى على التفاهم والحب والوفاء بين الزوجين وهذا لا يتم إلا إذا بنى الاختيار على تقدير كل جنس لأفراد الجنس الآخر ، وإلا إذا تأكد الطرفان بقدر الإمكان من اتفاقهما فى المزاج والمثل ونظرتهما إلى مشاكل الحياة ، ويتم هذا على وجه مرض إذا أتيح اختلاط الجنسين فى ظروف طبيعية فى محيط الأسرة ، ودور العلم والمؤسسات الاجتماعية .

أما حيث يتعذر على الفتى والفتاة الاختلاط بسبب عادات اسرتيهما وتقاليدها ؛ فلا أقل من أن يعمل كل منهما على اختيار شريك حياته من وسط يتفق فى مستواه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية مع الوسط الذى نشأفيه إذ ليس من الحكمة مثلا أن يلجأ شاب متعلم من أسرة متواضعة إلى خطبة فتاة من طبقة ومستوى اجتماعى اقتصادى أعلى كثيرا من مستواه ، معتمدا على ثقافته ومؤهلاته العلمية ، أو على مركزه الاجتماعى ذلك لأن مثل هذه الفتاة تعودت أن تعيش فى ظروف اجتماعية غير ظروفه فلن تقنع بما يقدمه لها . فمعايرها الاجتماعية ، والتقليدية مخالفة لمعاييره وعرفه ، ونظرته إلى الحياة مخالفة لنظرتها ، وكثيراً ما ينتهى هذا الزواج بالفشل ، أو على الأقل إلى شعوره بنوع من النقص قد يحاول تعويضه بطريق سليم أو بطريق يهدد سعادة الأسرة بأسرها ، وتكثر المنازعات بينه وبين زوجته كما تشاع الفرقة بين أفراد الأسرة جميعاً وينعكس ذلك على معاملتهما لأبنائهما .

وأخيراً أنصح للشباب من الجنسين أن يبتعدوا عن زواج المصلحة بقدر الامكان و الا يتزوجوا لأسباب مادية أو طمعا فى مركز اجتماعى أكبر ، لأن هذه الأسباب خارجة عن طبيعة تكوين الأسرة ، وكثيرا ما يزول بريقها بعد الزواج بوقت قصير فتتفتح أعينهم عن حقائق مرة و يتبينوا أخطاءهم ولكن بعد فوات الأوان و بذلك يجنون ليس فقط على أنفسهم، وإنما على صغارهم المساكين .

الفصل السابع

علاقة الصغير بإخوته وأثرها على تكيفه للمجتمع

من العلاقات الإنسانية الهامة التى يكونها الصغير فى محيط الأسرة هى علاقة الصغير بإخوته ، ذلك لأن الصغير الذى يعيش فى أسرة كبيرة يتمتع بامتيازات كثيرة يحرم منها الطفل الوحيد ، ومن أهم هـــذه الامتيازات ما يلى :

أولا — الطفل الذى ينتمى إلى أسرة كبيرة يتمتع بصداقة وعطف وصحبة إخوته ، ويشعر بسعادة لتمتعه بهذا الحب ، فيجد فى إخوته رفقاء اللعب الذى يسعد الصغير أكبر سعادة ، ويجد فيهم أخوة تؤنس وحدته ، بعكس الطفل الوحيد الذى يفتقد رفقاء اللعب طول اليوم فى محيط الأسرة وافتقاده لهم كثيراً ما يسبب له القلق وعدم الاستقرار .

ثانياً — إن اجتماعه بإخوة يتقاربون معه فى السن يعتبر فرصة لا تعوض لتعويده على أنماط هامة من السلوك الاجتماعى تساعد أكبر مساعدة على تكيفه للمجتمع الكبير خارج محيط الأسرة ، فهى تعوده

بطريقة طبيعية كيف يتعاون مع غيره من أفراد المجتمع ، وكيف يسعد بالعمل الجماعى ، فإذا وجد توجيهاً مستمراً نحو العمل الجماعى والتعاون ، فإنه يشب مواطناً صالحا غير أنانى ، ويجد متعة فى التعاون مع غيره ، كذلك تعلمه عيشته كأحد أفراد أسرة كبيرة الغيرية وتحمل المسئولية ، لأن كثرة عدد الأولاد يجعل الأم لا تستطيع أن تلبى له كل طلباته ، وأن تعطيه كل ما يحتاجه من وقت وعناية ، وهكذا يتعود الصغار فى سن مبكر كيف يعتمدون على أنفسهم فى قضاء حاجياتهم ، ويبدو ذلك بصورة جلية إذا قارنا طفل يعيش فى أسرة كبيرة يتمتع فيها بخمس إخوة أوست ، بطفل آخر وحيد ، أو بطفل ينتمى إلى أسرة صغيرة لا يزيد الأطفال فيها عن اثنين ، فإننا نجد الأول نزعته الاستقلالية واضحة يعتمد على نفسه إلى حد كبير ، بينما نجد الثانى معتمداً على أمه أو من يقوم مقامها لا يستطيع أن يتحمل المسئولية بسهولة .

علاوة على ذلك ، فإننا نجد طفل الأسرة الكبيرة يتعلم نوعاً آخر من السلوك الاجتماعى على جانب كبير من الأهمية لاطراد نمو الفرد والمجتمع معاً ألا وهو الغيرية ، ذلك لأن احتكاكه بإخوته منذ ولادته تجعله يشعر بأن هناك أفراداً غيره فى مجتمع الأسرة ، وأن تكيفه لهذا المجتمع يجعله يتوقع أن يفيد منهم ويفيدهم ، فلابد له أن يتقبل مايعطونه له وأن يعطيهم

ما يحتاجون اليه بمعنى. إنه لا يكون كالطفل الوحيد يتوقع أن يأخذ وقلّ أن يعطى ، وهذا النمط من السلوك الاجتماعى يعمم فى مستقبل حياة الصغير فيكون أكثر فهماً لماله من حقوق وما عليه من واجبات .

ثالثاً — يتمتع طفل الأسرة الكبيرة علاوة على ماسبق بصحبة من هم فى نفس سنه أو قريبون من هذا السن. وقد يكون منهم من يفوقونه عمرا ومنهم من يصغره ، ولذلك فهو يفيد ممن هم أكبر منه ويحاول إفادة الأصغر ، ويبدو ذلك بصورة واضحة حين يذهب الصغار إلى المدرسة فيعمل الأكبر فى الأسر المتعاونة السعيدة على مساعدة الأصغر فى أداء واجباته المدرسية وفى مساعدته فيما يعرض له من مشكلات .

رابعاً — إن مجرد صحبة الصغير لإخوته فيه تنفيس عن بعض النزعات التى لا تجد لها سبيلا إلى الاشباع ، فإذا رغب طفل الثالثة عشر أو الرابعة عشر فى الاعتداد بذاته وافتقد اعتراف والديه به كشخص ناضج بالغ وهى كما نعلم أمنية كل مراهق فى بداية مرحلة المراهقة، وإذا لم تجد هذه الرغبة سبيلا إلى الاشباع بسبب عدم اعتراف البالغين المحيطين به فى الأسرة بهذا الحق، وجدنا المراهق يحاول أن ينفس عما يشعر به من إحباط حول هذه الرغبة بإظهار نوع من السيطرة على إخوته ، وفرض نوع من السلطة على من هم دونه سناً ، وقد يفرض هذه السلطة على إخوته البنات بصفة خاصة ،

فيتدخل فى شئونهم و يعترض على طريقة ملبسهم وتمضيتهم لوقت فراغهم ويكون فى نقده واعتراضاته أشد كثيراً من والديه .

علاوة على ذلك فإن الصغير يجد نفسه منطلقاً بين إخوته انطلاقاً لا يتوفر له إذا كان باستمرار فى صحبة والديه فينطلق فى حديثه وفى حركاته وأعماله وتفكيره ، ولا يجد بينهم من يخشى نقده أو أوامره ، ولا يخفى علينا ما لهذا الانطلاق من أثر على صحته النفسية لأنه ينفس عن كثير مما يشعرون به من توتر نتيجة ضغط عالم الواقع ووقوفه فى سبيل تحقيق مطالبه ورغباته .

على انه كما أن للأسرة الكبيرة فوائد لا يستهان بها ، كذلك قد يتعرض الصغير إذا كان أحد أفراد أسرة كبيرة إلى عوامل معرقلة لنموه خصوصاً إذا بدأ فى التنافس مع إخوته تنافساً غير سليم فيشعر بالغيرة وكل ما يتعلق بها من حقد وغضب وتوتر نفسى له تأثير سىء على صحته النفسية ، وقبل أن أبدأ الكلام عن الأسباب التى تؤدى إلى الغيرة أرى لزاماً على أن أتكلم عما يقصد بالغيرة بين الاخوة فأقول : إن الغيرة ليست إلا حالة انفعالية يعانيها الطفل كنتيجة لظروف معينة يتعرض لها ، وهى نوع من الخوف المشوب بالغضب من فقدان أو توقع فقدان الصغير منزلة يحرص على الاحتفاظ بها سواء كانت هذه المنزلة تتعلق بمنزلته عند والديه وحبهما له

أو بمنزلته بين إخوته وزملائه فى المدرسة ، وانفعال الغيرة ليس من الانفعالات الأولية بل هو انفعال معقد ويكون فى العادة ذا صبغة مؤلمة لأنه ينطوى على شعور الطفل بالخيبة والاحباط لفشله فى إشباع نزعته إلى تملك أمه مثلا وتسخيرها لخدمته دون سواه ، ولأنه يشعر بنوع من النقص تسبب فى نظره فى انصرافها عن محبته وتحولها إلى العناية بمولود جديد ، وقد يشعر بالاحباط لفقدان مركزه بين إخوته حين يتقدم أحد إخوته عليه فى المدرسة ، كما يحدث حين يتقدم عليه أخ أصغر منه سناً فى التحصيل المدرسى لدرجة لفتت نظر البالغين المحيطين به فى الأسرة وجعلتهم يكثرون من التعقيب على هذا التفوق .

لذلك كانت الغيرة ذات أثر عميق على الصحة النفسية للصغير ولا يمكن أن نعتبرها شعورا مؤقتا سريع الظهور وسريع الاختفاء ولا بد أن نعمل جاهدين على التحقيق من حدتها وتهيئة جو الأسرة حتى تكون أقل مايكون

وهنا نتساءل ماهى الأسباب التى قد تؤدى إلى الغيرة عند الصغار ؟ وهل الغيرة من الانفعالات التى لابد لكل طفل أن يمر بها ؟

إن الظروف التى تؤدى إلى شعور الصغير بالغيرة كثيرة ومعقدة وهى نتيجة من نتائج الحياة الاجتماعية التى يحياها الصغير سواء فى محيط الأسرة أو خارجها ولهذا قلما يخلو فرد من ممارسة نوع من الغيرة فى فترة ما من

نفسيته كنتيجة حتمية لاحتكاكه مع الوسط ، وإن كان الأفراد يختلفون في قوتها ودرجة تأثيرها على صحتهم النفسية .

أما عن أسباب شعور الصغير بالغيرة في محيط الأسرة فهي متعددة فقد يكون السبب ولادة أخ له أو أخت صغيرة وصور له عقله الصغير ان هذا القادم الصغير سيستأثر بمحبة والديه وعلى الأخص أمه ورعايتها وحرمانه هو من هذه الرعاية، وهنا يجب أن نشير إلى أن بعض علماء النفس يعتقدون انه ليس من الضروري أن يغار كل طفل من قادم جديد إذ لا توجد من الأدلة العلمية ما يؤكد ممارسة كل طفل لهذا النوع من الغيرة ، ويسوق بعضهم أمثلة لأطفال فرحوا فرحا شديداً بالقادم الجديد وأظهروا نوعا من الغيرية بالنسبة اليه وعملوا على مساعدة الأم في خدمته عن طيب خاطر ، وقد يكون سبب شعوره بالغيرة هو التجاء الأم أو الأب أو أحد البالغين المحيطين به في الأسرة إلى مقارنته بأخ أو أخت تفوقه في القدرة العقلية أو التحصيل المدرسي أو في الخلقة والنمو الاجتماعي ، فتغير الأسرة باستمرار بما يعانيه من نقص عقلي أو خلقي موهوم ، هذا النوع من المقارنة بين الأخوة في الأسرة الواحدة سائد للاسف في بيوتنا في الجمهورية العربية المتحدة ، ونحن لا ننكر أن الوالدين لم يقصدا الاضرار بابنهما وربما قصدا إثاره حماسه إلى العمل ولكنهم لا يعلمون أنهم بهذا السلوك يسببون لأبنائهم مشاكل نفسية

عديدة من أهمها الغيرة من هذا الأخ أو الأخت المحظوظة وقد يحقدون عليه كما يتسببون فى شعور الصغير بالضعة والنقص وفقدانه الثقة بنفسه الأمر الذى يكون له أسوأ الأثر على تكيفه للمجتمع خارج محيط الأسرة .

وقد يكون شعور الصغير بالغيرة هو مجرد تفرقة الوالدين فى معاملة أبنائهما كأن يخصا الأبناء الذكور بعناية ورعاية أكثر من الاناث أو أن يفضلا أحد الأبناء عن آخر لأى سبب من الأسباب التى منها « أنه مؤدب وهادىء » « والآخر عفريت صغير » أو « لأنه جميل رقيق » الخ.

وقد يكون سبب غيرة الصغير من أخ له هو أن يكون الطفل أحد أفراد أسرة غير سعيدة يكثر فيها الشقاق بين الأبوين، وكان من نتيجة هذا الشقاق مثلا أن توترت العلاقة بين الأم وزوجها لدرجة جعلتها تكرهه، وحدث ان كان هذا الصغير يشبه أباه بينما أخاه الآخر يشبهها فإنها فى الغالب تتجه بحبها إلى هذا الصغير الذى يشبهها . وتهمل الآخر لأنه يشبه أباه ولما كان الطفل حساسا لعدم الرغبة فيه أو عدم العدالة فى المعاملة فإنه لا يلبث أن يغار من أخيه غيرة قد تبلغ درجة كبيرة من العنف والشدة وقد تصل إلى درجة الحقد والكراهية والتفنن فى الحاق الضرر به .

كذلك قد يكون سبب الغيرة هو تمرده على العناية والرعاية التى تعطيها الأسرة لأخ طال مرضه مما استوجب عطف والديه واظهارهما لمزيد من العناية به لا يمكنهما توفيرها لباقى الأخوة الأصحاء .

هذه بعض الأسباب التي قد تؤدى إلى تعكير صفو العلاقات الاجتماعية بين الأخوة بعضهم والبعض الآخر ، فيحل الشقاق والغضب محل الحب والوئام والوفاق فى الأسرة ويساعد جو الأسرة العام الذى يسأل عنه الآباء فى زيادة الشعور بالغيرة أو التخفيف من حدتها .

ولا انفعال الغيرة مظاهر متباينة إلى درجة تجعل الأبناء يقومون بأنواع مختلفة من التصرفات قد يصعب على الأم فى بعض الأحيان ارجاعها إلى عامل الغيرة ، فقد يعبر طفل عن شعوره بالغيرة بالامتناع عن تناول الطعام بعد أن كان يتناوله دون عناء وبطريقة طبيعية ويتخذ من الامتناع عن تناول الطعام ومن قلق والديه لذلك وسيلة تجذب اليه اهتمامهما ، ويتميز شعور هذا النوع من الأطفال بالغيرة بنقص فى وزنهم وتدهور فى صحتهم الجسمانية والنفسية ، والحق إن هذه الطريقة فى التعبير عن الغيرة من الطرق التى تؤدى إلى اقلاق أهل البيت جميعاً .

كذلك قد يلجأ طفل آخر إلى اظهار غيرته بالتبول اللاإرادى ، بينما يلجأ آخر إلى التخريب ، واذكر فى هذه المناسبة حالة تلك الطفلة التى ولد لها أخ صغير وهى فى سن الثالثة ، فانطلقت إلى الحديقة تقضى فيها معظم يومها لا لكى تلعب وتجرى وتنطلق وإنما لكى تخرب كل ما تصل اليه يدها من الزهور التى كانت تقلعها من جذورها بطريقة فيها غضب وعنف

مما اقلق أهلها كثيرا ، وقد يعبر طفل آخر عن غيرته من مولود جديد بالنكوص أوالعودة إلى بعض أنواع السلوك التى كبر عليهامثل مص الأصابع والحبو ، وأذكر فى هذه المناسبة حالة طفلة فى الثالثة مشت فى سن ٩ شهور وتكلمت بطلاقة حوالى سنتين وكانت تستخدم لغة الكبار الصحيحة ، ولكنها حين ولد أخوها الأصغر عادت للحبو وأخذت فى تقليد المولود فى بكائه ظنا منها أن مثل هذه التصرفات من الرضيع هى التى كانت السبب فى توجيه عناية أمها له .

وكذلك قد يلجأ آخر إلى المبالغة فى إطاعة أوامر والدته وفى الهدوء والانطواء على نفسه وإظهار محبته للمولود لدرجة قد تخدع أمه ، ومع ذلك فإن مثل هذا الطفل فى الواقع يعانى من الصراع النفسى أكثر مما يعانيه الطفل الذى يظهر شعوره بالغيرة بطريقة مكشوفة فيحاول مثلا الاعتداء على أخيه الذى يغار منه ويظهر غضبه وقلقه بصورة واضحة .

وأخيرا قد يقوم الطفل الغيور بنوع من السلوك الملتوى إزاء أخيه الذى يغار منه ، فيبدو أمامه محبا مطيعا ، وقد يقلده فى بعض مايقوم به ، ولكنه يضمر له الحقد والشر ، فيلجأ إلى تمزيق كتبه فى غيبته وإلى إلصاق التهم به أمام والديه .

هذا وقد يتطرف الصغير فى الغيرة والشعور بالاحباط وضعف الثقة

بالنفس لدرجة الانهيار العصبي ، ومطاردة أخيه وتهديده والثورة كلما رآه .

من ذلك نرى أن الغيرة بين الأخوة تلعب دورا كبيرا في تعكير صفو العلاقات الاجتماعية المبنية على الود والمحبة في محيط الأسرة وهذا مادعى بعض علماء النفس إلى اعتبار الطفل الوحيد أكثر خطأ من طفل الأسرة الكبيرة ، وإلى اعتباره يعيش في ظروف ذات فرص متعددة تؤدي إلى تكامل شخصيته وإلى سهولة تكيفه للمجتمع إذا اقترنت هذه الظروف بأمومة رشيدة .

ولما كان انفعال الغيرة من الانفعالات الهدامة للصحة النفسية من جهة ولأمن الأسرة وعلاقة المحبة بينها من جهة أخرى لهذا كان الواجب علينا أن نعمل جاهدين على ازالتها أو على الأقل على التخفيف من حدتها واجد لزاما على أن أسوق عدة إرشادات للأمهات لعلها تفلح في أن تساعدهن على التغلب على هذه المشكلة الشائعه ومن أهم هذه الإرشادات مايلي : .

١ — على الأم وعلى الأسرة جميعا أن تعد الطفل لاستقبال المولود وقت الحمل فتحدثه أحيانا عن هذا الأخ والرفيق الصغير الذى سيلعب معه ويرافقه ، على أنه يستحسن الا تبالغ في الحديث عن المولود المنتظر حتى لا توحي إليه بأنه سيكون موضوع اهتمام الأسرة أكثر منه هو .

٢ — على الأم أن تتجنب تنويم الطفل معها في سرير واحد ، بل

تعدّ له سريراً أو مكانا ينام عليه فى حجرتها أو فى حجرة أخرى حتى لا تضطر إلى ابعاده عنها وقت النوم بعد أن يأتى المولود الجديد ، الأمر الذى يشعره بالغضب من هذا الدخيل وتسوىء علاقته معه كما يشعر بالخوف من فقدان محبة أمه ورعايتها .

٣ — أن تحاول بقدر الأمكان اشعار الطفل الأكبر بأنه يساعدها فى العناية بالمولود الجديد لأنه قليل الحيلة ومحتاج إلى مساعدتهما ، وأن تشركه فى بعض الأعمال البسيطة المتعلقة بالصغير وهكذا تتحول غيرته إلى عطف وابوة كما تعود إليه ثقته بنفسه وشعوره بالقوة والسيطرة إذا ماقارن نفسه بالقادم الصغير .

٤ — عليها أن تتجاهل سلوك الطفل إذا كان شاذا أو غير مألوف لأنه يقصد به اثارتها وجذب انتباهها ، وعليها أن تثنى عليه وتشجعه وتظهر له استحسانها إذا أتى بنوع من السلوك المرغوب فيه ، فمثلا إذا اكثر الطفل من الانفجارات الانفعالية والبكاء لاتفه الاسباب أو إذا امتنع عن تناول طعامه العادى أو إذا قلد الصغير فى البكاء أو الحبو الخ ، فعليها أن تتجاهل ما يفعله والا تكثر من اظهار غضبها أو قلقها من تصرفاته ، ذلك لانها إن فعلت تمسك الطفل بأنواع السلوك الشاذ لأنه أوصله إلى ما يريد وهو اجتذاب انتباهها .

٥ ـ عليها الا تهمل الطفل الأكبر بل تلجأ بقدر الامكان إلى اشعاره بأنه لازال موضع محبتها ورعايتها ، ولا يكفى فى هذه الحالة أن تؤكد له بالقول إن منزلته عندها لم تتزعزع بل تصديقه لها يتوقف على طريقة معاملتها له فى هذه المرحلة الحرجة .

٦ ـ على جميع أفراد الاسرة وعلى الأخص الآباء أن يمتنعوا عن مقارنة أحد الابناء بآخر ، أو أن يعيروا أحدهم بنقص فيه ويطرون على آخر لخلوه من هذا النقص ، فليس اخطر على الصحة النفسية للصغير من هذه المقارنة ، ونحن لانقول ان الآباء أو الأخوة يقصدون الاضرار عمدا بالصغير ، وانما هم فى الواقع ـ وعن حسن نية فى الغالب ـ يسيئون إلى الصغير الذى خانه الحظ إساءة بالغة ، فالأب الذى يعير ابنا متأخرا فى التحصيل بآخر متقدم فيه ، لايحث الأول على الاجتهاد بقدر ما يولد فى نفسه احساسا بالغيرة من أخيه قد ينقلب تحت تأثير الظروف غير المواتية إلى كراهية وحقد ، فضلا عن فقدانه لثقته بنفسه وشعوره بالنقص الذى يهدد صحته النفسية ويعيقه عن العمل والتحصيل .

ويحضرنى فى هذا المقام قصة اخوين ، بنت وولد ، وكانت البنت اكبر من اخيها بعامين تقريبا ، وكان الولد رغم صغر سنه على جانب كبير من الذكاء فى التحصيل بينما كانت البنت أقل منه كثيرا فى تحصيلها

المدرسي ، وهذا دعا الأهل والأصدقاء إلى مقارنتهما باستمرار مما اشعرها بالغيرة من أخيها وافقدها ثقتها بنفسها لدرجة أنها حاولت الانتحار يوما ما عقب احدى هذه المقارنات وهى لم تتجاوز الثامنة من عمرها .

٧ ـ كذلك انى انصح الآباء الا يفرقوا بين ابنائهم فى المعاملة فلا يحابو الذكور مثلا على حساب الاناث كما هو شائع فى المجتمعات الشرقية ولا يتحيزون لابنة لانها جميلة، ولا يفضلون ابنا على آخر مهما كانت الظروف، فالاطفال شديدو الحساسية للتحيز وعدم المساواة فى المعاملة لدرجة قد لا يتصورها البالغون المحيطون بهم .

الفصل الثامن

العلاقات الانسانية بين المعلم والتلاميذ

المعلم من أهم العوامل المؤثرة فى الموقف التعليمى بل يمكننا أن نقول بحق إنه من أهم القوى الفعالة فى المجال الحيوى للتلاميذ وعليه يتوقف نجاح نظم التربية أو فشلها . ولسنا هنا فى مجال الكلام عن أهميته فى تحقيق الأهداف التربوية فقد سبق لنا أن تكلمنا عن ذلك فى مجال آخر[1] ، ولذلك سنقتصر على توضيح أهمية الدور الذى يقوم به فى تشكيل العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المدرسى وفى تربية ميول تلاميذه واتجاهاتهم ليس فقط نحو المجتمع المدرسى وإنما نحو المجتمع الكبير حينما يحتل كل منهم مكانه فى الحياة . ويرجع السبب فى أهمية دوره فى تشكيل العلاقات الإنسانية فى المجتمع المدرسى إلى عدة أسباب نذكر منها :

المعلم يقوم مقام الأبوين فى الأسرة المدرسية

حينما ينتقل الصغير من محيط الأسرة إلى المدرسة يجد نفسه فى مجتمع غريب عليه لا تربطه بأفراده علاقات القرابة التى كانت تربطه بمجتمع

(١) رمزية الغريب « سيكولوجية التعلم سنة ١٩٥٩ » .

الأسرة ، كما يجد نفسه مجبرا على التكيف لهذا الوسط ، ولذلك يبحث عمن يعوضه عما يشعر به من ضيق وتوتر ، ويجد فى معلمه ضالته المنشودة ، فيسعى إليه وينتظر منه رعاية وعطفا ، فأذا خيب المعلم رجاءه شعر بشقاء وتعاسة وربما كره المدرسة كلها ، ولهذا كان لاتصالاته الأولى بمعلمه انطباعات ليس من السهل نسيانها والتغاضى عن آثارها ، والحق أن لدى المعلم فرصا ذهبية فى إمكانه استغلالها للإفادة من مركزه بينهم فى خلق جو يسوده الود والتعاون والآخاء ، على أن نجاحه فى ذلك رهن بحسن استقباله للصغير فى أيامه الأولى بالمدرسة ، وفى توفير ما هو فى حاجة إليه من ود ومحبة .

المعلم رمز لمثل الجماعة ومبادئها وممثل للسلطة فيها

يقوم المعلم بدور لا يقل أهمية عن الدور الذى يقوم به الأبوان فى تكوين الذات العليا أو الضمير للصغار ، وهو فى نظرهم مصدر سلطة هام ومرجع مثل الجماعة ومبادئها ، وهو القدوة لهم للصغار وفى إمكانه أن يدعم بسلوكه العلاقات الإنسانية الموجبة ويشجع الحساسية الاجتماعية بين مجتمع الفصل والمدرسة ، كما أن فى إمكانه أن يخلق فى مجتمع الفصل جوا من التوتر والانفرادية وعدم التعاون يكون بمثابة معول هدام للسعادة الإنسانية .

المعلم مصدر المعرفة وذخر للتراث الثقافى للجماعة

إن المعلم بحكم وظيفته وبحكم مركزه بالنسبة للتلاميذ مصدر المعرفة ومرجعها الاول فى نظرهم ، وهذا يجعل منه أكثر من مجرد شخص بالغ فى مجتمع من الصغار ، فهو موجه ومرشد ومورد العلم والمعرفة ، ولذلك اكسبه موقفه هذا قوة لا يستهان بها فى التأثير على الصغار ولهذا نجد عددا غير قليل منهم يغيِّر من عادة اكتسبها فى المنزل لا لشىء إلا لأن معلمه يفعل غير ذلك أى لمجرد رغبته فى تقليده وتتبع خطاه .

لكل هذا كان أثر المعلم كبيرا على مجتمع الفصل بصفة عامة وعلى العلاقات الإنسانية التى تسود الموقف التعليمى بصفة خاصة ، والحق إن الصغار حساسون لميول المعلم واتجاهاته نحوهم لدرجة كبيرة، ولهم قدرة على نقده ونقد تصرفاته ، لهذا فهم يقبلون عليه و يلتفون حوله ويتخذونه مثلا أعلى إذا كان ذا صفات معينة ، وينصرفون عنه ويكرهونه إذا كان ذا صفات أخرى ، وليس هناك شك فى أن العلاقات الانسانية فى المجتمع المدرسى لا تكون على ما يرام اذا توترت علاقة التلاميذ بمعلمهم الأمر الذى يرغبهم عن صحبته ويمنعهم من التأثر بقيادته .

وهنا نتساءل ما هى الصفات التى يتطلبها الصغار فى معلمهم حتى يقبلون عليه ويثقون به ؟ وهل يمكن ترتيب هذه السمات والخصال بالنسبة لاهميتها فى تدعيم العلاقات الأنسانية فى محيط المدرسة ؟

للجواب عن ذلك قمت ببحث لمعرفة الصفات التى تحبب التلاميذ في معلم أو تنفرهم منه واخترت لذلك مجموعتين .

(١) المجموعة الأولى وتتكون من مائة معلمة ومعلم جامعى ممن يتابعون دراسات التأهيل التربوى بكلية التربية ، ولا تقل المدة التى أمضاها كل فى مهنة التدريس عن سبع سنوات .

(ب) المجموعة الثانية وتتكون من مائة طالبة جامعية من طالبات كلية البنات — جامعة عين شمس .

وطلبت من كل من الفئتين الإجابة عن السؤالين الآتيين .

« اكتب عشرة صفات لمعلم اعجبت به وكان له اثر حميد فى نفسك ربما أدى إلى تغيير فى ميولك واتجاهاتك فى مادته »

« اكتب عشرة صفات لمعلم اثر فى نفسك تأثيرا سيئا باعد ما بينكما وربما كان هذا التأثير السيء سببا فى تغيير اتجاهك نحو مادته »

وقد استجاب أفراد المجموعتين استجابة طيبة لهذين السؤالين الا أن بعضهم اخفق فى أن يجد العشرة الصفات المطلوبة فكتبوا عددا من الصفات يتراوح عددها بين سبع وعشرة صفات ، على انى رغم هذا حصلت على مجموعة كبيرة من الصفات والسمات التى حببتهم فى اساتذتهم وقربت بينهم ودعمت العلاقات الإنسانية المختلفة بين المعلم وتلاميذه ، كما حصلت

على مجموعة كبيرة أخرى من الصفات التى نفرتهم من بعض المعلمين بل كرهتهم فيهم ، وكانت سببا فى توتر علاقة التلاميذ بهم توترا هدد الصحة النفسية لبعضهم ، ونستدل على ذلك من العبارات الطريفة التى ذكرها بعضهم للتعبير عما كان ولا زال يشعر به من كره لمعلم معين ، إذ قال « كان قاسيا جدا غليظ القلب ، وقد قضى على بعض الزملاء بين منتحر فى النيل وتحت عجلات القطر » ، ويذكر آخر « كان قاسيا فى ضربه لنا لدرجة شاذة . . . كان قاسيا فى درجاته . . . جعلنى اكره اللغة العربية حتى الآن ! ! خاصة القواعد » .

وبدراسة ما جاء فى إجابات المستفتين المختلفة من صفات طيبة للمعلم المحبوب وأخرى سيئة للمعلم الذى أثر فيهم تأثيراً سيئاً أمكن تصنيفها فى فئات ست من الصفات هى :—

صفات المعلم ذى التأثير السيء	صفات المدرس ذى التأثير الحسن	الصفة
وهى الصفات المبنية على العنف والشدة كالقسوة والشراسة والضرب وإثارة سخرية بقية الفصل على المخطىء وعدم الرغبة فى مساعدة التلاميذ .	وهى الصفات التى تتعلق بالمشاركة الوجدانية والعطف والعمل على مساعدة التلاميذ والمشاركة فى حل مشكلاتهم كما تشمل صفات أخرى كالظرف والمرح والبشاشة .	١ — الصفات الإنسانية
وتشمل التحيز والظلم وبث روح التفرقة بين التلاميذ والكذب والتحدث بالسوء عن الزملاء .	وهى صفات تتعلق بمبادىء المعلم ومثله واتجاهاته مثل العدالة — وعدم التحيز — والاتساق فى المعاملة والأخلاق الحميدة .	٢ — الصفات الخلقية
وهى الصفات المتعلقة بعدم العناية بالمظهر ، ولذلك اشتملت على صفات مثل — غير مرتب — قبيح — لا يهتم بمظهره — صوته ممل	وتتعلق بالأناقة والترتيب وحسن اختيار الملابس والصوت المتزن وسماحة الخلقة .	٣ — المظهر العام والشكل

		كذلك وضعنا ضمن هذه المجموعة المبالغة فى التأنق لدرجة منفرة .
٤ — التمكن من المادة	تتعلق بتمكن المعلم من مادته وعنايته بإعداد الدروس واستخدام طرق تربوية تساعد على الفهم كما شملت صفات مثل «شيق فى إلقائه» لا يبخل بمادته على الطلاب .	وتتعلق بعدم تمكن المعلم من مادته وعدم العناية بالطريقة، كما اشتملت على صفات مثل يبخل بمادته على الطلاب .
٥ — نوع القيادة	هى الصفات المميزة للقيادة الديمقراطية مثل احترام آراء الطلبة والاشتراك معهم فى بعض أنواع النشاط ، معاملتهم كأب أو أخ الخ . . .	هى الصفات المميزة للقيادة الدكتاتورية مثل السيطرة والتحكم والعناد وعدم احترام آراء الطلبة وعدم قبول المناقشة والأسئلة قبولا حسنا .
٦ — احترام القوانين المدرسية	وتتعلق باحترامه للقوانين والمحافظة على المواعيد وقلة التغيب .	وتتناول عدم الإخلاص فى العمل والتأخر عن المواعيد وكثرة التغيب عن المدرسة .

ولترتيب هذه الصفات بالنسبة لأهميتها فى خلق اتجاه ودى أو عدائى نحو المعلم حسبت النسبة المئوية لمرات تكرار الصفة فى كل مجموعة من مجموعات الصفات السابق الإشارة إليها وعلى أساس هذه النسب المئوية رتبت الصفات ترتيباً تنازليا وكانت النتائج كما يلى :

خصال المعلم المحبوب

(ا) احتلت الصفات الانسانية للمعلم مثل العطف وحب التلاميذ والاهتمام بحل مشكلاتهم مركز الصدارة بين الصفات التى تجذب التلميذ إلى معلمه فى المجموعتين (ا) مجموعة المعلمين (ب) مجموعة الطالبات، فذكرت الغالبية العظمى (١٠٠٪ فى مجموعة المعلمين) صفة أو أكثر من هذه الصفات كأساس اعجابهم بمعلم معين ، بل إن بعضهم قصر إجابته على هذه الناحية وحدها وأهمل النواحى الأخرى .

(ب) جاءت غزارة المادة وجودة الطريقة فى المرتبة الثانية للصفات الباعثة على اعجاب التلميذ بمعلمه فى المجموعتين أيضاً .

(ح) اهتمت مجموعة المعلمين بنوع قيادة المعلم لتلاميذه ولهذا كانت الصفات المميزة للقيادة الديمقراطية تحتل المرتبة الثالثة كصفة من صفات المعلم المحبوب، بينما احتلت هذه الناحية المرتبة الخامسة فى رأى مجموعة الطالبات ، وكانت الصفة التى تميز المعلمة أو المعلم المحبوب وتحتل المرتبة الثالثة فى رأيهن

هى العناية بالمظهر والاناقة وجمال الخلقة (التى احتلت المرتبة الخامسة عند المعلمين) .

(د) احتلت الصفات الخلقية كالعدل وعدم التحيز والمساواة بين التلاميذ فى المعاملة المرتبة الرابعة كصفة مميزة للمعلم المحبوب فى المجموعتين .

(هـ) كان احترام القوانين والمحافظة على المواعيد تحتل المرتبة السادسة كصفة مميزة للمعلم المحبوب عند المجموعتين .

ويمكننا أن نرتب هذه الصفات حسب أهميتها كما يلى

الصفات	النسبة المئوية
١ ـــ الصفات الإنسانية من عطف وحساسية اجتماعية ومساهمة فى حل المشكلات الخ . . .	٩٣ ٪
٢ ـــ التمكن من المادة . .	٧٦ ٪
٣ ـــ القيادة الديمقراطية .	٣٥ ½ ٪
٤ ـــ العدالة وعدم التحيز .	٣٥ ٪
٥ ـــ العناية بالمظهر .	٣٣ ⅓ ٪
٦ ـــ احترام القوانين والمحافظة على المواعيد .	١١ ½ ٪

خصال المعلم غير المحبوب

(أ) كذلك درست استجابات المجموعتين السابقتين فيما يتعلق بصفات المعلم الذى أثر تأثيراً سيئاً على نفوسهم ولوحظ أن الصفات الانسانية السلبية احتلت أيضاً المنزلة الأولى ضمن العوامل التى تباعد بين المعلم وتلاميذه وتسىء إلى العلاقات الانسانية بينهم .

(ب) احتلت الصفات الخلقية السلبية مثل التحيز والظلم وعدم المساواة بين التلاميذ فى المعاملة المرتبة الثانية فى مجموعة الطالبات والمرتبة الثالثة فى مجموعة المعلمين ، وهذا يدل على أن التلاميذ حساسون جداً لنوع المعاملة التى يتلقونها من معلميهم ويشعرون بإحباط شديد إذا تبينوا فيها التحيز والظلم .

(حـ) احتلت صفة عدم التمكن من المادة وضعف الطريقة المرتبة الثالثة عند مجموعة الطالبات والثانية عند مجموعة المعلمين كعامل من العوامل التى تسىء إلى العلاقة بين المعلم وتلاميذه وهى حقيقة طريفة، لذلك نلفت نظر المعلم إلى أن تأخر بعض التلاميذ فى التحصيل وتوتر علاقته بهم تبعاً لذلك قد يكون هو نتيجة لضعف مادته أو لعقم طريقته ، ولهذا كان عليه قبل الحكم على التلاميذ المتأخرين أن يراجع مادته وطريقته.

(د) وكانت عدم عناية المعلم بمظهره أو تأنق المعلمة أكثر مما يجب من العوامل التي لفتت نظر التلاميذ فى المعلم غير المحبوب وكانت تحتل المرتبة الرابعة .

(ﻫ) كذلك احتلت القيادة الدكتاتورية والسيطرة المرتبة الخامسة وتلتها فى الأهمية عدم احترام المعلم لمواعيد الحصص وكثرة التغيب وعدم الاخلاص .

ويمكننا أن نرتب الصفات السلبية للمعلم كما يلى : —

الصفة	النسبة المئوية
١ — الشراسة والقسوة وإثارة سخرية التلاميذ على المخطىء الخ . . .	٨٨ ½ ٪
٢ — عدم التمكن من المادة وعقم الطريقة .	٤٦ ٪
٣ — التحيز وعدم المساواة فى المعاملة بين التلاميذ	٤٣ ٪
٤ — عدم العناية بالمظهر أو التأنق الخارج	٢٣ ٪
٥ — الدكتاتورية وعدم احترام آراء التلاميذ	١٦ ٪
٦ — عدم احترام القوانين وعدم المحافظة على المواعيد .	١٣ ٪

من ذلك نرى أن أهم ما يوطد العلاقة بين المعلم والتلاميذ هو الصفات المدعمة للعلاقات الإنسانية السليمة ، والتى تجعل الجو العام للموقف التعليمى جوا يسوده الود والوئام والارتياح ولهذا لا نستغرب أن يجمع ٩٣ ٪ ممن أجروا الاستفتاء على أن المدرس الذى كان له أثر جيد فى نفوسهم هو الذى كان يعمل على تدعيم علاقته بهم فيحاول مساعدتهم والمساهمة فى حل مشكلاتهم ومعاملتهم بعين العطف والأبوة الخ . وان يجمع ٨٨½٪ من المستفتين على أن أهم ما يعكر صفو العلاقة بين المعلم وتلميذه هو القسوة والشدة فى معاملتهم وعدم مساهمته فى حل مشكلاتهم .

لهذا كان الواجب أن يحرص المعلم على تدعيم علاقته بتلاميذه حتى يساعدهم على التكيف للوسط المدرسى وحتى يطرد نموهم العقلى والنفسى وحتى تكون هذه العلاقة الطيبة حافزاً على التقدم والتحصيل ، فإذا أحب تلميذ معلمه ووثق به فإنه يقبل على مادته ويعمل جاهداً لإرضائه ، وبالعكس ينصرف التلاميذ عن التحصيل فى خبرة معينة إذا أثار فيهم المعلم المقاومة وكانت معاملته غير السوية سبباً فى التباعد بينه وبينهم .

وقد عملت أبحاث متعددة لدراسة أثر العلاقة بين المعلم والتلاميذ على تكيفهم للوسط وعلى اكتساب أنماط معينة من السلوك الاجتماعى نذكر منها

سلسلة الأبحاث التى قام بها أندرسون[1] ، أندرسون وزملائهما وفيها درسو العلاقة بين سلوك الصغار وطريقة معاملة معلميهم لهم .

فى إحدى هذه الأبحاث حاول الباحثون تحقيق فرضين الأول و يتعلق بإثبات ما أسموه « دائرة النضوج » « growth circle » ومعناها أن السلوك المتكامل عند شخص ما (الديمقراطى الذى يتضمن الأخذ والعطاء) يؤدى إلى تنمية السلوك المتكامل عند الآخرين » أو بعبارة أخرى انه إذا كان الفرد ديمقراطيا فى معاملته مع الناس استجاب له هؤلاء بسلوك ديمقراطى والفرض الثانى هو إثبات ما أسموه « الدائرة المفرغة » «Vicoious Cirdc» ومؤداه انه إذا كانت معاملة الفرد للآخرين مبنية على السيطرة والدكتاتورية استجاب له هؤلاء بالسيطرة والتحكم . وقد عرف الباحثون السلوك الدكتاتورى بأنه هو السلوك المبنى على الشدة والأوامر والنواهى والتهديدات واللوم والاصرار الجامد على الشكليات ، بينما عنى بالسلوك الديمقراطى المتكامل تقبل المعلم للتلاميذ والعمل الجماعى والاهتمام بميول التلاميذ والمشاركة الوجدانية والتعاون وقد أكدت نتائج البحث الفرضين السابقين .

---

(1) Anderson H. H. & Anderson G L. "Social Development, in (L. Carmiched (ed) Manual of Child Psychology. N. York 1954.

كذلك درس سلوك مجموعتين (١) من التلاميذ فى الصف الثانى من المرحلة الأولى ، المجموعة الأولى كانت تعمل مع معلم اتصف بمعاملته الديمقراطية لهم والمجموعة الثانية كانت تعمل مع معلم اتصف بالسيطرة المستمرة و بمعاملته الدكتاتورية . و بدراسة سلوك الصغار فى المجموعتين وجد أن المجموعة التى كان مدرسها ديمقراطيا اظهرت كثيرا من أنواع السلوك المتكامل مثل التلقائية والاتجاهات الاجتماعية الموجبة ، بينما أظهر الأطفال فى المجموعة الأخرى كثيراً من انماط السلوك غير المتسق ، وهذا يعضد الفكرة المعروفة وهى أن الشدة والسيطرة تولد المقاومة والكبت ، هذا فضلا عن قلة عنايتهم بعملهم فكثر انصرافهم عن المعلم كما كثر همس بعضهم البعض الآخر .

هذا وقد تتبع الباحثون سلوك الأطفال فى هذين المجموعتين بعد مضى سنة على البحث الأول فوجد أن المجموعة التى كان معلمها دكتاتوريا قد عدلت من سلوكها بانتقالها للعمل مع معلم غير دكتاتورى أما معلمهم الدكتاتورى فقد ظلت معاملته كما هى دون تغيير ، ومعنى هذا أن سلوك التلاميذ يتوقف إلى حد كبير على سلوك معلميهم . وأن الجو الجماعى الذى

(1) Anderson H. H & Brewer, J E Studies of teacher classroom personalities, I Dominative and socially integrative behaviour of kindergarten teachers. App Psy. Mongraph N. 6 1945. (Form Mussen & Conger").

يميز الموقف التعليمى يؤثر تأثيرا كبيرا فى إنماط السلوك الاجتماعى المكتسب والذى يصبح طريق الفرد فى الحياة .

هذا ويختلف المعلمون بعضهم عن البعض الآخر فى ميولهم واتجاهاتهم ودرجة تكيفهم الانفعالى بسبب اختلافهم فيما مر بهم من تجارب مع تلاميذهم وما مر بهم من تجارب فى طفولتهم مع آبائهم ومعلميهم وزملائهم وإذا اضفنا إلى ذلك مايشعر به كل من رضى وإحباط اثناء احتكاكه مع الوسط الذى يعيش فيه أمكننا أن نتبين لماذا يختلف المعلمون فى مدى استقرارهم الانفعالى ودرجة تكيفهم للوسط.

وهنا نتساءل هل يؤثر تكيف المعلم أو عدم تكيفه على معاملته التلاميذ ؟ للجواب عن هذا السؤال عملت عدة ابحاث منها بحث قام به Turner وزملائه لمعرفة مما إذا كان عدم الاستقرار الانفعالى للمعلمين يؤدى إلى عدم استقرار التلاميذ ؟ واختار لذلك ٧٣ معلما ، ١٩٥ تلميذا وأعطى المجموعتين استفتاءا يتعلق بالتكيف الانفعالى ، ثم قسم مجموعة المعلمين على أساس نتائج هذا الاستفتاء إلى مجموعتين (ا) فئة المتكيفين انفعاليا (ب) فئة ضعيفى التكيف .

وبمقارنة متوسط درجة تلاميذ كل فئة من الفئتين السابقتين تبين

أن درجات الأطفال الذين كانوا مع الفئة الأكثر تكيفا كانت أفضل من درجات مجموعة الأطفال الآخرين .

ولقد اثارت النتائج السابقة كثيراً من المناقشات بين علماء النفس فبعضها عاب على هذا البحث نزعته إلى التعميم واعتبار أن كل معلم غير متكيف يخرج تلاميذ غير متكيفين و يرى Gladston , Mussen , Conger ان تأثر التلاميذ يتوقف على نوع عـــدم التكيف الذى يعانيه المعلم . و يقول Gladstone.

« إن بعض المعلمين التعساء كثيراً مايفرطون فى العطف على تلاميذهم التعساء كما أن بعض المعلمين الذين اخفقوا فى التـكيف للمجتمع كثيرا مايصبون جام غضبهم و يفرغون نزعتهم العدوانية على أطفالهم المساكين.

وقد يكون لعدم تـكيف المعلمين للوسط أثر ملحوظ على التـكيف الاجتماعى والشخصى للتلاميذ وقد لا يكون . و يتوقف ذلك على نوع السلوك الذى يختاره المعلم فى التنفيس عن شعوره بالاحباط ، فالمعلم الذى يحاول التـكيف عن طريق انماط السلوك التى لاتستخدم العقوبة أو التى لا يعاقب فيها الانفسه ، قد يكون فى منتهى الشقاء والتعاسة كفرد ولـكنه لايؤثر على تكيف تلاميذه . أما المعلم الذى يلجأ إلى تخفيف مايشعر به من توتر نفسى بإيذاء الآخرين والاعتداء عليهم هو الذى يؤثر على نموتلاميذه

النفسى وتكيفهم . وكثيرا ما يـ الى تلاميذه احباطا شديدا حين ينفس عن نزعته العدوانية بالسخرية والتهديد بالعقوبة وعدم الاتساق فى إظهار غضبه واستخدامه للعقوبة البدنية » .

من كل ما تقدم من ابحاث يتضح لنا أن للمعلم أثرا كبيراً على التلاميذ وعلى تكوين اتجاهاتهم ليس فقط نحو المجتمع المدرسى بل نحو المجتمع الكبير هذا فضلا عن أثره على الجو المدرسى العام الذى يحدد نوع العلاقات الإنسانية بينه و بينهم و بين بعضهم والبعض الآخر . على أنه رغم أهمية الدور الذى يقوم به المعلم فى تدعيم العلاقات الإنسانية الموجبة السائدة فى المجتمع المدرسى إلا أنه ليس المؤثر الوحيد فى هذه العلاقات بل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار علاقة الزملاء بعضهم بالبعض الآخر ومدى مابها من توافق واتساع ، و يجب عليه كقائد ان يبين طبيعة هذه العلاقات حتى يعرف موضع الضعف فيها و يحاول إصلاح ما اعوج منها . وسنتكلم فى الفصل الآتى عن علاقة الصغير بزملائه ثم نبين كيف يستطيع المعلم أن يساعد على توفير الجو الجماعى السليم الذى به يطرد نمو الصغار عقليا واجتماعيا ، ثم كيف يستطيع مساعدة المنطوى أو من نبذته الجماعة ورفضت تقبله .

الفصل التاسع

علاقة الصغير بزملائه وأصدقائه وأثرها على تكامل شخصيته

إن علاقة الصغير بزملائه تعتبر من العلاقات الاجتماعية الهامة في حياته ولها تأثير كبير على تكيفه للوسط في المستقبل ، ولهذا يقول ليفين «Lewin» المتحدث الأول باسم مدرسة المجاليين في علم النفس ، ان معظم ما يشعر به الفرد من توتر أثناء احتكاكه بالمجتمع ينشأ من رغبته في الانتماء إلى جماعة أو طبقة معينة ، ويزداد توتره إذا لم تقبله هذه الطبقة كما يريد .

هذا وتنمو علاقات الصغير الاجتماعية تدريجياً ، ويزداد اتصاله بالعالم الخارجي من أشخاص وأشياء كلما تقدم به السن ، وتبدأ علاقاته الأولى بين سن الثانية والخامسة حيث تربطه نوع من العلاقات الإنسانية بعدد قليل من الأطفال المحيطين به في بيئته المنزلية وتكون هذه العلاقات سطحية في أول الأمر لأن نموه العقلي والاجتماعي لا يمكنانه من أن تكون تلك العلاقات علاقات إنسانية عميقة الأثر في نفسه كما هو الحال في مرحلة المراهق مثلا . على أنه يمكننا أن نقول ان علاقاته بعد سن الثالثة تأخذ في التغير تدريجياً فتزداد عمقاً حتى تصل إلى درجة كبيرة من العمق والنمو الذى يميز صداقات البالغين من أفراد المجتمع .

وقد درست پارتن [1] « Parten » تطور نمو السلوك الاجتماعى عند الصغار وبينت كيف أن العلاقات الاجتماعية عند الصغير فى السنتين الأوليين تكاد تكون مقصورة على علاقاته بأمه وأبيه وربما بدت بصورة غير واضحة المعالم بالنسبة لطفل آخر صغير ، على أن هذه الأخيرة تكون بدائية لدرجة انه قد يخفى علينا الجانب الاجتماعى منها و إذا مانشأ طفل بعيداً عن الأطفال الآخرين ثم رأى طفلا وهو فى نهاية السنة الأولى وربما منتصف الثانية فإنه ينظر إليه بتأمل كأنه ينظر شيئاً غريباً يثير تأمله .

ولا ثبات تطور علاقة الطفل بزملائه من نفس السن فى السنوات الخمس الأولى من حياته يمكننا أن نلخص بحث پارتن « Parten » التى حاولت فيه أن تدرس النمو الاجتماعى لـ ٤٢ طفلا من أطفال مدرسة الحضانة تتراوح أعمارهم بين سنتين وخمس سنوات منهم ٢٢ ولداً ، ٢٠ بنتاً . وقد لاحظت پارتن كل طفل على حدة بنظام معين حتى لا يستأثر طفل بانتباه الملاحظ مدة أطول من غيره لأى سبب من الأسباب ، وصنفت الباحثة السلوك الاجتماعى من أبسط مظاهره إلى أكثر أنواعه تعقيداً فى ستة أنواع من السلوك أعطت لكل منها تقديراً معينا وذلك

---

(1) Barker Kounin Wright "Child Behaviour & Development" P. 509 ff.

حتى تضمن دقة الملاحظة واتساقها بالنسبة للملاحظين الذين دربتهم تدريباً خاصاً . وفيما يلى أنواع السلوك الستة : —

(١) سلوك خال (— ٣) unoccupied behaviour

(٢) اللعب المنفرد (— ٢) Solitary play

(٣) سلوك المتفرج (— ١) Onlooker play

(٤) اللعب الموازى (+ ١) parallel play

(٥) اللعب الجماعى (+ ٢) Associated play

(٦) اللعب التعاونى

أو المنظم (+ ٣) Co-opernative play

١ — سلوك الخالى .

وهو سلوك لا يبدو فيه أن الطفل يقوم بأى نوع من الاتصال الاجتماعى بمن حوله فهو لا يلعب اطلاقا ولكنه يشغل نفسه بالنظر إلى أى حدث عارض سرعان مايتحول عنه إلى آخر ، فإذا لم يكن هناك مايسترعى انتباهه شغل نفسه باللعب فى أصابعه . أو فى أى جزء من أجزاء جسمه أو فى ملابسه ، وربما ترك هذا وذاك وسار فى ركاب المعلمة يتبعها حينما ذهبت .

٢ — اللعب المنفرد .

وفيه يلعب الصغير بلعب تختلف عن تلك التى يلعب بها الأطفال الآخرين من حوله ، ولا يقوم بأية محاولة للكلام معهم أو الاقتراب منهم ، وكل انتباهه يكون مركزاً على اللعبة التى يلعب بها دون مراعاة لغيره .

٣ — سلوك المتفرج :

فى هذا النوع من السلوك يقوم الصغير بدور المتفرج ، فيلاحظ غيره من الصغار يلعبون ولكنه لا يشترك معهم بطريقة ظاهرة . وإذا تأملنا سلوكه هذا نجده فى الواقع يمارس سلوكا اجتماعيا أرقى قليلا من السلوك السابق حين كان يلعب منفردا لا تربطه بغيره من الصغار أيه علاقة ، ويرجع السبب فى وجود المسحة الاجتماعية هنا إلى أنه كثيرا ما يتكلم مع الأطفال الآخرين ويسألهم أسئلة متنوعة ويتبرع باقتراحاته ولكنه لا يشترك عمليا فى اللعبة .

٤ — اللعب المماثل :

وفيه يلعب الصغير على مقربة من الأطفال الآخرين وبلعبة مماثلة للعبتهم ، ولكنه لا يلعب معهم بالفعل ، فهو يلعب على طريقته ولا يحاول التأثير على بقية المجموعة فى شىء .

٥ – اللعب الجماعى :

فى هذا النوع من السلوك الاجتماعى يلعب الصغير مع غيره من الأطفال مشتركا اشتراكا فعليا ، فيستعير منهم لعبهم و يعطيهم لعبه ، بمعنى أننا نلاحظ وجود علاقة إنسانية تربطهم ببعضهن أثناء اللعب ، فإذا حدث مثلا أن انتقل بعضهم إلى مكان آخر تبعه الجميع ، ورغم اشتراكهم فى لعبة واحدة إلا انه لايوجد دليل ملحوظ على التنظيم فكل منهم يفعل ما يشاء ولا يخضع رغباته لرغبات الجماعة .

٦ – اللعب التعاونى المنظم :

وفيه يبدو نوع من السلوك الاجتماعى الملحوظ ، فإذا لعبوا فى الفناء لعبة الجيش مثلا قسموا أنفسهم إلى مدفعية ومشاة ، و إذا لعبوا لعبة المطاردة قسموا انفسهم إلى « عسكر وحرامية » هذا و يتقبل الجميع الفكرة و يعملون على تنفيذها والمحافظة على قواعدها .

و بدراسة نتائج البحث اتضح لها أن عددا قليلا من أصغر أطفال المجموعة هم الذين كان معظم سلوكهم خال من العلاقات الإنسانية التى تميز السلوك الاجتماعى ، أى سلوكهم كان يقع تحت الدرجة الأولى من تصنيفها «سلوك الخالى» بينما كان أكبر المجموعة سنا هم أكثر الأطفال إظهارا لأنواع اللعب الجماعى واللعب التعاونى ، كما وجدت اتفاقات بين أنواع

السلوك الاجتماعى التى قامت بها أطفال المجموعات الأخرى و بين سنهم أو مستوى نضوجهم . واستدلت من ذلك على أن العلاقات الاجتماعية بين الصغير ورفقائه من نفس السن تنمو وتتطور كلما تقدم فى العمر ، ولعل السبب فى ذلك هو نمو الصغير العقلى وازدياد قدرته على التعامل مع الزملاء واستخدام اللغة فى توثيق علاقاته الاجتماعية .

هذا وتقوم الأسرة بدور كبير فى تطوير الطفل الاجتماعى وفى اكسابه نماذج متعددة من السلوك الاجتماعى المميزة للمجتمع الذى يعيش فيه ، ولسنا مغالين إن قلنا إن نوع العلاقات الاجتماعية التى يعممها الصغير إلى اصدقائه ومعلميه خارج نطاق الأسرة يتوقف إلى حد كبير على العلاقات الإنسانية المختلفة التى مارسها فى محيط الأسرة .

كذلك تقوم المدرسة بدور كبير فى هذه الناحية ، لأن الطفل يمارس انواعا من العلاقات الاجتماعية فى المدرسة بين أفراد لا تربطه بهم علاقات القرابة التى نصبغ علاقاته الاجتماعية فى الأسرة بصبغة معينة ، وعلاوة على ذلك فإن فى طبيعة علاقاته الاجتماعية المدرسية ما يضمن استمرارها ، ذلك لأنه متى ذهب إلى المدرسة فإنه لا يلبث أن يكتشف أن انتمائه إلى « شـــلة » أو جماعة على جانب كبير من الأهمية ، وأن احتفاظه بمركزه فى هذه الجماعة ضرورى ومرضى خصوصاً وانه لا يستطيع

أن ينسحب منها إلى بيته كما كان يفعل قبل التحاقه بالمدرسة إذا حدث بينه وبين أفرادها سوء تفاهم أو نزاع ، بل لا بد من بقائه بالمدرسة طول اليوم سواء كان سعيدا فى معاملاته الاجتماعية مع زملائه أم تعيسا .

هذا وتختلف نوع العلاقات الانسانية بين الصغير وأصحابه فى درجة رقيها ، ومقدار ما بها من ود ووفاق وتعاون وغيرية باختلاف سن الطفل ففى بداية المرحلة الابتدائية (أى حوالى سن السادسة) نجد الأطفال يكونون « شللا » من الصحاب تربط أفرادها بعضهم ببعض روابط انسانية ولكنها لا تصل إلى درجة العمق التى تميز العلاقات السائدة بين جماعة أصدقاء المراهقة ، فبينما يشير طفل السابعة أو الثامنة إلى أصدقائه بكلمة « الشلة » نجد المراهق يشير إليها بقوله « أصدقائى » أو «أصحابى» على انه مما يميز صداقات الطفولة بصفة خاصة انها علاقات إنسانية راقية لم يفسدها التحيز والحضارة ؟ ؟ فلا تأثير عليها لنظام الطبقات ولا للمستوى الاجتماعى الاقتصادى ولا تأثير للشكل أو اللون أو الدين ولذلك يلعب ابن السيد مع ابن المسود دون أى شعور بالفوارق الاجتماعية التى تفصل بينهما كما هو الحال فى صداقات المراهقين ، اذ أن الشعور بهذه الفوارق يتعلمه المراهق من الوسط المحيط به ويكتسب اتجاهات والديه وميولهما نحو طبقات المجتمع سواء كانت هذه الاتجاهات موجبة أو سالبة كالتحيز والتعصب والانانية إلى آخره .

هذا ويزداد أحساس الصغار بين سن العاشرة والرابعة عشر بالحاجة إلى تنظيم نشاط الجماعة ولهذا فهم يسعون إلى الانتماء إلى جماعات منظمة تنظيما خاصا وتتطلب عضويتها شروطا معينة ويخضع افرادها إلى نظام معين كما هو الحال فى جمعيات الكشافة والمعسكرات وجمعيات المناظرات والصحافة والموسيقى الخ .

أثر الصحاب على النمو الاجتماعى للصغير :

يقوم الاصحاب بتنمية واستمرار عملية التصنيف الجنسى الاجتماعى للصغير « Sex typing » التى بدأت فى الأسرة وسبق لنا الإشارة إليها ، فالصورة التى يرسمها الطفل « عن البنت » أو « الولد » تتفق لدرجة كبيرة مع صورة البالغين لها فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فتتسم صورة « الولد » أو مفهوم « الولد » كذكر بالنزعة العدوانية والجرأة والقوة الجسمانية والخشونة ويتسم مفهوم « البنت » بالوداعة واللطف والأنوثة ، ويعمل الأصدقاء على تشجيع واستحسان أنواع السلوك المتفقة مع فكرتهم عن جنسهم و ينتقدون أنواع السلوك المميز للجنس الآخر إذا بدت من أحد أعضاء « الشلة » ولذلك نجد أنه من الممكن جدا أن يعدل الولد أو البنت من سلوكه حتى يتفق مع مبادىء « الشلة » وسلوكها وحتى يكون مقبولا ضمن اعضائها . وقد ثبت ذلك من نتائج البحث الذى قام به توديننام

« Tuddenham »[1] على مجموعة من تلاميذ المدرسة الابتدائية لدراسة أثر السمعة وصفات الشخصية على نجاح التلميذ فى صداقاته المدرسية ، وبدراسة نتائج الملاحظات التى جمعها التلاميذ ثبت أن هناك ارتباطا سالبا بين المشاغبة وعدم الهدوء وبين شعبية البنت أو نجاحها كصديقة فى وسط الزملاء والزميلات ، ولكن هذه السمات لم يكن لها تأثير على صداقات الأولاد وحب الزملاء لهم ، ومعنى ذلك أن المشاغبة والخشونة بين البنات من أنواع السلوك غير المشجع وتعاقب عليه صاحبته بفقد حب زميلاتها وصداقاتهن ، كذلك وجد ارتباط موجب بين الجرأة والاقدام وبين اقبال الزملاء من الذكور على من يتصف منهم بهذه الصفات ، ومن هنا كان الدور الذى يقوم به الزملاء والأصدقاء من نفس السن فى تكامل شخصية الصغير ونموه الاجتماعى كبيرا .

كذلك يؤثر الصحاب على ميول الصغير وتطور هذه الميول وفق معايير « الشلة » ومثلها ويقول كونجر[2] Conger ، موسن Mussen إن ميول الصغار بين سن التاسعة والثالثة عشر تظهر بوضوح ، كما تتميز ميول الذكور منهم عن ميول الإناث ولقد قام ليمان Lehman وويتى

(1) Tuddenham R. D (1951) "Studies in reputation : III. Correlates of popularity among elementary school Children (J. Edu. Psych. 1951) Vol 42_ pp. 257—276.

(2) Mussen Conger (19) « Child development and personality »

Witty ببحث عن ميول آلاف الأطفال فى المدن والقرى وأثبت البحث أن أنواع اللعب « Games » تبدأ فى الارتباط مع الجنس منذ سن السادسة فيلعب الأولاد ألعاباً تتميز بالنشاط والعنف والتنافس والمهارة العضلية ، بينما تلعب البنات ألعاباً تتميز بالهدوء والأنوثة ، ولقد وجد الباحثان أن أكثر ما تكون هذه الميول تمايزاً بين سن ٨½ ، ١٠½ وهو السن الذى تكون فيه المسافة الاجتماعية بين الصغار من الذكور والإناث أكثر ما تكون ظهورا .

علاوة على أثر الزملاء على تنمية الصفات الشخصية المميزة للجنس عند الصغير وعن تشكيل ميوله واتجاهاته ، فإن لهؤلاء الزملاء أثرا ملحوظاً على ذاته العليا ومثله ومبادئه ، ولقد سبق لنا أن ذكرنا أن فكرة الصغير الأولى عن الأخلاق وعن الخير والشر تنبع فى الأسرة ، وانه يكتسب منها عاداته وتقاليده فيتعلم عادات والديه وأنماط سلوكهم دون مناقشة كما لو كانت هذه المبادىء والعادات مقدسة ، وعن طريقهما يكوّن فكرته الأولى عن الخير والشر وما تبيحه الجماعة من أنماط السلوك الاجتماعى وما تمنعه ، ولما كانت علاقات الصغير خارج نطاق الأسرة محدودة للغاية قبل دخوله المدرسة ، فإنه لا يجد الفرصة التى تتيح له اكتساب ما يخالف مبادىء أسرته وعاداتها ، ولكن اختلاطه مع أصدقائه وزملائه تختلف بعض الشىء عن ادراكه السابق .

ولقد استطاع بياجيه « Piaget » بما قام به من أبحاث عن تغير أفكار الصغار ومبادئهم الخلقية أن يثبت هذه الحقيقة ، فذكر أنه إذا ما دخل الصغير المدرسة وأصبح عضوا عاملا فى مجتمع أكبر وأكثر تنوعاً من مجتمع الأسرة فقدت ما اكتسبه من عادات ومبادىء وأحكام خلقية سلطانها عليه وأصبحت أقل إلزاماً له وأكثر ملاءمة لرغباته وحاجاته كما أنها تصبح أكثر اعتمادا على حاجات الجماعة ورغباتها .

هذا وللانتماء إلى جماعة من الزملاء فوائد أخرى غير ماسبق ذكره ، وهى لاتقل أثرا عنها على نمو الصغير وتكامل شخصيته ، فهو يجد فى زملائه مجموعة من نفس سنه يستطيع معها أن ينفس عما يشعر به عادة من طاقة وحيوية هى من أهم مميزات الطفولة ، فتجاريه فى جريه وقفزه ويقوم معها بمجهود جسمانى وعضلى يعجز الآباء عن مجاراته فيه والقيام به ، كذلك يجد الصغير فى « شلته » أو أصدقائه مجموعة من الرفقاء متقاربين فى المستوى العقلى والنمو الاجتماعى والانفعالى فيتعامل معهم ويفكر معهم على مستوى يناسبه بعيدا عن رقابة البالغين وأوامرهم ونواهيهم التى كثيرا ماتقف حائلا دون تنفيذ رغباته ، ويمكننا التأكد من ذلك بملاحظة سلوك الصغير فى حضرة البالغين ومقارنته بسلوكه حين يلعب مع جماعة من الصغار بعيداً عن رقابتهم ، ومعنى ذلك ان الصغير يجد بين زملائه فرصة

للتنفيس عما قد يشعر به أحياناً من ضيق وتوتر يسببه احتكاكه بالبالغين المحيطين به و بعالم الواقع الذى لا يفهمه جيدا .

و يلاحظ أنه رغم أهمية العلاقات الإنسانية بين الصغير وزملائه ، ورغم الحاح حاجاته الاجتماعية فإن تكيفه لمجتمع المدرسى وقبوله فى هذا المجتمع والاعتراف به ليست من العمليات السهلة فقد توجد من العوائق والعراقيل مايؤدى إلى ضعف تكيفه ، و بعض هذه العراقيل متعلقة به شخصيا والبعض الآخر يتعلق بمجتمع الفصل أو بشلة الأصدقاء .

يذهب الصغير إلى المدرسة فيجد نفسه لأول مرة وسط غرباء عنه لا تربطه معهم صلة القرابة التى كانت تربطه بمجتمع الأسرة ، كما يجد نفسه يجهل كل شىء عنهم وعن الوسط المدرسى ، لهذا نجده متهيبا يتنازعه عاملان ، أحدهما يدعوه إلى الاقتراب من مجتمع الصغار الذى يتوق إلى الانتماء إليه ، والثانى يحثه على الابتعاد عنه لأنه غريب عليه ، ولما كان من غير الممكن أن يبقى وحيدا فإنه يعاود الكرة ، و ينجح الطفل السوى فى التغلب على الصعوبات الأولى وفى الانتماء إلى جماعة الفصل التى يرغب فيها ، أما إذا اخفق فى ذلك أشعره هذا الاخفاق بخيبة أمل كبيرة واضعف ثقته بنفسه وقد يؤدى به إلى الانحراف . ويقول بلير « Blair » ومن معه « إن الطريقة التى يتعلم بها الصغير انماط السلوك الاجتماعى

المختلفة على جانب كبير من الأهمية فى نجاح عمل المعلم . والحق إن الجريمة وانحراف الأحداث والاضطرابات العقلية والطلاق وعدم الكفاية الانتاجية والتأخر الدراسى تعتبر ضمن الكوارث الاجتماعية المرتبطة بفشل الصغار فى الوصــول إلى مركز مرض فى جماعات المدرسة والمجتمع الخارجى[١] »

ولما كان قبول التلميذ فى المجتمع المدرسى لا يتوقف على مجهود الصغير وحده وإنما يتوقف على استعداد الجمــاعة المدرسية لتقبله وإدماجه فيها فى الوقت المناسب بحيث لا يترك وحيداً مدة طويلة فيبتعد عنها و ينطوى على نفسه، كان علينا أن ندرس الظروف التى تؤدى إلى تقبل الجماعة للصغير أو نبذها له .

هذا ومن الطبيعى ألا يقبل[٢] الصغير فى الجماعة دون قيد أو شرط ، ولا بد أن تجد الجماعة عنده من الميول والاتجاهات والصفات الشخصية والمزاجية ما يتفق معها أو ما يثير اعجابها . وقد عملت أبحاث متعددة عن الصفات المزاجية والشخصية التى تساعد على تقبل جماعة الصغار لقادم جديد أو رفضها له ولم تصل هذه الأبحاث إلى اتفاق تام فيما بينها شأنها فى

---

(1) Blair, G. M, Jones R. S, Simpson, R. H. (1954) "Educational Psychology" N. York, P. 271.

(2) Mussen & Conger p 430.

ذلك شأن الأبحاث التي تعمل عادة عن الشخصية والصفات المزاجية وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر البحث الآتى :

طلب فى أحد هـذه البحوث من بعض المعلمين والتلاميذ أن يرتبوا عشرين تلميذاً ممن يعتبرون من أكثر التلاميذ أصدقاء ، وعشرين من أقلهم أصدقاء وتقبلا من الجماعة ، فكان ترتيب العشرين من المحبوبين أعلى بكثير من ترتيب العشرين الآخرين فى مجموعتين من الصفات ، المجموعة الأولى كانت تشمل القوة والنزعة العدوانية والرجولة والقيادة والمشاركة فى الأعمال المدرسية ، والمجموعة الثانية وكانت أقل وضوحاً واشـتملت على صفات مثل الظرف وحسن الخلقة والسعادة والصداقة والمرح .

كذلك عمل بحث آخر عن صفات الشخصية المميزة للأطفال المحبوبين واختير لذلك مجموعات من الأطفال تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشر وطبق عليهم[١] اختبار « حسن السمعة » حيث طلب منهم أن يذكروا أسماء أكثر التلاميذ أصدقاء وأكثرهم ظرفاً ثم أسماء أقل التلاميذ أصدقاء، وبدراسة نتائج إجابات التلاميذ وجد أن المحبوبين منهم قد وصفوا بحسن الشـكل والظرف والإخلاص ، هذا بينما تأثرت الصفات الأخرى بالسن

(I) Tuddenham R D. «Studies in Reputation. I Sex and grade differences in school children's evaluation of their peers, II The Diagnosis of social adjustment» Psych. Mong (1952) 66 pp. 333.

والنضوج فمثلا فى سن السادسة وصفت الفتاة المحبوبة بالهدوء وبأنها «تبدو كسيدة صغيرة» أما فى الحادية عشر فقد اختفت هذه الصفة الأخيرة وحلت محلها صفات مثل الإخلاص وحسن الهندام والجرأة .

وهناك مجموعة أخرى من الأطفال المنعزلين الذين يعيشون على حدود مجتمع الفصل وهم فى حاجة ماسة إلى الرعاية حتى نساعدهم على التكيف، وقد عمل بحث عنهم فى إحدى المدارس الثانوية فى كندا حيث درس عشرون طفلا ممن لم تقبلهم الجماعة المدرسية دراسة تشخيصية دقيقة وأثبتت نتائج البحث أن هناك أنماطا ثلاثة من صفات الشخصية التى تؤدى إلى عدم تقبل الجماعة للصغير[1] هى :

(أ) نمط المنعزل أو المنسحب : ويتصف بقلة الذكاء وبنقص الحيوية وضعف التكوين الجسمانى وهو علاوة على ذلك يهمل الاهتمام بمن حوله من أفراد المجتمع وبالحوادث الجارية .

(ب) نمط الذى لا يهتم بالمجتمع : ويشبه المنسحب فى الخجل والسلبية على أنه يختلف عنه فى أنه يختلف ببعض الهوايات الشخصية كالفن والموسيقى .

(ح) نمط غير المتكيف اجتماعيا ويتصف بكثرة المشاغبة والثورة على الأوضاع بل والانحراف وهم يجهلون فى العادة كيفية التعامل مع الزملاء .

ويمكننا أن نقول ان معظمها تتفق فى أن اتصاف الصغير بصفة

(1) Conger, Mussen, p. 431.

لاتقبلها الجماعة أو انطوائه وعدم اشتراكه فى أنواع النشاط التى تمارسها من أهم عوامل عدم قبول جماعة الصغار لقادم جديد، هذا وقد دلت الابحاث على أن هذه الميول والدوافع تتوقف إلى درجة كبيرة على درجة النضوج العضوى للصغار ومستوى هذا النضوج وليس على المستوى العقلى أو على مستوى الذكاء كما تقيسه اختبارات الذكاء. و يقول بريسكوت Prescot[1] إنه قد ثبت بالبحث والملاحظة أن الأطفال يختلفون فيما بينهم فى معدل النمو العضوى وسرعته ، أى فى النمو الخاص بالتكوين الفسيولوجى من وزن وطول ونمو غددى وعظامى الخ فبعض الصغار والأصحاء نضجهم العضوى فى سن السادسة والنصف يعادل نضوج آخرين فى الرابعة والنصف، بينما يسبق البعض الآخر مستوى النضوج المتسق مع أعمارهم الزمنية فيصل فى سن السادسة إلى ما وصل اليه غيره فى سن السابعة والنصف أو الثامنة ، ولهذه الحقيقة أهمية خاصة إذ لوحظ أن ميول الصغار ونوع الأعمال التى تجتذبهم ترتبط بالنضوج العضوى أكثر من ارتباطها بالذكاء أو العمر العقلى ، فطفل العاشرة الذى وصل فى عمره العقلى إلى ١٣ بينما عمره النضجى لم يزد عن السابعة هو فى النمو الاجتماعى وفى ميوله ودوافعه طفل ذكى جداً فى السابعة ، ولهذا كثيراً ماتستبعده مجموعة من التلاميذ عمرها الزمنى والنضجى عشر سنوات .

---

(1) Prescot, D. A. (1957) "The Child in the Educative Process" pp. 434 f. (New York).

ومعنى ذلك ان عدم تقبل إحدى الجماعات المدرسية للصغير ليس معناه أن يكون الطفل غير المرغوب فى مصاحبته متأخراً دراسيا ، فقد لا يقبل طفل متفوق دراسياً وعقلياً فى مجموعة أو « شلة » من المنحرفين تعد التفوق الدراسي معطلا لنشاطها أو مظهرا من مظاهر الضعف والاستكانة لسلطة البالغين .

هذا وللجماعة وسائلها فى الحكم على القادم الصغير والموافقة على تقبله أو رفضه ، فقد تقبل طفلا رفضته وقتا غير قصير لأنه اتى فى يوم مايحمل آثار اعجابها كأن يقوم « بغطسة » فى حوض السباحة أدهشتهم وأعجبتهم جرأته ، أو كأن يأتيهم فى يوم ما بلعبة جديدة يستطيع تنظيمها والقيام بدور القائد فيها ، أو كأن يكون مستواه الاجتماعى والاقتصادى أعلى من مستواهم ولهذا فهم معجبون بملابسة وهندامه فضلا عما يمتاز به من صفات القيادة، وقد ثبت بالبحث أن ارتفاع المستوى الاجتماعى الاقتصادى من العوامل المساعدة على تصادق الأطفال مع الصغير المحظوظ بينما الفقر ورقة الحال كثيراً ما تتسبب فى وجود الطفل على « حدود جماعة » يرغب فى الانتماء إليها لأنه يحتاج إلى المادة اللازمة للإشتراك فيما يقومون به من نشاط .

ويلاحظ أن اخفاق الصغير فى الانتماء إلى جماعة يرغب فى الانتماء إليها سواء كان ذلك بسبب ما عنده من صفات شخصية ومزاجية أو بسبب

ما مر به من ظروف فى محيط أسرته من العوامل المؤدية إلى اخفاقه فى التكيف للوسط المدرسى بصفة عامة والمسببه لعزلته وانطوائه وشعوره بالتعاسة وكرهه للمدرسة بصفة خاصة ، وربما أدى ذلك إلى انحرافه كما سبق أن ذكرنا .

دور المعلم فى تدعيم العلاقة الانسانية الموجبة فى المجتمع المدرسى

إن من أهم وظائف المعلم هو أن يساعد التلاميذ على التمتع بعلاقات إنسانية سليمة يسودها الود والتعاون والتقبل الجماعى سواء كان ذلك فى الفصل أو الفناء أو المكتبة والمعمل ، وبذلك ييسر لهم الشعور بالأمن والأستقرار النفسى الذى يلازم سعادة الصغير وتجاوبه مع مجتمع المدرسة ، ولكى يتم له ذلك عليه أن يكون على علم بالنواحى الآتية : ـ

(ا) حاجات التلميذ فى كل مرحلة من مراحل التعليم حتى يستخدم هذه الحاجات فى تشجيع التقدم التحصيلى والنمو الأجتماعى .

(ب) أحساسه بالتيارات الخفية التى قد تحدث بين بعض تلاميذ الفصل الواحد خصوصا بين « مجموعة أصدقاء » وبين طفل رفضته واتخذت منه « مخلب القط » وموضع لسخريتها ، واستخدامه للوسائل المختلفة التى تساعد على تشخيص العلاقات الأجتماعية غير السوية

(حـ) معرفته بالنواحى التى يجب أن تتوفر فى مجتمع الفصل والمدرسة

وفى سلوك الصغار وشخصيتهم والتى يمكن أن تؤدى إلى تقبل التلميذ أو نبذه .

(٥) مساعدة التلاميذ الذين نبذتهم الجماعة ، أو الذين يميلون إلى الوحدة والعزلة والانطواء ، على التكيف لمجتمع الفصل والمدرسة والاندماج به والمشاركة فى أنواع النشاط المختلف الذى يقوم به .

أما عن الحاجات الأجتماعية ذات الأثر الفعال فى علاقات الطفل الإنسانية بزملائهم فهى متعددة ، نذكر منها حاجة الصغير إلى أستحسان الزملاء البالغين المحيطين به ، وحاجته إلى محبة وكسب ود من حوله كبارا وصغارا ولهذا كان توتر علاقته بمعلمه من العوامل الهامة الباعثة لشعور الاحباط والتعاسة ، ثم هناك حاجته إلى الشعور بالاهمية فى الوسط الذى يتحرك فيه وحاجته القوية إلى الأنتماء إلى جماعة .

هذا وليس من الصعب على المعلم معرفة هذه الحاجات السابقة ، فليس عليه الا أن يقلب صفحات أحد كتب النمو النفس ليعثر على ضالته هذه ، ولكن المهم هو معرفته الأجابة عن الأسئلة الأتية : ـ هل يشبع تلاميذه هذه الحاجات ؟ وهل نجحح فى أن يخلق بينهم جوا ملائما لأشباع هذه الحاجات ؟ الحق اننا لا ننكر أن اكثر المعلمين حنكة قد يخفق فى تشخيص العلاقة الأنسانية السالبة بين تلاميذه مع أنه تحرص على ملاحظة الجو المدرسى .

العام ملاحظة لا بأس بها ، ومع ذلك فقد تخفى عليه بعض التيارات الخفية التي يكون لها أسوأ الأثر على الصحة النفسية لبعض تلاميذه ، لهذا ننصحه باتباع الإرشادات الآتية حتى يكون يقظا وحتى يستطيع تدارك الأمر في الوقت المناسب .

(ا) أن يعمل على تقبل جميع تلاميذه على حد سواء بقدر الإمكان وأن يتجنب أن يظهر بالقول أو العمل عدم تقبله لاحدهم ، فمن خبرتنا في التعليم نعلم أن بعض المعلمين قد اظهروا عداءهم وعدم تقبلهم لبعض التلاميذ بطريقة مكشوفة فاغلظوا لهم في القول وأهملوهم إما لتخلفهم عن باقي زملائهم في التحصيل و إما دون ماسبب ظاهر ،وكثيراً ما سمعنامن بعضهم قولا كهذا « أنني لا أستطيع أن أتقبل فلانا ولا أستطيع أن « استحف ديه » رغم انه لا بأس به في تصرفاته وتحصيله » مثل هذا التصرف من المعلم يؤثر تأثيرا كبيرا في نفس الصغير لدرجة قد لا يتصورها . وقد ثبت لي ذلك من البحث الذي قمت به عن أثر المعلم على نفسية المتعلم وقد سبق لنا الكلام عنه في الفصل السابق .

(ب) يمكن أن يتبين و يشخص نوع العلاقات الإنسانية السائدة بين الصغار من حين لآخر بتطبيق نوع من المقاييس الاجتماعية على التلاميذ ودراسة نتائجها « Sociometric Study » وهي مقاييس تمكنه من معرفة وقياس العلاقات الاجتماعية بين تلاميذ الفصل أو أي جماعة

مدرسية، وتعتمد على اجابتهم عن سؤالامثل « من من زملائى فى الفصل أحب أن أعمل معه أو أن اختاره زميلا لى فى اللعب» ومن دراسة اجابات التلاميذ يمكن تحقيق الفوائد الآتية : —

١ — يستطيع المعلم عن طريق هذ المقياس الاجتماعى أن يتبين الانقسام بين التلاميذ و « الشلل » المتعادية ان وجدت ، و بذلك يمكنه معالجة الأمر بحسب مقتضيات الظروف المسببة لهذا الانقسام .

٢ — يستطيع المعلم أن يتبين أهم مشكلات العلاقات الإنسانية بين تلاميذه وأن يحاول حل هذه المشكلات عن طريق الندوات والمناقشات التى يشترك فيها كل مجتمع الفصل دون ذكر الأسماء ، وهكذا يقوم بنوع من العلاج النفسى الجماعى البسيط .

٣ — تساعد المقاييس الاجتماعية المعلم على معرفة التلاميذ غير المقبولين من الجماعة أو الذين يكونون مكروهين من بعضهم أو من أغلبيتهم وذلك تمهيدا لمساعدتهم على التخلص من صعوباتهم وتقبل الجماعة لهم .

٤ — مساعدة التلاميذ الذين يشعرون بالوحدة و يفتقدون الاصدقاء من بين مجموعة فصلهم دون مبرر حقيقى لهـــذا الشعور وأن يبين لهم أن ما يشعرون به لا يستند على أساس من الصحة .

٥ — معرفة التلاميذ الذين يقودون زملاءهم خارج المجتمع المدرس

ومجتمع الفصل ولـكنهم لا يحتلون هذه المنزلة فى المدرسة لأى سبب من الأسباب ومساعدتهم بالتوجيه السليم حتى يقودوا زملاءهم فى المدرسة أيضا ما داموا يتسمون بصفات القيادة ، وهكذا يخطو المعلم خطوات واسعة فى تربية قادة المستقبل .

٦ — مساعدة المعلم على التخلص من بعض ما يصادفه من مشكلات مع بعض التلاميذ الذين لا يقومون بالعمل المدرسى كما يجب ، إذ يستطيع استغلال ميل هؤلاء إلى العمل مع زملاء معينين كدوافع للتحصيل والعمل.

٧ — بيان كيفية استقبال تلاميذ الفصل والمجموعة للقادم الجديد ودرجة تقبلهم له وبذلك يستطيع مساعدته ويجنبه ما قد يشعر به من إحباط وهو يحاول أن يكيف نفسه للجماعة .

٨ — تساعد المعلم على أن يعرف من هو التلميذ الذى لم يحرم من أصدقاء من بين زملائه فى الفصل ولـكنه مكروه كرهاً شديدا من بعض الزملاء الآخرين وبذلك يستطيع أن يتبين أسباب الانحراف فى العلاقات الإنسانية السائدة بينهم .

(ح) أن يستغل مجالس الآباء فى التناقش معهم عن أبنائهم حتى يعرف شيئاً من حياتهم الخاصة تفيده فى تدعيم الحياة الإنسانية بين تلاميذه ، وربما استطاع أن يعرف شيئاً عن مدى سعادة الصغير فى المجتمع

المدرسى إذ كثيرا ما يقص الصغير على والديه بعض متاعبه المدرسية .

(د) عليه أن يعمل بطريقته وباتصالاته الشخصية مع التلاميذ ومع زملائه أن يكون الجو المدرسى مساعدا على تدعيم العلاقات الإنسانية السليمة(١) .

(هـ) على أن أهم وظيفة فى نظرى للمعلم القدير الذى يحرص على استخدام العلاقات الانسانية السوية فى تشجيع تحصيل تلاميذه وتكامل شخصيتهم هو أن يساعد التلميذ المنبوذ أو الذى لم تقبله الجماعة على التخلص من صعوباته والاندماج فى العمل المدرسى ، وقد لا يكون هذا من الأمور اليسيرة عليه خصوصاً وأن هؤلاء لا يشاركون مشاركة فعلية فى عملية التعلم ولذلك كانت استفادتهم من كثير من الأعمال المدرسية محدودة ومع ذلك ففى إمكانه أن يقوم بمحاولات عديدة لمساعدته على تكيف أفضل للوسط المدرسى نذكر منها :

إذا ما اكتشف المعلم أن واحدا أو أكثر من التلاميذ لا تقبله جماعة الفصل كلها أو بعضها فمن المفيد أن يغير أماكن جلوسهم ويعيد تكوين المجموعات التى تعمل مع بعضها فى المعمل والمكتبة أو « الورشة » حتى يدخل المعزول منهم مجموعة محايدة أو أقل عداء ، ويمكنه استخدام

---

(١) ارجع للفصل التاسع .

نتائج المقاييس الاجتماعية السابق الاشارة إليها (Sociometric studies) فى إعادة هذا التقسيم فيسير وفق هذا الاختيـــار حتى ولو لم يوجد إلا الاختيار الثالث ، وعليه أن يتجنب الجمع بين التلاميذ الذين لم يختاروا وبين الذين رفضوا تقبلهم . ويحسن أن يستغل نواحى النشاط التى يتقنها التلميذ المعزول فى إثارة اهتمام بقية التلاميذ به ولفت نظرهم إليه .

كذلك من الممكن أن يكثر من العمل الذى يحتاج إلى مجموعات كبيرة من التلاميذ ، والذى يتطلب التعاون والعمل الجماعى ويسمح باستغلال عدد غير قليل من المهارات المختلفة ، حتى يجد مختلف التلاميذ حوافز ومتعة فى اتمامه . وتزداد إفادة التلميذ المنعزل من العلاقات الاجتماعية التى تسود المجموعات السابقة إذا كانت طبيعة العمل لاتحتاج الا إلى القليل من الاعتبارات الشخصية .

هذا ويحسن أن يشجع المعلم التلميذ المنعزل على أن ينخرط فى سلك جماعة الفصل ويشارك فيما يقومون به من نشاط بطريقة تدريجية حتى لا يجد نفسه فجأة وقد سلطت عليه الأضواء بعد انعزاله الطويل فيرتبك ويخطىء فيزيده خطأه رغبة فى الابتعاد ، لهذا كان الأفضل أن يدفع إلى التعاون مع الجماعة تدريجيا فيبدأ بتشجيعه على العمل مع عدد قليل من الزملاء قد لايتعدى اثنين ثم يزيد عدد أفراد المجموعة شيئاً فشيئاً .

كذلك على المعلم أن يدرس تلاميذه ويعرف ميولهم ونواحى المهارات التى يتفوق فيها كل منهم على غيره ، فقد ثبت من دراسة الفروق الفردية بين الصغار أن كل تلميذ حتى ولو كان أقل من المتوسط فى الاستعداد العقلى عنده مهارة أو أكثر يتفوق فيها عن باقى النواحى الأخرى ، ومتى اكتشف المعلم هذه المهارة استطاع أن يستخدمها فى إعادة ثقة الصغير بنفسه من جهة وفى رفع منزلته فى أعين مجتمع الفصل من جهة أخرى فتكون عاملا فعالا فى تقبله .

هذا وقد يلجأ المعلم إلى تدريب الصغير المنعزل أو الذى لم تتقبله الجماعة على بعض المهارات ذات الصبغة الاجتماعية التى يميل إليها زملاؤه من التلاميذ والتى تزيد فى تدعيم الروابط والعلاقات الانسانية بينه وبينهم ، مثل أنواع الألعاب الرياضية المختلفة كالكرة الطائرة وكرة السلة وكرة القدم والسباحة وغيرها ، ذلك لأن اخفاق التلميذ فى مجاراة زملائه فى هذه الألعاب قد يكون من الأسباب القوية التى جعلته ينسحب من مجتمع الفصل وينطوى على نفسه بعد أن يتضخم شعوره بالنقص من جراء جهله بها .

ومن الوسائل التى ننصح المعلم باتباعها عمل ندوات دورية تضم جميع تلاميذ الفصل حيث يتناقشون فيما بينهم وحيث يبدون رأيهم بصراحة

فيما يقبلونه من العادات وأنماط السلوك المتباينة وما لا يقرون دون جرح لمشاعر بعضهم للبعض الآخر ، وبهذه الطريقة يستطيع التلميذ المنحرف إن قليلا أو كثيراً التخلص من العادات غير المرغوب فيها والتى قد تكون السبب فى عدم تقبله فى الجماعة المدرسية ، فلو فرض مثلا وكان بالفصل تلميذة أفرطت فى زينتها لدرجة غير معقولة فإن هذا الإفراط كثيراً ما يمنع تقبل تلميذات الفصل لها ونفورهم منها ، فلو عقدت ندوة لمناقشة موضوع مثل « التزين للمناسبات » ونوقش فى هذه الندوة بصراحة موضوعات مثل كيف تختار الفتاة الملابس والألوان المناسبة لسنها وكيف تختار ملابس الصباح وملابس بعد الظهر وملابس العمل وملابس التريض وهكذا فإنه من الممكن أن تعالج الطالبات مشكلة الفتاة المفرطة فى تزينها دون جرح لمشاعرها ودون أن يثيروا مقاومتها للتوجيه .

البابُ الثالِث

مشكلات الاطفال اليومية

الباب الثالث

سنعرض فى هذا الباب لمشكلات الأطفال اليومية من حيث أسبابها ومظاهرها وكيفية العمل على حلها أو تخفيف حدتها ، ويمكننا أن نقسم هذه المشكلات إلى قسمين :

الأول : هو ذلك النوع من المشكلات التى تبدو مشكلة فى ظاهرها ولكنها لا تعدو مظهراً أو أكثر من مظاهر النمو فى مرحلة معينة ، ولذلك كانت سطحية، ويتخلص منها الصغير بسهولة إلا إذا ساعدت البيئة على تفاقمها وتعقيدها . وسنضيف إلى هذا النوع مشكلات لا تخرج عن كونها عادات سيئة تعلمها الصغير كنتيجة لظروفه فى الوسط .

الثانى : هو نوع من المشكلات التى تعترض حياة الصغار اليومية ، كنتيجة لما يعانيه كل من توتر نفسى ، وكنتيجة للظروف الاجتماعية التى مر بها فى المدرسة أو فى المنزل . وهذا النوع الأخير هام لأثره على الصحة النفسية للصغير ولعرقلته لتكيفه للوسط فى مستقبل حياته ،

ولهذا كان الواجب علينا كمربين وآباء أن نعنى بهذا النوع لأنه يعرقل نمو الفرد والمجتمع على السواء .

النوع الأول ، وسنعالج منه المشكلات الآتية :

١ — (ا) العنـــاد .

٢ — (ب) النزعة العدوانية .

٣ — (ح) الكذب .

٤ — (د) مص الأصابع وقضم الأظافر .

٥ — (هـ) الانفجارات الانفعالية .

٦ — (و) مشكلات التغذية .

٧ — (ز) كره الصغير للمدرسة والهرب منها .

النوع الثانى ، وسنعالج منه المشكلات الآتية :

١ — السرقة .

٢ — التبول اللاإرادى .

٣ — الخوف ، والقلق .

٤ — ضعف الثقة بالنفس والشعور بالنقص .

٥ — التهتهة والفأفأة .

٦ — الهستيريا .

الفصل العاشر

العنـــــاد

العناد من مشكلات الأطفال اليومية التي لفتت أنظار الآباء وسببت لبعضهم الخوف والقلق . فقد لاحظ هؤلاء أن أبناءهم قد بدأوا فى معارضتهم فى سن مبكرة ، فلا يجيبون ما يطلب منهم ، وكثر استخدامهم كلمة « لا » فى معاملاتهم للبالغين المحيطين بهم ، هذا النوع من السلوك أحد أنماط السلوك الاجتماعى المعروفة ، وتكاد تكون طبيعية فى سنى حياة الصغير الأولى ، ولذلك فهى لا تدعو إلى القلق و إن كانت تتطلب من الأم ومن يحتك بهم الصغير فى نطاق الأسرة معاملة خاصة ، لأن هذا السلوك كثيراً ما يسىء إلى العلاقات الإنسانية بينه و بينهم .

والحق إن معظم الأطفال يظهرون هذا السلوك فى وقت ما من حياتهم وقد يبدأ بعضهم فى العناد فى السنة الأولى كما يحدث حين يرفض الصغير الرضاعة من ثدى أمه أو حينما يرفض استخدام الوعاء وحين يفقد شهيته و يصاب بالإمساك الخ ، وقد يظهر العناد عند البعض الآخر حوالى سن سنة ونصف ، ولكن يمكننا أن نقول إن أظهر ما يكون هذا السلوك عند البنات حوالى سن الثانية ، وعند البنين فى سن الثالثة ، ثم تخف حدته

تدريجياً بعد هذا السن فيعود الطفل فى حوالى الخامسة أو السادسة مطيعاً وديعاً ، على أنه يجب ألا نظن أن كل طفل يمر بهذه المرحلة فى نفس السن وبنفس العنف ، فالأطفال يختلفون فى درجة العناد ومتى وكيف يلجأ إليه الصغير ، وقد لا يظهر عند بعضهم إلا قليلا لدرجة لا تشعر بها الأم فيستمر الطفل فى نظرها وديعاً مطيعاً كما يحدث فى حالة البنات إذا ما قورنوا بالبنين .

وهنا نتساءل ما هى أسباب العناد ؟ وهل هناك أسباب فى بيئة الطفل المنزلية تجعل بعض الأطفال يبدون أكثر عناداً من غيرهم ؟

الواقع أن معاملة البالغين من أفراد الأسرة وعلى الأخص الأم كثيراً ما تؤدى إلى تشبث الصغير برأيه وتمسكه ببعض أنماط السلوك السلبي المكتسب ، ويمكننا أن نقول ان أسباب العناد متعددة نذكر منها ما يأتى :

١ — قد يكون سبب العناد رغبة الأم وشدة حرصها على حماية صغيرها مما أدى إلى تدخلها فى كل صغيرة وكبيرة من حياته وتقييد حركاته ومنعه من الجرى واللعب مع زملائه أو إخوته خوفاً من أن يؤذى نفسهُ ومنعه من الخروج مع والده أو إخوته مخافة أخطار الطريق ، وتكثر من أوامرها ونواهيها فيضيق ذرعاً بنصائحها وأوامرها ويتخذ لنفسه موقفاً سلبياً لمقاومة هذا التدخل .

٢ — قد يكون سبب العناد واستخدام كلمة «لا» عدم نضوج الطفل

وقصور معلوماته وعدم قدرته على التمييز بين مايطلب منه وفهمه لقلة ما لديه من ذخيرة لغوية فيلجأ إلى كلمة « لا » للتخلص من موقف وجد نفسه فيه عاجزاً عن أن يقوم بما يطلبه منه البالغون ، وهكذا تكون كلمة « لا » مخرجه الوحيد .

٣ — كذلك قد يكون سبب العناد شدة النظام فى الأسرة ووجود روتين قاس بالمنزل فيحاول الآباء والبالغون المحيطون بالصغير تطبيق هذا النظام وإخضاعه بطريقة لا تخلو من عنف وجمود ، فيطلب منه الاستجابة لمطالب لا تتناسب مع سنه فى أى وقت دون مراعاة حاجته أو نوع النشاط الذى كان يقوم به وقت إعطاء الأمر ، ومن أمثلة ذلك تمسك الأم بأن يراعى طفل الثالثة آداب المائدة وأن يحسن مسك الملعقة ، أو أن تمسك بأن يلزم حجرته طول اليوم ولا تسمح له بجولة استكشافية فى باقى حجرات المنزل . فى مثل هذه الظروف نجد الطفل يلجأ إلى كلمة « لا » للثورة على هذا الروتين الذى لا يفهم له معنى ، وقد يتطرف فى هذا فيقول « لا » إذا طلب منه غسل يديه قبل الأكل ويقول « لا » إذا طلب إليه غسل وجهه ويديه قبل الدخول فى سريره .

٤ — كذلك قد يكون العناد مجرد وسيلة لتعضيد ذاته ومظهراً من مظاهر استقلاله عن أمه بصفة خاصة وعن البالغين المحيطين به بصفة عامة

أى أنه الخطوة الأولى فى التربية الاستقلالية وفى هذه الحالة يظهر الصغير عناداً حتى ولو كانت معاملة أمه وأفراد أسرته له معاملة سوية وأنا أحبذ ظهور هذا النوع من السلوك الاجتماعى على شرط ألا يبالغ الصغير فى ذلك .

٥ — أخيراً قد يكون العناد عادة تعلمها الصغير مما مر به من خبرات غير مواتية فى محيط الأسرة ولذلك فهو يعاند لمجرد العناد ولمجرد رغبته فى اجتذاب انتباه البالغين المحيطين به وفى هذه الحالة يكون ظاهرة لما يعانيه من توتر نفسى دفعه إلى محاولة خلق نوع من « القتال » بينه و بين والدته و يحدث هذا النوع من العناد عادة بعد ولادة مولود جديد فى الأسرة أشعر الصغير بالقلق والخوف من فقدان محبة والدته وعنايتها ، و يحضرنى فى هذه المناسبة ما كان يقوم به طفل فى الثالثة ، إذ كان يحاول منع والديه من تناول أحد أصناف الطعام وعلى الأخص الفاكهة لمجرد الرغبة فى العناد و «القتال» فيمسك بالطبق بين يديه و يقول لهما لن تتناولا « العنب » فتقول له والدته لا يا فلان ضع العنب ودعنا نأكل فيصر على الرفض ولا تجدى محاولاتها لإقناعه بأن يقلع عن عناده .

هذا النوع الأخير من العناد هو الذى يستحق من الأم بعض القلق و يحتاج منها إلى معاملته معاملة خاصة لتلافى الأسباب التى أدت إلى التوتر النفسى الذى دفع ابنها إلى السلبية والعناد ، وقد يحتاج الأمر إلى طلب

مساعدة الإخصائى النفسى . أما الأنواع السابقة فهى مظاهر عادية وتعتبر من المشكلات العادية اليومية للصغار وكثيراً ماتصادفها الأمهات فى حياتهن اليومية مع الصغار ، وهى و إن كانت لاتستحق منهن الخوف والقلق إلا أنها تحتاج من البالغين المحيطين بالصغير فى الأسرة والمدرسة بعض العناية وسأحاول هنا أن أسوق بعض الإرشادات العابرة لعلها توجه الأم والمعلمة إلى مساعدة الصغير على تعضيد ذاته وعلى استقلاله عنهما تدريجياً دون أن يكتسب من هذه العملية عادة العناد ، وتتلخص هذه الإرشادات فيما يلى :

على الأم والمعلمة والبالغين المحيطين بالصغير أن يضعوا أنفسهم موضعه حتى لا يكون حكمهم على أعماله متأثراً بمثل ومبادئ البالغين التى لايفهمها وحتى يكونوا قادرين على معرفة أهمية أنواع النشاط المختلفة له ، فمثلا إذا كان منهمكا فى اللعب بلعبة محببة إلى نفسه فإنه لن يقابل طلب والدته له بأن يترك اللعب لينام أو لتتناول طعامه ، ولذلك فلابد أن نتوقع منه رفضاً ، لهذا كان عليها فى مثل هذه الظروف ألا تمنعه من ممارسة هذا النشاط المحبب فجأة تنفيذاً لأمر أعطته له ، ولكن عليها أن تهيئه لذلك فتقول له مثلا « بعد قليل ستترك اللعب لتتناول الطعام » وبذلك تعطى له فرصة كافية للتغيير من نشاط إلى آخر ، أما إذا أصرت على أن يترك اللعب فجأة إطاعة لأوامرها فإنها تثير فيه المقاومة و « السلبية » «Negativism» ، كما انه

إذا تجاوزت عن معارضته لها فى كل مرة تطلب منه أمراً فإنها ستعوده على ذلك وتصبح هذه الطريقة طريقته فى التعامل معها حتى فيما يتعلق بتنفيذ الأوامر الضرورية لخطورتها على صحته أو على حياته .

كذلك علينا أن نقلل من أوامرنا ونواهينا ، كما نقلل من تدخلنا فى شئونه وفيما يقوم به من نشاط ، وألا نلجأ إلى تطبيق روتين قاس دون مراعاة سنه ومقدرته ، على انه ليس معنى ذلك أن نمنع الأم من تدريب ابنها على عادات المجتمع الضرورية مثل عادات النظافة والتعامل مع الآخرين ، ثم عادات الأكل والنوم وإنما نقصد أن تنزل إلى مستواه فى طلباتها وأن تقلل مما يرهقه منها ولا يفيده ، فعليها مثلا ألا ترغمه على أن يلعب بلعبته بطريقة معينة خوفاً من تخريبها أو أن تضعها فى مكان معين وتطلب إليه ألا ينقلها ، وهكذا فإن إصرارها على هذا الروتين لن يساعد الصغير بل سيعطل نموه ويقيد حريته ويسىء إلى علاقته معها .

كذلك يجب على الأم والبالغين المحيطين بالطفل فى الأسرة والمدرسة أن يتصفوا بالحلم والصبر فى معاملتهم معه فلا تفقد الأم أو المعلمة سيطرتها على أعصابها إذا أبدى نوعاً من أنواع السلوك المتصف بالعناد ، حتى لا تسىء إلى علاقتها به ، وتدفعه إلى مقاومتها .

كذلك علينا ألا نحاول إرغامه بالقوة على فعل ما لا يريد وألا نلجأ إلى استخدام العقوبة إلا فى الحالات النادرة التى تهـدد صحته أو تهدد حياته .

وأخيراً وليس آخراً علينا أن نتجنب الإشارة إلى الصـغير بأنه « ولد عنيد » أو نشـكو منه أمامه لأحد الأصدقاء والمعارف لأن ذلك يشعره بنوع من القوة والسيطرة على البالغين فيزداد تمسكا بالسلوك غير المرغوب فيه .

الفصل الحادى عشر

الانفجارات الانفعالية عند الصغار

إن الانفجارات الانفعالية « Temper Tantrums » ما هى فى الواقع إلا نوع من الغضب الشديد المشوب بالخوف يعبر عنـــه بطريقة بدائيـــة ، فينفجر الطفل صارخاً باكياً ثائراً يضرب الأرض بقدميه لأسباب قد تبدو تافهة ، وقد يصل به الأمر لدرجة الاعتداء باليد على أعز الناس لديه .

هذا وتتصف الانفجارات الانفعالية بما تتصف به انفعالات الطفولة، فهى عميقة عنيفة ، إذا غضب فعل ذلك بكل ما فى الغضب من معان ، وإذا فرح فرح بكل جوارحه وإذا غار وصلت الغيرة به إلى أعماق نفسه ، ثم إنها لا تتناسب مع مواقف الانفعال المختلفة ، بل تبدو سواء فى العمق والعنف لا فرق فى ذلك بين سبب تافه لا يستحق الانفعال وبين سبب أساسى خليق بالغضب ، وهى متغيرة فينتقل الصغير من حالة اكتئاب وبكاء إلى حالة سرور وانشراح بين دقيقــة وأخرى فى سرعة كثيراً ما أدهشت البالغين المحيطين به ، وكانت سبب فى خطأ فهمهم لانفعالات

الطفولة فظنوا أن الطفل لا يتأثر بالمواقف الانفعالية التى تمر به تأثراً يذكر لأنه سريع النسيان .

على أن الانفجارات الانفعالية تختلف عن الانفعال العادى بأنها أشد عنفاً وتكون مصحوبة فى العادة ببعض أنواع السلوك الذى لا يوافق عليه البالغون المحيطون به مثل الضرب بالأيدى والأرجل ، والرقاد على الأرض والسب والشتائم وغيرها من أنواع السلوك غير المرغوب فيه ، وأذكر على سبيل المثال حالة طفل وحيد فى الثانية من عمره ، كان كلما طلب شيئاً ووجد من أمه عدم استجابة له لجأ إلى ضرب رأسه فى الحائط وفى خشب ما كينة الخياطة بشكل عنيف كان يخيف أمه ويرعبها فتجرى نحوه وتأخذه بين ذراعيها وتعطيه ما يريد ، كما أذكر طفلا آخر لجأ إلى الانفجارات الانفعالية لتحقيق رغباته وبدأ هذه العادة بالارتماء على الأرض والصراخ والبكاء وفعل ذلك ذات مرة بعد أن ارتدى ملابسه للخروج مع والديه فرفض والده اصطحابه معهما لأن ملابسه أصبحت قذرة ، فعدل سلوكه بعد هذه الحادثة وأصبح يرتمى على السرير بدل الأرض .

هذا ويرجع السبب فى تكوين هذه العادة غير المرغوب فيها إلى أسباب متعددة منها وقوف البالغين المحيطين به فى سبيل تحقيق رغبة من رغباته القوية ، ومنعه من الاستمرار فى اللعب لأى سبب من الأسباب

فيأخذون منه لعبته و يأمرونه بعمل شيء آخر أو كأن تقفل الأم باب الشقة وتمنعه من الخروج إلى الحديقة أو النادى حيث الحيوية والانطلاق والصحبة .

كذلك قد يكون سبب الانفجار محاولة الأم إخضاع ابنها للروتين اليومى للحياة المنزلية فينفجر باكياً إذا طلبت منه الذهاب إلى غرفته لينام فى وقت معين ، وحين تطلب منه غسل أسنانه بالمعجون والفرشاة أو حين ترغمه على الاستحمام الخ ، وقد يرجع السبب فى الانفعال إلى إخفاقه فى القيام بعمل من الأعمال يرغب فى إنجازه كأن ينفجر باكياً إذا حاول إصلاح عجلته المكسورة وأخفق فى ذلك ، فيبعث فيه الإخفاق شعوراً شديداً بالإحباط .

كذلك قد ينفجر الطفل باكياً بشكل يلفت النظر دون ما سبب ظاهر ، فإذا بحثت حالته وجد أنه يفعل ذلك كوسيلة لكى يجعل نفسه محور انتباه الأسرة بدلا من المولود الجديد الذى يغار منه غيرة صورت له أنه قد أهمل ولم تعد أمه يعنى به ولا تهتم بأمره .

وأخيراً قد يكون السبب غير نفسى بل جسمانى مثل ضعف الحالة الصحية للطفل كما يحدث حين تكثر إصابته بالتهاب اللوزتين والزكام وأمراض البرد وعسر الهضم الخ .

وهنا نتساءل هل تستحق هذه الانفجارات الانفعالية قلق الأم ؟ .

الواقع إن الانفجارات الانفعالية طريقة لتعبير الصغير عن غضبه فلا ضرر إذا ظهرت كنوع من السلوك الانفعالى القوى من وقت لآخر، على أننا ننصح الأم أن تنتهز الفرصة وتحاول توجيه ابنها إلى أنواع من السلوك يعبر بها عن غضبه بطريقة تتفق مع المعايير السوية السائدة فى مجتمع الطفل . لذا فهى لا تستحق منها قلقاً إذا عالجت الأمر بحكمة ، أما إذا ذاق الصغير حلاوة انتصاره عليها بعد أن أسرعت فى تنفيذ رغباته بمجرد انفجاره فإنها بذلك تدعم هذا النوع من السلوك غير المرغوب فيه ، لهذا كان عليها أن تساعده على التخلص منها ويمكنها أن تفيد من التوجيهات الآتية :

على الأم أن تحافظ على هدوئها أثناء نوبة الغضب التى يجتازها ابنها ، والحق قد يكون ذلك فى بعض الأحيان من الصعوبة بمكان خصوصاً إذا انفجر الصغير باكياً بأعلى صوته وبدأ حركات « الرفص » والضرب فى الحديقة أو فى الشارع أو فى حضرة بعض أصدقاء العائلة ، مثل هذا التصرف سيشعر الأم بالخجل وخيبة الأمل حين يخذلها أمام الناس ، ولكنى أكرر وأقول ان عليها أن تعمل جاهدة على المحافظة على هدوئها واتزانها فلا تغضب هى الأخرى وتحاول عقابه حتى لا تزيد الصغير توتراً وخوفاً ، هذا فضلا عن أن منظر الأم الغاضبة ليس أفضل من منظر طفل غاضب .

٢ — عليها أن تشعره أنها تعلم انه غاضب وأن من حقه أن يغضب

إذا لم تتحقق له رغبته ولكنها لا تحب طريقته فى التعبير عن هذا الغضب ، وأنه يمكنه أن يعدل من سلوكه هذا حتى يتناسب مع ما يفعله الآخرون وتفعله هى مثلا ، كما أن عليها أن تؤكد له أن ما فعله لن يؤثر على علاقتها به وأنه لا زال ابنها المحبوب ، مثل هذا التأكيد قد يكون ضروريا فى بعض الحالات خصوصاً فى الحالات التى يكون فيها سبب الانفجار ولادة أخ صغير زعزع شعوره بالأمن وهدده بفقده حب والدته وعنايتها .

٣ — عليها ألا تذيقه حلاوة الانتصار عليها بتحقيق الرغبة التى كان يجد صعوبة فى تحقيقها قبل انفجاره باكياً ذلك لأنها ، إن فعلت أصبحت هذه طريقته أو وسيلته المفضلة للحصول على ما يريد .

٤ — كذلك عليها أن تقلل من أوامرها ومطالبها من الطفل وألا تصر على إطاعته لها فى كل المواقف بل عليها أن تغض النظر عن بعض مطالبها إن اشتمت منه رغبة فى المقاومة ، وليس معنى ذلك أن تترك الحبل على الغارب ، بل عليها أن تتمسك بتنفيذ بعض المطالب ، وعلى الأخص ما يتعلق منها بصحته وصحة باقى أفراد الأسرة أو بالمحافظة على حياته .

٥ — ألا تكثر من الوقوف فى سبيل تحقيق رغباته ، فالطفل الغضوب هو فى الواقع طفل عذبه الشعور بالإحباط ، وليس معنى ذلك أن تجيبه إلى كل ما طلب حتى تجنبه الشعور بالإحباط فقليل من هذا الشعور مفيد

لبناء الشخصية السوية وكثير منه يؤدى إلى اعتلال الصحة النفسية .

عليها أن تساعده على اكتساب الخبرات المعرفية والمهارات التى تساعده على مقابلة ما يعترضه من مشكلات دون إحباط .

٧ — عليها أن تراقب ابنها فلو وجدت مثلا أنه بدأ يومه بتوعك للزاج يريد أن يبكى ويقاومها وأن يشعل نار حرب بينه وبينها لأتفه سبب ، فعليها ألا تشبع رغبته هذه بل تتجنب إثارته بقدر الإمكان ، وبذلك يتبين أنه لا فائدة من المقاومة وهكذا تستطيع أن تقلل من الشد والأخذ والرد بينها وبينه .

وأخيراً عليها أن توجه انتباهه إلى أشياء أخرى محببة إلى نفسه وتشغله بها إذا وجد انه لن يحصل على ما يريد .

الفصل الثاني عشر

قضم الأظافر ومص الأصابع

إن مص الإبهام وقضم الأظافر من أنواع السلوك الشائع عند كثير من الأطفال ولذلك كثيراً ما نسمع من بعض الأمهات أنها تتضايق من مص ابنتها لإبهامها مثلا وهى فى سن لا يليق بها أن تفعل ذلك ، وكثيراً ما نشاهد طفلا يقضم أظافره بأسنانه حتى يدميها ولذلك كانت أصابعه مشوهة وهو الآن شاب يافع ولا يستطيع أن يتخلص من هذه العادة السيئة .

والحق إن مص الأصابع وإن كان من الأمور المضايقة للأم والملفتة لنظرها إلا أنه سلوك لا يستدعى قلقاً كبيراً ، ويرى المحللون النفسيون أن المص يمثل التعبير التلقائى للدوافع الجنسية ، وان الصغير يجد لذة من منطقة الفم والشفاه ، ويعتقد فرويد أن عملية المص ليست مجرد رد فعل أو فعل منعكس ينشط لمجرد القيام بعملية التغذية ، وإنما هو إحدى حاجات الصغير ودوافعه الأولية ، ولما كان الأطفال تقريباً يلجأون إلى عملية المص فى غير أوقات التغذية فقد ذهب بعض أنصار فرويد إلى أن المص غريزة ، ومع ذلك فهناك أدلة كافية تؤيد أن المص دافع به ناحية متعلمة اكتسبت

تدعيما من تلازمه مع إشباع دافع الجوع . ومعنى ذلك أن مص الصغير لأصابعه يبدأ فى الأسابيع الأولى لولادته كنوع من أنواع السلوك الذى يجلب له اللذة الفمية ولكنه يتعود هذا النوع من السلوك وقد يصير عبداً له ويصعب عليه التخلص منه ، يساعده على ذلك موقف أمه والبالغين المحيطين به منه .

ولقد قام عدد(١) من الباحثين ببحث لإثبات إلى أى حد يمكن أن يعزى دافع المص عند الصغار إلى الاكتساب ، فاختاروا لذلك مجموعات ثلاث من الأطفال ، عدد كل مجموعة ٢٠ طفلا واستخدمت التغذية الطبيعية مع المجموعة الأولى والتغذية الصناعية من « زجاجة » مع المجموعة الثانية والتغذية الصناعية من فنجان مع المجموعة الثالثة ، وافترض الباحثون الفرض الآتى وحاولوا تحقيقه .

« إذا كان دافع المص من الدوافع الثانوية أو المتعلمة فإن المجموعة الثالثة التى كانت تتغذى بالفنجان تكون أقل المجموعات الثلاثة إقبالا على المص ، لأن نوع التغذية التى اتبعت معها جعلت فرص تلازم عملية المص مع إشباع دافع الجوع قليلة ، وعلى العكس من ذلك ، إذا كان دافع

(1) Davis, H. V. , & Miller, H. C. , Sears, R. R. , Brodbeck, A. J. «Effects of cup, bottle, and breast feeding on oral activities of newborn infants » Padiatrics (1948) Vol III p. 549 — 558.

المص من الدوافع الفطرية الأولية ، كانت المجموعة الثالثة التى تتغذى بالفنجان أكثر المجموعات إقبالا على المص فى غير أوقات التغذية لأنها لم تعط فرصة لإشباع هذا الدافع الأول وقت التغذية » .

ولدراسة قدرة الصغير على المص فى غير أوقات التغذية ، ألْبَس المختبر أحد أصابعه حَلَمَة ووضعه فى فم الصغار كل على حدة لمدة معينة مرة كل يوم من الأيام العشرة الأولى من حياة الطفل ، واعتبر المدة التى يقضيها الصغير فى مص الأصبع دليلا على قوة دافع المص . و بدراسة نتائج البحث ظهر أن الأطفال الذين كانوا يتغذون من ثدى أمهاتهم أظهروا تقدماً ملحوظاً مدة الأيام العشرة التى استغرقتها التجربة عن أطفال المجموعتين الأخريين ، وعزى ذلك إلى ما يمارسه أطفال المجموعة الأولى من تدريب مستمر ارتبط فيه نشاط الفم بإشباع دافع الجوع ، وهكذا اكتسبت عملية المص قوة العادة وأصبحت مطلوبة فى حد ذاتها حتى فى غير أوقات التغذية .

من هذه التجربة استنتج الباحثون أن دافع المص به على الأقل ناحية مكتسبة .

ومعنى ذلك ان مص الإبهام عند الصغار عادة متعلمة دعِّمت منذ الأيام الأولى من حياتهم لارتباط عملية المص بإشباع الحاجة إلى الطعام ، ولهذا فهى طبيعية ولا تستدعى منا قلقاً كبيراً ، على انه غير طبيعى

أن يحتفظ الطفل بهذه العادة ويثبت عندها حتى سن الخامسة مثلا أو السادسة ، وبدراسة حالات هؤلاء الصغار وجد أن السبب فى هذه الحالة الشاذة كثيراً ما يكون معاملة الأمهات والبالغين فى الأسرة للصغار مما جعل هؤلاء يتخذون من هذه العادة سبيلا إلى العناد والمقاومة من جهة ومصدراً للذة من جهة أخرى . لهذا كانوا فى حاجة إلى نوع خاص من المعالجة سنتناوله فيما بعد .

أما قضم الأظافر فهى أيضاً عادة متعلمة وكثيراً ما تكون شاهداً من شواهد ما يعانيه الصغير من توتر نفسى وعدم اتزان انفعالى ، ويمكننا أن نلخص الظروف التى تؤدى إلى قضم الأظافر فيما يلى :

١ — قد يكون تعرض الطفل لموقف من المواقف استثير فيه لدرجة كبيرة بحيث بلغت انفعالاته المثارة حداً كبيراً من العمق والشدة سبباً فى قضمه لأظافره بحركة لا إرادية ونضرب مثلا لذلك : طفل كان يلعب فى منزله بكرة قذف بها أخاه فأخطأته وكسرت لوحاً من الزجاج ، وكان لهذا الطفل والد شديد قاس فى عقوبته ، فإن مجرد سماع الصغير صوت والده يسأل عن كسر الزجاج قد يدفعه إلى قضم أظافره .

٢ — قد يلجأ الصغير إلى قضم أظافره لأنه قلق وتعس لأى سبب من الأسباب ، مثل غيرته من أخيه المولود وخوفه من أن يفقد محبة أمه

وزعايتها أو شعوره بأنه طفل غير مرغوب فيه من والديه أحدهما أو كلاهما، أو شعوره بنقص وعدم ثقته بنفسه من كثرة مقارنة والديه له بأحد أفراد الأسرة الأكثر حظاً ، فى مثل هذه الحالة يكون قضم الأظافر ظاهرة من ظواهر القلق وعدم الاستقرار النفسى .

٣ — كذلك قد يكون قضم الأظافر مجرد عادة سيئة تعلمها الصغير من الوسط ومن الظروف المحيطة به ، ولذلك فهو يقضمها كلما استطالت بدلا من أن يقصها بمقص الأظافر ويحضرنى فى هذه المناسبة قول طفل فى الخامسة من عمره لفت نظره إلى طول أظافره وطلبت منه أن يأتى بمقص ليقصها فكان جوابه « لا اننى لن أقصهم بالمقص » فقلت ماذا تفعل بهم إذا استطالوا ! فقال « إننى آكلهم » هذا مع العلم بأن هذا الطفل لا يلجأ إلى قضم أظافره فى المواقف الانفعالية شديدة الوطأة على أعصابه .

٤ — كذلك قد يكون سبب قضم الاظافر شعور الصغير بالاحباط والفشل فى إشباع رغبة قوية أو حاجة ملحة مثل الحاجة إلى محبة الأم أو الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة ، كما يحدث حين يحاول الصغير الانضمام لعضوية « شلة » من زملائه فى المدرسة ولكن هذه الشلة رفضته ونبذته وينتج عن هذا شعوره بالاحباط الشديد وقد تضعف ثقته بنفسه .

هذا وقد لا يلجأ الصغير إلى قضم أظافره إلا فى المواقف ذات الصبغة الانفعالية العميقة وقد يتخذ من ذلك عادة يمارسها باستمرار حتى حين يخلو إلى نفسه وفى هذه الحالة كثيرا مايشوه الصغير أظافره ويدميها ، ويكون مثار قلق واضح لأهله والبالغين المحيطين به .

وسواء كان مص الصغير لاصابعه أو قضم أظافره ظاهرة لما يعانيه من صعوبات نفسية أو كانت عادة سيئة تعلمها من كثرة الممارسة فلا بد أن نحاول أن نخلصه من ممارسة هذه الأنماط السلوكية لأنها لا تساعده على التكيف السليم ، وهنا تلعب الأم دورا كبيرا فى ذلك ، ويتوقف نجاحها على طريقة معاملتها له وتوجيهه وقد ينتج عن خطأ الأم فى ذلك صعوبات نفسية ربما كانت أشد خطرا من عادة قضم الأظافر ومص الأصابع ، فالطفل الذى يخجل من نفسه لأنه يمارس هذه العادات ولا يستطيع أن يتخلص منها كثيراً ما يفقد ثقته فى نفسه ، وكثيرا ما تتأثر علاقاته الاجتماعية بمن حوله إذا نتج عن أحدهما أو كلاهما عاهة مثل تشويه الأسنان أو الأصابع ، وعلى كل حال فيمكننا مساعدة الصغير فى التخلص من العادتين السابقتين باتباع التوجيهات الآتية :

على الأم أن تتجنب تركيز انتباه الصغير على عادة قضم الأظافر أومص الابهام بكثرة تعليقاتها عليه وعلى سلوكه ، إذ أنه قد يشم من وراء هــذه

التعليقات انه نجح فى إثارة اهتمام والدته بأموره بدرجة تفوق ما كانت تعطيه له الأمر الذى يشعره بالاعتداد والقوة فيدعم هـــــذا السلوك غير المتكيف .

وعليها أن تتجنب وسائل القمع الآلية مثل العقوبة والتوبيخ والتعبير بهذا العيب وعلى الأخص أمام الغرباء لأن العقوبة نتائجها غير مضمونة وقد تعوده عادات أسوأ من العادة غير المرغوب فيها كالغش والخداع ، كما أنها كثيرا ما تثير فى الصغير المقاومة والعناد ، كما أن تعييره بهذا العيب قد يشعره بنوع من الذنب والخطيئة وهو شعور كثيرا مايسىء إلى الصحة النفسية .

كذلك على الأم أو من يقوم مقامها ألا تظهر للصغير شدة اهتمامها وحرصها الشديد على عدم ممارسة هذه العادات ، لأنها إن فعلت اتخذ هو من هذه العادات سبيلا إلى فرض إرادته عليها وتعضيد ذاته ، كذلك عليها ألا تبالغ فى اظهار عدم اهتمامها بأمره ، بأن تفهمه أن أموره لا تهمها بتاتا « لأن الذى يشوه هو أصبعه أو أسنانه لا أسنانها » إلخ لأن شعور الصغير بالإهمال يزيد فى مشاكله وفى عمق شعوره بالاحباط والحرمان وكلا الشعورين لا يؤديان إلى تكوين شخصية سوية ، لهذا كان عليها مراقبة سلوك ابنها بهدوء ومحاولة إفهامه فى هدوء أيضا ودون ثورة ان ما يفعله غير

مرغوب فيه ، فإذا حاول ان يلفت نظرها إلى ما يفعل رغبة منه فى كسب مزيد من عنايتها والتمتع بما يلاقيه على وجهها من قلق فعليها أن تفهمه أنها تعلم بما يفعل وأنها لا ترغب فيه وأن لديها أعمالا كثيرة أخرى تحتاج منها الرعاية والاهتمام .

عليها أن تحاول بقدر الإمكان مراقبة نوع الجو العائلى الذى يعيش فيه الصغير وأن تحاول جاهدة استبعاد العوامل التى من شأنها توليد التوتر بين أفراد الأسرة كما أن عليها أن تراجع معاملتها له بأن تسأل نفسها هذه الأسئلة « هل أوفر له الأمن النفسى ؟ » « ولا أعطيه حقه من المحبة والرعاية ؟ » وهل « أثير غيرته وقلقه بمقارنته بأحد أخوته الأكثر حظا منه ؟ » وهكذا فإن مثل هذه الأسئلة ستنير أمامها السبيل إلى معاملته .

إذا كان قد تعود على مص أصابعه قبل النوم فعليها أن تشغله وقت النوم بالاستماع لقصة مشوقة .

وأخيراً وليس آخرا عليها أن تحاول أن تشغله بأنواع من النشاط واللعب المحببة إلى نفسه وأن تمده بأدوات الرسم والمكعبات وإكمال الصور ، وأن تصحبه إلى خارج المنزل وتتيح له اللعب الحر مع صغار من نفس السن ، فإن فى هذا اللعب الحر تنفيس عن بعض ما يشعر به من ضيق من عالم الواقع ممثلا فى أوامر البالغين ونواهيهم .

الفصل الثالث عشر

الطفل الكذوب بين سعة الخيال ومرارة التجربة

قد يشكو بعض الآباء من أن بعض أبنائهم لا يقول الصدق بل يخترع قصصاً وأخباراً لا أساس لها من الصحة ، وقد يتسبب هذا السلوك من جانب الصغير فى مضايقة الوالدين وربما فى قلقهم ، وقد يكون لهم الحق فى القلق والاشفاق على أبنائهم من تعودهم هذه العادة ، على أنهم قد يبالغون فى ذلك ، وقد يقسون فى الحكم على سلوك أبنائهم فيصفونهم بالكذب وهم من الكذب براء ، ذلك لأن بعض أنواع الكذب ليست إلا نتيجة طبيعية لمرحلة النمو التى يحياها الطفل أى أنها نوع من السلوك العارض يزول بمساعدة الأم والبيئة المحيطة به ، كما أن لعامل النضج العقلى أثراً يساعد على زوالها .

وهنا نتساءل كيف يكون الكذب نتيجة طبيعية لمرحلة ما من مراحل النمو ؟ الجواب عن ذلك هو أن بعض الأطفال يتمتعون بخيال واسع يدفعهم إلى اختراع مواقف وقصص يقومون فيها بدور البطولة الذى يشار إليهم فيها بالبنان . . . ، مثل هذا النوع من الخيال يختلف فى الدرجة لا فى النوع

عن الإنتاج الأدبى الذى ينتجه أديب ناضج بالغ ، فنقدنا لأبنائنا على هذا النوع من السلوك لا يرتكن على أساس وقياساً عليه لا بد أن نحاسب الأديب الفنان على كتابة قصة جادت بها قريحته .

على أننى لا أنكر أن معظم أنواع الكذب صفة مكتسبة لا تورث يتعلمها الطفل أو يكتسبها نتيجة لا حتكاكه بالوسط الذى يعيش فيه ، فحيث يكثر الشعور بالخوف ، وحيث يتزعزع شعور الصغير بالأمن ، يكثر الكذب، وقلما يظهر وحده بل كثيراً ما يكون مصحوبا ببعض أنواع السلوك السلبى كالغش والخداع ، والتخريب ، وتحضرنى فى هذه المناسبة حالة طفلة حولت علىّ من إحدى مدارس المرحلة الأولى عمرها نحو تسع سنوات . حين سألتها كيف تمضى وقتها فى المنزل بعد انصرافها من المدرسة قالت أنها « ترسم » فطلبت منها أن تأتينى ببعض رسوماتها التى ترسمها « بالباستيل »، وبعد بضعة أيام حملت إلى مكتب الناظرة ثلاثة رسومات وسألت عنى ثم طلبت من الناظرة أن تسلمها لى ، وكان بينها رسم واحد من عملها وهو ردىء ، أما الآخران فقد بلغا درجة كبيرة من الجودة فسألتها الناظرة « هل أنت صاحبة هذين الرسمين ؟ » فأجابت « نعم » وقالت الناظرة « ولكن هناك فرقاً بينهما وبين الرسم الأول » فأجابت « لقد ساعدتنى أختى فى رسمهما»

وفى اليوم التالى أتضح أن الطفلة سرقت الرسمين من كراسات زميلة لها معروفة بمهارتها فى الرسم ، وهكذا كذبت الفتاة على ناظرتها ، مثل هذا النوع من الكذب خليق بأن يبعث فينا شيئاً من القلق .

وقد درس كثير من علماء النفس الكذب دراسة مستفيضة . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال « ليونارد » Leonard الذى جمع ٧٠٠ نوع من أنواع السلوك الذى يتصف بالكذب ، وحللها فوجد أن ٦٨ ٪ منها ترجع إلى الخوف من العقاب وعدم استحسان البالغين ، ١٢ ٪ منها ترجع إلى ميل الأطفال إلى أحلام اليقظة والخيال وعدم الدقة فى نقل التفاصيل ، ٢٠ ٪ منها كان الغرض منه الغش والخداع والكراهية .

كذلك درس « مورجان » Morgan الكذب عند الأطفال واستطاع أن يتبين ستة أنواع من الكذب وهى : ـ

١ — كذب أساسه أحلام اليقظة .

٢ — كذب سببه قلة خبرة الصغير وعدم دقته فى سرد التفاصيل لعدم نضج ذاكرته نضوجاً يلزمه بنص الخبر بقدر الإمكان .

٣ — كذب التيه والاعتداد بالنفس .

٤ — كذب أساسه الخوف من العقاب .

٥ — كذب الانتقام والكراهية .

٦ — كذب الغش والخداع .

هذا وقد أضافت «سترانج» Strang [1] إلى القائمة السابقة نوعا آخر من الكذب هو الكذب الذى يقال لغرض اجتماعى « الكذب الأبيض » .

وإذا ما تأملنا فى أنواع الكذب السابق لوجدنا أنه يمكن تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين تختلف أحداهما عن الأخرى فى الأسس النفسية وفى علاقتها بصحة الطفل العقلية فضلا عن وسائل العلاج . وتضم المجموعة الأولى مايأتى . —

١ — كذب أحلام اليقظة .

٢ — كذب الالتباس وعدم الدقة فى سرد التفاصيل .

٣ — كذب التيه والاعتداد بالنفس .

٤ — الكذب الذى يقال فى الأغراض الاجتماعية حين يحاول الصغير مثلا حماية زميل له والدفاع عنه .

هذه الأنواع الأربعة لايمكن اعتبارها كذباً بالمعنى المعروف أوالمفهوم من الكذب ، فهى تعزى إلى طبيعة حياة الطفل العقلية فى مرحلة الطفولة ولذلك فهى قليلة الخطورة ويمكن تخليص الطفل منها بشىء من التوجيه لا التوبيخ ، ومرجع قلة خطورتها أنها لاتؤدى إلى اخلال كبير بالقيم

(1) Strang R. (1951) An Introduction to Child Study p. 584 f.

الأخلاقية التي يريد المجتمع أن يعود الصغير عليها،ذلك لأنه من الطبيعي أن يكون عند بعض الأطفال شيء من سعة الخيال والانغماس في أحلام اليقظة فيتخيل الصغير نفسه بطلا و يجب أن يرى فيه البالغون المحيطون به ذلك البطل ، فيخترع قصصاً خيالية لم تحدث ولكنها ترضى نزعته إلى الاعتداد بالنفس ، و إلى الرغبة في انتزاع اعجاب من حوله في الأسرة والمدرسة ، هذا النوع من الكذب يعطى الطفل نوعا من الرضى، لأنه يشبع فيه نزعة من من أقوى النزعات .

هذا وقد يلجأ الطفل إلى الكذب عن غير قصد فتلتبس عليه الحقائق وتعجز ذاكرته عن أن تعى حادثة معينة بتفاصيلها ، فيحذف منها بعض التفاصيل و يضيف أخرى من عنده حتى تكون مستساغة لعقله الصغير، مألوفة لديه و بذلك يستطيع تذكرها ، فإذا قصها بدت كانه يقول كذبا وهو من الكذب براء . وأذكر على سبيل المثال قصة طفل في التاسعة من عمره نشأ في قرية بسيطة وحدث يوما أن هاج ثور وأخذ يجرى على غيرهدى حتى تغلبت عليه الأهالى،وقد أثر هياج الثور في نفس الصغير لدرجة كبيرة وقال لأبيه تعرف يابابا كيف وقف الثور الهائج ؟ » قال الوالد لا قال لقد وقفت في طريقه تحت شجرة،حتى إذا اقترب منى تعلقت بفرعين من فروع الشجرة فلما مر تحتها فقزت إلى ظهره » الا ترى معى أنه بطل مغوار ! !

كذلك من أنواع الكذب الشائع فى هذه المجموعة الكذب ذو الغرض الاجتماعى ، حيث يلجأ الطفل إلى الكذب لحماية صديق له ، أو لكتمان سر ائتمن عليه ، كأن يكذب تلميذ أو أكثر لحماية زميل له فى «الشلة» أو الفصل كسر لوحاً زجاجياً أثناء لعبه بالكرة ، أو كذب تلميذة حين تنفى علمها بسر ائتمنتها عليه صديقتها ، وتحاول الدفاع عنها أمام والديها أو معلميها .

وقد قام بعض علماء النفس بأبحاث عن هذا النوع من الكذب ذى الغرض الاجتماعى ، وأسفر البحث عن أنه أكثر شيوعاً بين البنات منه بين الذكور .

و يقل الكذب ذو الغرض الاجتماعى فيما بين سن التاسعة والثانية عشرة إلى النصف تقريباً .

مثل هذه الأنواع السابقة من الكذب لا تستحق منا قلقاً كبيراً ، فهى بعض أنماط سلوكية كثيراً ما تكون مميزة لمرحلة معينة من مراحل النمو العقلى والاجتماعى ، ولذلك فهى تختفى مع الزمن إذا بذلنا بعض الجهد فى مساعدة الصغير على التخلص منها ، وذلك باتباع بعض النصائح الآتية :

مساعدة الطفل برفق على أن يفرق بين الحقيقة والخيال . و بين عالم الواقع المحيط به و بين عالم الخيال الذى ينسجه لنفسه ، ومنعه من الانغماس فى أحلام اليقظة لدرجة تباعد بينه و بين الواقع .

إذا حدث أن كذب الطفل عن غير قصد وعن غير إرادة ، بل كان كذبه ناتجاً عن التباس الموقف عليه ، وقصور ذاكرته عن تذكر كل التفاصيل ، فيحسن التغاضي عن هذا الكذب وعدم الإشارة إليه .

أما إذا كان كذب الطفل دفاعاً عن زميل أو صديق له ، أو عن أخ يحبه فعلينا أن نريه عملياً أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى كذبه ، وأن الكذب يزيد الموقف سوءا ، وذلك بأن نجعل الطفل المخطىء يعترف على نفسه ،وهنا يجد المدافع نفسه فى موقف لايحسد عليه ، بعد أن يكون قد فطن إلى غضب المعلم أو المشرف عليه .

أن نتهز المناسبات التى يقوم فيها الطفل بعمل يستحق الثناء فنثني عليه ونشجعه حتى نرضى نزعته إلى الاعتداد بالذات ، ورغبته فى كسب استحسان المحيطين به ، و بذلك لا يكون متعطشاً إلى إشباع تلك النزعة عن طريق الخيال وتصور البطولة .

أما المجموعة الثانية من أنماط السلوك الكاذب فتضم الأنواع الآتية :

١ — كذب الخوف من العقاب .

٢ — كذب الانتقام والكراهية .

٣ — كذب الغش والخداع

هذه الأنواع الثلاثة من السلوك المتصف بالكذب أكثر خطورة من الأنواع السابق الإشارة إليها ، وأكثر تأثيرا على الصحة النفسية للطفل، وكثيراً ما يتصف به الأطفال فى الأسر التى يسود فيها نوع من النظام الصارم والعقوبة الشديدة ، كما يسود حيث يختلف الآباء والأمهات فى طريقة معالجتهما لمشكلات أبنائهما فيشتد الأب إلى درجة الأفراط وتلين الأم إلى درجة التفريط .

فى مثل هذه الظروف كثيرا ما يتفنن الطفل فى الكذب وينتقل من كذبة إلى أخرى مستخدما كل ما لديه من ذكاء ، ولا يضيره إطلاقا ـــ وهو يحاول الافلات من العقوبة أن يلصق التهمة بشخص غيره ، أو بطفل آخر غير مبال بما قد يتعرض له الآخر من عقوبة ، فإذا تم له ما أراد ازداد تمسكا بالكذب غير مبال بما قد يسببه سلوكه هذا من قلق لوالديه .

ومن أكثر أنواع الكذب خطرا على الصحة النفسية ، وعلى كيان المجتمع ومثله ومبادئه ، الكذب المبنى على الكراهية والانتقام ، وهو يختلف عن الكذب الناتج عن الخوف فى أن الأخير وليد ظرف طارىء أخاف الطفل فلجأ إلى الكذب طلبا للحماية ، أما الكذب الناتج عن كراهية

وحقد فهو كذب مع سبق الاصرار ، ويحتاج من الطفل إلى تفكير وتدبير يقصد بهما الحاق الضرر والأذى بالشخص المكروه ، ويكون هذا السلوك فى العادة مصحوبا بنوع من الالم والتوتر الانفعالى ، ولذلك كان الطفل الذى يتصف بهذا النوع من الكذب طفلا مريضا نفسيا بائسا تعسا وما الكذب فى حالته إلا وسيلة من وسائل تعبيره عن عدم تكيفه للوسط الذى يعيش فيه . وكثيرا ما يصحب عدم التكيف هذا مظاهر انحرافات أخرى تستدعى إرساله للعيادات السيكولوجية .

هذا ويصحب النوعين السابقين من الكذب شىء من الغش والخداع وهما أيضاً نوعان من السلوك يستلزمان إعمال العقل والتدبير بعكس الكذب الذى أساسه ضعف الذاكرة أو الالتباس حيث لا يشعر الطفل بأنه يكذب ولذلك كثيرا ما يتضايق من وصفه بالكذب .

مثل هذا الكذب خليق بأن يثير فى الاباء والمعلمين خوفا واشفاقا على الصغير ، ولابد من العمل على تخليصه منه وإلا كان سببا فى تحطيمه وإعتلال صحته النفسية إذا ما أصبح هذا النوع عادته فى معاملة من ينافسه ويكرهه .

على أن مساعدة الصغير على التخلص من هذا النوع من السلوك غير السوى ليس من الأمور السهلة ، وقد يتعذر ذلك فى بعض الحالات لذلك

كانت الوقاية فى الواقع أفضل من العلاج وفيما يلى بعض التوجيهات التى قد تجنب الصغير تعلم الكذب .

١ — على الأمهات والآباء توفير جو المحبة والشعور بالأمن لأطفالهم، وتوحيد معاملتهما بحيث لا يجد الأبناء تناقضاً فى معاملة أحد الوالدين يمكنهم من استغلاله فى تنفيذ رغباتهم المشروعة وغير المشروعة، والتحايل على إشباع تلك الرغبات .

٢ — الابتعاد عن القسوة فى معاملة الطفل إن أخطأ ، فالعقوبة علاوة على ما تسببه من ألم نتائجها غير محققة ، وقد تنجح فى إرغام الطفل على الإقلاع عن العادة السيئة المراد التخلص منها وقد لاتنجح ، وكثيراً ما تؤدى إلى اكتساب الطفل عادات أسوأ من الأولى كعادة الغش والخداع والتحايل للافلات من العقاب ، وإنى أنصح بإثابة الطفل وتشجيعه كلما أحسن ، وأن نقلل من العقوبة بقدر الإمكان وألا نلجأ إليها إلا كآخر حل للموقف .

٣ — مساعدة الطفل على فهم حقيقة المواقف الاجتماعية التى يتعرض لها بطريقة لطيفة ، لأن كثيراً من الأخطاء التى يعاقب عليها الأطفال ناتجة عن قصور عقولهم عن فهمها ، فإذا فهموها فأنهم لن يعودوا إلى تكرار الخطأ الذى يستوجب العقوبة أو الكذب .

٤ — أن نعود أبناءنا على الحب والتسامح ، وأن نبعدهم عن الكراهية والانتقام ، ولا يكون ذلك عن طريق النصائح والمواعظ فهذه لن تجدى شيئاً لطفل تعلم الكراهية وحب الانتقام ، وإنما عن طريق القدوة الحسنة وإزالة أسباب هذا السلوك السلبي .

٥ — ألا نلجأ إلى عقاب الطفل الكذوب حتى يقلع عن هذه العادة السيئة لأن العقوبة فى مثل هذه الأحوال تؤدى إلى زيادة توتر الطفل النفسى وزيادة شعوره بالأحباط والفشل . وأنما علينا أن نبحث ظروفه الاجتماعية والنفسية لمعرفة العوامل التى ربما كانت سببا فى عدم تكيفه للوسط الذى يعيش فيه مما ألجأه إلى بعض أنواع السلوك المنحرف التى منها الكذب ، فقد ثبت بالبحث أن شعور الصغير بالغيرة مثلا من أخ له أو زميل فى المدرسة كثيراً ما يكون سبباً فى حقده عليه فيدفعه شعوره بالإحباط كنتيجة لهذه الغيرة إلى تلفيق الأكاذيب والإضرار بالغريم ، هذا وقد سبق أن ذكرنا أن قسوة الآباء أو تفكك الأسرة قد يؤدى إلى تعويده الكذب ، فإذا ما أصلحت هذه الظروف وتحسن جو الأسرة العام وقل الضغط الاجتماعى على الصغير تهيأت له فرص الإصلاح .

٦ — وأخيرا على الآباء والأمهات أن يطلبوا مساعدة الاخصائى النفسى فى العيادات النفسية ان اخفقوا فى تخليص أبنائهم من عادات الكذب المقوتة ، إذ فى هذه الحالة يكون الكذب مرجعه ما يعانيه الصغير من اضطرابات نفسية تحتاج إلى مساعدة الاخصائى .

الفصل الرابع عشر

النزعة العدوانية فى ضوء النمو الانفعالى السوى والمرضى

إن من اهم بواعث قلق الأم وخوفها أن تجد طفلها الهادىء الوديع قد أصبح فى السنة الثانية أو الثالثة من عمره[1] طفلا غضوبا سريع الانفعال كثير الاعتداء على اخوته، وتحول تدريجيا من طفل لطيف مطيع إلى آخر عنيد قد يخرب كل ما تصل اليه يده ولو كانت لعبته المفضلة .

ومما يزيد فى قلقها واشفاقها ، انها بحكم علاقتهـا واتصالها به وقت غذائه ونومه ونظافته ، و بحكم انها المصدر الأول لاشباع حاجاته تصبح هدفا يوجه إليه الطفل اعتداءاته الأولى ، وانفجاراته الانفعالية المبكرة . . . فيقاومها إذا حاولت حمله على البقاء فى وضع لا يريده ويكسر إناء اللبن أو يفرغه على الباركيه إذا أعطته له لأنه لا يرغب فى شربه مثلا . . . وتسعى الأم غالبا إلى محاولة القضاء على ما يبدو منه من مقاومة والاعتراض

(1) Allen. P. H. « Aggression in relation to emotional development, Normal and pathological» (International Congress of Child Psychiatry Voll II pp. 4 f. (1948)

على طريقته فى إظهار إرادته وعدم قبوله ما يفرضه عليه عالم البالغين من قيود .

وقد يصل قلق الأم من تكرار نوبات الغضب والاعتداء لدرجة تضطرها إلى التماس نصح الأخصائى النفسى .

وهنا نتساءل هل الأم محقة فى قلقها وخوفها ؟ وهل اتجاه الطفل إلى العدوان فى بعض الأحيان سلوك سلبى يحسن أن يتخلص منه الصغير ؟

الواقع أن علم النفس الحديث لا يقر الأم على شعورها بالخوف والقلق بل لا يقرها على محاولتها القضاء على ما يبدو فى سلوك طفلها من مقاومة وعدوان ، ويطمئنها إلى أن هذا التطور الذى لاحظته فى سلوك صغيرها فى سنه الثانية أو الثالثة تطور صحى سليم ، بل ضرورى لسلامة صحته النفسية ، ومن الخطأ كبته والقضاء عليه . والحق إن العدوان كلمة معناها مهاجمة الآخرين أو مقابلة الاعتداء بالاعتداء ، ولذلك نجد الغالبية العظمى من المراجع النفسية تساوى بين العدوان والعداء والفناء ، كما أشار بعض الباحثين إلى النزعة العدوانية على أنها أساس «غريزة الموت» ، على إن فكرة علم النفس الحديث نحو النزعة العدوانية مغايرة تماما لهذه الفكرة ، إذ أنه يساوى بين النزعة العدوانية والحياة ويعتبر النزعة العدوانية نموا طبيعيا لحياة الصغير الانفعالية ، فالعدوان نمط من أنماط السلوك الضرورى لتكييف شخصية الفرد للمجتمع الذى

يعيش فيه . وهو تعبير عن حيويته ويتجلى فيما يبديه الصغير من عمل أو شعور أو انفعال إيجابى يوجهه الطفل ضد ضغط المجتمع ممثل فى سلطة الآباء والمعلمين التى تفرض القيود على رغباته وتحد من استخدام إرادته ويصحب ذلك دائما شعور بالاحباط وهو ضرورى لجعل الصغير يصحو ويستيقظ كما يؤدى إلى تكامل نزعته العدوانية والانفعالية ، وبدون هذا الشعور بالاحباط لا تستيقظ إرادة الصغير اللازمة للتعامل مع العالم الخارجى .

ويبدأ السلوك العدوانى فى أبسط صوره حين يحاول الرضيع رغم قلة حيلته واعتماده اعتمادا تاما على أمه فى أن يشبع حاجاته الأولية التى لا تعدو أن تكون حاجات فسيولوجية بسيطة بطريقة لا تخلو من الفرض والإلزام ، فهو يتطلب منها أن تكون مسخرة فى خدمته ، إذا جاع فلا بد من أن تشبع حاجته إلى الطعام ، وإذا بل نفسه بكى ليلفت نظرها لما يضايقه ، وإذا تألم تطلب منها مواساته ، وإذا احتاج إلى الصحبة أراد منها أن تبقى بجانبه ، وهو فى كل هذا التصرف يدمج ذاته فى ذاتها ويسخرها كما يريد هو لا كما تريد هى ، يساعده فى ذلك الاستعداد العدوانى العام الذى يملكه .

وكلما تقدمت به السن شعر بذاته ككائن منفصل عن أمه له رغباته

الخاصة وله إرادته و بدأ يتبين أن إشباع رغباته يتوقف على مدى استعداد البيئة المحيطة به لتحقيق هذه الرغبات ، كما يتبين أنه لا سبيل إلى تحقيق كل ما يريد ، ولذلك يلجأ إلى العدوان كلما اصطدمت رغباته مع حقائق الواقع المحيط به والذى لا يعرف عنه إلا القليل ، والعدوان وسيلة مهمة يستخدمها الطفل لإثبات ذاته وهو الخطوة الأولى أو الأساس النفسى للتربية الاستقلالية ولذلك وجب على الأم وعلى مجتمع البالغين المحيطين به مساعدته على الشعور بذاته ، وعلى الانفصال عنها فى مراحــــل حياته الأولى .

ويرى علم النفس أن اصطدام إرادة الطفل ورغباته بحقائق عالم الواقع خطوة ضرورية لا لنموه الانفعالى وتــكامل شخصيته وحسب ، بل لإعداده لحياة الجماعة حيث تتباين إرادات الأفراد ، وتختلف رغباتهم وتتلاقى بطريقة تجعل الشعور بخيبة الأمل والاحباط فى بعض المواقف أمراً لا بد منه ولا مفر .

ولا يضير الطفل شعوره من آن لآخر بنوع من الفشل فى تحقيق بعض رغباته ، بل على العكس أن هذا الشعور على مرارته عامل من عوامل تــكيفه للمجتمع بشرط ألا تــكون حياته كلها سلسلة من الاحباط والفشل بسبب كثرة ما يقع عليه من قيود وضغوط اجتماعية تحول بينه وبين

تحقيق حاجاته الضرورية . فنى هذه الحالة يلجأ الطفل إلى وسائل العدوان السلبي التى سنتكلم عنه فيما بعد .

وأخيراً قد تكون لمقاومة الطفل لقيود البالغين المحيطين به فائدة تعليمية ، إذ أن تفاعل رغبات الطفل وتصادمها مع حقائق عالم الواقع المحيط به ، ومحاولته اكتساب الوسائل التى تمكنه من تحقيق هدفه ، كثيراً ما تكسبه خبرة بحضارة هذا المجتمع وتراثه .

متى يبعث العدوان على القلق :

فى بعض الأحيان يلجأ الطفل إلى أنماط من السلوك العدوانى تخرجه عن دائرة الاتجاه الإيجابى الذى أسلفنا أنه ضرورى لنمو شخصية الفرد وحسن تكيفه للمجتمع . . . وفى هذه الحالة تنقلب الآية ويصبح هذا النوع من العدوان السلبى خطراً يهدد شخصية الفرد بالاختلال والانهيار ، وهنا يحق لنا أن نقلق وقد يتطلب الأمر الاستعانة بالإخصائى النفسى فى العيادات النفسية ؛ ويحدث ذلك فى المواقف الأتية :—

١ — إذا زاد السلوك العدوانى عما يتطلبه الموقف ، كأن يثور الصغير وينفجر باكياً، ويقذف بأطباق الطعام على الأرض لأنه أراد أن يبدأ بالحلوى قبل باقى الأكل ومنع عن ذلك .

٢ — وإذا بلغ الشعور بالفشل درجة من العمق والقوة بحيث يدفع الطفل إلى الهدم والتخريب. فبعض الأطفال يخربون كل ماتصل إليه أيديهم لسبب أو لغير سبب ، وليس لهم هدف واضح لهذا النوع من السلوك إلا الارتياح لرؤية الأشياء المخربة.

٣ — كذلك تكون النزعة العدوانية مرضية إذا كان الاعتداء موجهاً نحو الأشخاص بقصد إيذائهم وليس ضد الأشياء والظروف الواجب تغييرها .

٤ — وأخيراً إذا أدى الاعتداء إلى شعور الطفل بالذنب والخطيئة لدرجة تهدد أمنه النفسي وتجعله عصبياً قلقاً باستمرار ، ذلك لأن بعض الصغار تعترضهم نوبة من الاكتئاب والقلق والخوف بعد الإتيان بالسلوك العدواني قد تطول أو تقصر حسب حالة الطفل ، ويقسو الصغير أثناءها على نفسه معترفاً بذنبه معظماً له . في هذه الحالة يكون للسلوك العدواني أثر سلبي في تكييف الطفل للوسط الذي يعيش فيه بدلا من مساعدته على التكيف وبدلا من أن يكون عاملا على نموه وتكامل شخصيته .

أسباب العدوان السلبي :

لقد ثبت بالبحث على أن للعدوان السلبي أسباب وظروف تؤدي إليه نذكر منها.

أولا : التشدد في وضع القيود التي تحد من حرية الطفل الذي يميل بطبعه إلى

التحرر من القيود ، كأن تلجأ الأم إلى تقييد حركاته وتحديد إقامته فى مكان ضيق غير مناسب .

ثانيا: الاسراف فى إرغام الصغير على اتباع نظام معين فى وقت هو فيه غير مستعد لذلك، ويبدأ الصغير فى إظهار علامات الغضب والنزعة العدوانية اعتراضاً على سلوك البالغين معه منذ وقت مبكر ، فقد ثبت بالدراسة أنه يظهر أنماط السلوك المميزة للنزعة العدوانية حين تحاول أمه أحياناً تعويده على عادات الاخراج السليمة واستخدام الوعاء الخاص بذلك ، وتزداد نزعة الصغير العدوانية حيث تكثر أوامر البالغين له ونواهيهم وحيث يكثر شعوره بالاحباط بسبب الوقوف فى سبيل تحقيق رغباته والمبالغة فى إرغامه على السير بدقة على ما تقضى به التقاليد والعادات ، واتباع مثل الجماعة فى وقت لم يصل فيه إلى درجة من النمو العقلى والاجتماعى تمكنه من فهم مبادىء البالغين ومثلهم .

ثالثا: قد يكون العدوان رد فعل للإسراف فى حماية الأبناء وإجابة كل طلباتهم، الأمر الذى يؤدى إلى حرمانهم من الشعور ببعض الفشل أحيانا، وهو الشعور الضرورى لإيقاظ إرادة الفرد ومقاومته لما يقع عليه من ضغوط، حتى إذا خرج للحياة لم يجد فى نفسه استعداداً أو قدرة على تحمل مواقف تتعارض فيها إرادته مع إرادة الآخرين ، وتكون النتيجة فى كثير من الأحيان اما

انسحابه من المجتمع ، واما اندفاعه فى موجة من العدوان السلبى ، كالمبالغة فى القسوة و إيذاء الغير والسخرية من الآخرين ونقدهم نقداً لاذعاً الخ .

رابعاً : و يمكننا أن نضيف إلى ماسبق أن ازدحام العائلات فى مساكن ضيقة حيث لا يجد الأطفال مكاناً للحركة ، وحيث يسهل اصطدام إرادتهم بسبب أو بغير سبب من الأسباب التى تؤدى إلى تفشى أنواع السلوك العدوانى السلبى فى محيط الأسرة ، كذلك يؤدى ازدحام التلاميذ فى المدارس والمؤسسات إلى نفس النتيجة ، إذ دل البحث على أن نسبة ظهور السلوك العدوانى السلبى فى المدارس المزدحمة أكثر منها فى المدارس والمؤسسات الأقل ازدحاما ، و يبدو العدوان السلبى أكثر ظهورا حيث يقل الوقت المخصص « للنواحى الترويحية » فى المدرسة أو المنزل مع الضغط على النواحى الأكاديمية ، لهذا كان من الخطأ حجز التلاميذ فى الفصول وقت « الفسحة » كما يحدث فى بعض مدارسنا المصرية .

كيف يعبر الصغير عن النزعة العدوانية

إن مدى تعبير الصغير عن النزعة العدوانية يتوقف على ما مر به من خبرات وعلى أى أنواع السلوك قد دعمت وكان نصيبها الجزاء وأيها كان نصيبها العقوبة ، ولما كان الصغير يستجيب على الاحباط بالاعتداء منذ الشهور الأولى من حياته لهذا كان من الطبيعى أن تنمو النزعة العدوانية فى وقت مبكر .

هذا ويتعلم الصغير الاستجابة للمواقف التى لا ترضيه بالعدوان إذا وجد أنه يوصله إلى ما يريد ، أى إذا ما دعمت الاستجابات العدوانية باشباع الحاجة وتحقيق الرغبة وبالعكس يتعلم الصغير كيف يستبعد هذه النزعة فى المواقف التى تصاحبها العقوبة والخوف .

ولإثبات دور التعلم والتدعيم فى التحكم فى اشكال النزعة العدوانية قام هولنبرج « Hollenberg ، سبرى[1] « Sperry » بملاحظة ٢٣ طفلا من أطفال مدرسة الحضانة أثناء أربع فترات من فترات اللعب بالعروسة وقسمهم إلى مجموعتين (ا) مجموعة الاختبار وعددهم ١٢ (ب) المجموعة الضابطة وعددها ١١ طفلا ثم سجلا كل أنواع السلوك الذى يتسم بنزعة عدوانية ثم رتبوها لتوضيح أهميتها ، وكان الترتيب وفق نوعين من أنواع السلوك ، الأول أطلق عليه « العدوان المركز » ويشمل العقوبة البدنية والإيذاء ، وتخريب الأشياء ؛ والثانى وسمى بالعدوان المقنع ويشمل المشاغبة والعدوان اللفظى وخلق المضايقات ، وفى فترة اللعب الثانية ، لجأ المختبران إلى عقوبة أطفال مجموعة الاختبار فى كل مرة يقومون فيها بسلوك عدوانى ، بينما لم يعاقب أفراد المجموعة الضابطة الأحد عشر ، ثم روقبت المجموعتان فى الفترة الثالثة مع استبعاد العقوبة ، فلوحظ وجود فرق ملحوظ بين

---

(1) Mussen, P, H. & Conger. J. J · «Child development and personality» p. 246.

أطفال المجموعتين ، ففى مجموعة التجربة قل ظهور السلوك العدوانى رغم العقوبة بينما زاد هذا السلوك فى حالة المجموعة الضابطة .

وقد اتفقت نتائج هذا البحث التجريبى مع نتائج دراسة الأسرة ونوع العقوبة السائدة بها على إظهار النزعة العدوانية ، فقد درس الباحثان السابقان ثلاثين طفلا كما درسا أمهاتهم ، وأعدا لذلك استفتاء عن طريقة معاملتهن للاطفال فى مدة الرضاعة وفى التمرين على استخدام وعاء الإخراج وعن القواعد المحددة لنشاط الصغار فى الأسرة ودرجة الاستجابة لحاجتهم ومطالبهم والنظام المفروض عليهم الخ وهكذا أمكن عن طريق هذا الاستفتاء قياس « درجة الاحباط المنزلى » ، كذلك رتبت العقوبة المنزلية على أساس ماقررته الأمهات عن مدة العقوبة ونوعها مثل الضرب والتهديد والعزل والتوبيخ . وقد ثبت من هذا البحث ما يلى :

أظهر الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ترتفع فيها « درجة الاحباط المنزلى » نزعة عدوانية فى موقف اللعب بالعرايس أكبر مما أظهرها الأطفال الأقل فى درجة الاحباط ، كذلك كان الصغار الذين يتعرضون لعقوبة شديدة فى محيط الأسرة أكثر من غيرهم اظهارا للنزعة العدوانية فى موقف اللعب بالعرايس .

على انه ثبت بالبحث ان أكثر الأطفال اظهارا للنزعة العدوانية فى

موقف اللعب بالعرايس كثيرا مايكونوا اقلهم اظهاراً لهذه النزعة فى المنزل بسبب شدة العقوبة التى تعرض لها هذا السلوك . لهذا لم يجد الصغار بدا من كبتها كبتا يؤثر على صحتهم النفسية ولم يجدوا إلا اللعب بالعرايس سبيلا إلى التنفيس عنها .

ويمكننا أن نقول انه يمكن التعبير عن النزعة العدوانية فى محيط الأسرة والمدرسة بطريقتين :

(ا) الطريقة المكشوفة وفيها يختلف الصغار بعضهم عن البعض الآخر اختلافا كبيرا فقد يبدو السلوك العدوانى فى صورة الامتناع عن تناول الطعام ، بمعنى أن تصبح منطقة الفم منطقة صراع تتصادم فيها إرادته مع إرادة أمه . وقد يعبر عنه طفل آخر بالامتناع عن استعمال الوعاء الذى يقضى فيه حاجته بعد أن كان يستعمله فى السنة الأولى دون مقاومة ، وقد يلجأ إلى العناد واستخدام كلمة « لا » كجواب لكل مايطلب إليه تنفيذه ، وقد يلجأ آخر إلى الاعتداء على أخوته ، وإلى تخريب كل ماتصل إليه يده من لعب ، ومفاتيح وساعات . . الخ كذلك قد يعمد إلى الاعتداء على زملائه بالمدرسة بسرقة ادواتهم وكتبهم أو تمزيقها ، أو ضربهم بقسوة ، كل هذه مظاهر مختلفة لمقاومة الصغار لسلطة البالغين ، وقد تصل عند البعض إلى درجة مقلقة تضطر الأم معها إلى طلب مساعدة المختصين .

(ب) الطريقة الثانية للتعبير عن النزعة العدوانية هى الطريقة المقنعة ، فنجد الصغار يتمتعون بدوافع عدوانية قوية لا تجد لها تنفيسا فى عالم الواقع فى محيط الأسرة أو المدرسة بسبب عقوبة السلوك العدوانى ، لهذا تظهر بصورة مقنعة فى الاحلام وفى فلتات اللسان وفى النكت كما تظهر فى بعض الاتجاهات السالبة التى يكتسبها التلاميذ مثل التعصب والتحيز ، كما تظهر فى بعض اختبارات الاسقاط مثل اختبار « روهشاه » Rohschah ، واختبار مرى T. A. T. .

أثر الطبقات والمستوى الاجتماعى الاقتصادى على اشكال العدوان

هذا وهناك علاقة بين الطريقة التى يعبربها الصغار عن النزعة العدوانية وبين الطبقة التى ينتمون إليها فى المجتمع فنجد الطبقات الدنيا تشجع ابناءها على التعبير عن غضبهم وعن النزعة العدوانية بطريقة مكشوفة ولذلك لجأت إلى تدعيم السلوك العدوانى فى الصغار ، بينما تحاول الطبقات الوسطى والعليا اضعاف النزعة العدوانية بعقاب السلوك المعتدى المكشوف لأنه لا يتفق مع مثل الجماعة وآدابها .

والخلاصة ان تعبير الصغير عن غضبه والاستجابة للضغط والاحباط بنوع من السلوك العدوانى أمر طبيعى وضرورى للنمو الانفعالى وتكامل

الشخصية ويجب علينا تشجيعه ، على أنه لا بد لنا من أن نحذر من أن ينقلب العدوان الإيجابي إلى عدوان سلبي هدام ، وأرى لزاما على أن أسوق بعض التوجيهات التي قد تفيد الاباء والمعلمين في تعاملهم مع أبنائهم تعاملا يشجع المظهر الايجابي من السلوك العدواني دون السلبي وتتلخص هذه التوجيهات فيما يلي .

١ — علينا كأمهات وآباء ومعلمين أن نفسح صدورنا لأبنائنا ، وأن ندعهم يعبرون عن ثورتهم على سلطة البالغين بطريقة تسمح لهم باظهار غضبهم ، وأن نفهمهم الا غبار على تصرفاتهم إذا غضبوا في المواقف التي تستدعي الغضب ، وذلك حتى نساعدهم على أن يتخلصوا من التوتر الذي قد يعتريهم أولا بأول بدلا من بقائه مضغوطا مكبوتا .

٢ — علينا أن نقلل بقدر الامكان من القيود التي نفرضها على ابنائنا ممثلة في كثرة الأوامر والنواهي التي لا يفهمون لها معنى في عالمهم الصغير ، وليس معنى ذلك أن نترك لهم الحبل على الغارب يعملون مايريدونه ويأكلون ما يشتهون وإنما علينا أن نصر على أن تطاع بعض النواهي الضرورية لتوجيه سلوكهم واكسابهم عادات الجماعة ومبادئها .

٣ — علينا ألا نلجأ للعنف والقسوة في معاملتنا للصغير فتثير فيه

الرغبة فى المقاومة والقتال، ولا نكون من اللين بحيث نجيب جميع طلباته مهما كانت وبذلك نقف حائلا بينه وبين الشعور بقدر ضرورى من الاحباط لا بد من توفره للنمو الانفعالى السليم ولتعضيد الذات والتغلب على الصعاب .

٤ — على كل أم أن تكرس لابنها وقتاً كافياً للعناية به وإشعاره بالمحبة والأمن ، إذ أن عدم تكريس الأم وقتا كافيا لأبنائها فى المجتمعات الحديثة ، من بين أسباب أثارة الرغبة فى المقاومة والشعور بالاحباط لعدم قدرته على تحقيق رغبته القوية فى التمتع بقربها أكبر وقت ممكن .

٥ — وأخيرا يجب أن نتجنب بقدر الامكان السكن فى المساكن الضيقة ، إذ أن حبس الأطفال فى حجرات ضيقة يقيد من حريتهم ويجعلهم أكثر تعرضا للانفجارات الانفعالية .

أما الدور الذى يجب أن تقوم به المدرسة فهو عظيم ، ولكنى لضيق المكان هنا سأكتفى بالاشارة إلى أن للجو الذى يخلقه المدرس بين تلاميذه أثرا كبيرا على نموهم الانفعالى ، فقد يخلق نوعا من الود والمحبة يجعل من الفصل والمدرسة أسرة واحدة متحابة ، وقد يخلق جوا عدائيا ينتهز كل فرد من أفرادها الفرصة للاعتداء على أخيه بكافة الطرق .

كما أن لأنواع النشاط التى تهتم بها المدرسة أثرا كبيرا على تكيف

الصغار للمجتمع بحيث تهتم المدرسة باستخدام أوقات الفراغ والعناية بأنواع النشاط الرياضى والاجتماعى الذى يسمح للتلاميذ بالتنافس فى جو سليم تسوده روح الاعتداء البنائى الضرورى للنمو كما سبق أن ذكرنا يتجه العدوان وجهة بنائية ، وحيث تقيد حر يتهم وحيث يضغط على النواحى الأكاديمية دون الترويحية ، يسود روح السلوك العدوانى السلبى الهدام .

الفصل الخامس عشر

عندما ينصرف الطفل عن طعامه

إن الاقبال على الطعام والتمتع به من مميزات الطفل السوى صحياً ونفسياً ولـكن كثيراً ما ينصرف الصغار عن طعامهم أو عن صنف معين من الطعام ، الأمر الذى يجعل غذاءهم غير كاف باستمرار ، وهذا ما يسبب قلق الآباء و إشفاقهم وخوفهم من اعتلال الصحة ، وقد يتبادر إلى الأذهان أن السبب فى انصراف الصغير عن طعامه هو قلة عناية أمه بتنويع طعامه وحسن إعداده ، ولـكن هذا غير صحيح إذ كثيراً ما تتعرض لهذه المشكلة أكثر الأمهات حرصاً على إعداد غذاء ابنها وتنويعه . هذا ويزداد قلق الأم والبالغين المحيطين به فى الأسرة كلما زادت خبرتهم عن التغـذية والعناصر الضرورية التى تتكون منها الوجبة المتزنة وطبيعى ألا يكون هذا القلق فى صالح الصغير .

وهنا نتساءل ما هى الأسباب التى تؤدى إلى انصراف الصغير عن طعامه بصفة عامة وعن نوع معين منه بصفة خاصة ؟

أن أسباب انصراف الصغير عن طعامه معقدة ومتعددة ، فقد يكون

اهتمام الأم وشدة عنايتها بابنها وتغذيته من أسباب انصرافه عن طعامه إذ يستشعر منها هذا الاهتمام و يلاحظ أنه يحظى منها فى أوقات التغذية بأكبر قدر من العناية لا يسعد به فى غير هذه الأوقات ، ولما كان يعلم بعد خبرة ، أن انصرافه عن طعامه يزيد من اهتمامها به فإنه كثيراً ما يلجأ إلى هذه الوسيلة حتى يكون محور انتباه أمه و بقية أفراد الأسرة ، والحق إنه ينجح فى ذلك لدرجة كبيرة ! ! أليس من المألوف أن نسمع أم تحث ابنها على تناول طعامه بقولها « ملعقة من أجل ماما ، وملعقة من أجل بابا ، وأخرى من أجل أخيك فلان » الخ

هذا وقد يكون انصراف الصغير عن طعامه وسيلته الناجحة فى محاولة استقلاله عن أمه وفرض إرادته عليها وعلى أفراد الأسرة و إثبات ذاته ، و يبدو هذا الاتجاه فى ممارسته لأنماط سلوكية أخرى منها رغبته فى أن يغسل وجهه أو يرتدى ملابسه أو حذاءه دون مساعدة ، وكلها أنماط سلوكية نشجعها ونرحب بها على أننا لا نسمح له بأن يتخذ من الانصراف عن الطعام وسيلة لتعضيد ذاته لأن هذا السلوك قد يكون له تأثير سيء على صحته فضلا عما يسببه للأم وأفراد الأسرة من قلق ومضايقة .

كذلك قد يكون سبب انصراف الصغير عن طعامه كثرة تدخل الأم فى طريقة تناوله الطعام ، و كثرة ماتلقيه على مسامعه من أوامر ونواه ، كما

يحدث حين تحاول تعويده آداب المائدة ومنعه من استخدام يده أو من صب اللبن على المنضدة فى سن مبكرة يجعله غير مستعد لهذا التدريب ، فى هذه الحالة نراه ينصرف عن طعامه كنوع من الثورة على تدخلها الذى يضيق به ذرعا ، ومما يدل على ذلك أن الصغير كثيرا ما يأكل بشهية فى بيت الجيران أو أحد الاقارب و يرفض ماتقدمه له أمه رغم رداءة الصنف الأول وجودة الأخير .

كذلك قد يكون سبب انصرافه عن تناول صنف معين من الطعام أو اقباله بشراهة على صنف آخر بحيث يقصر غذاءه عليه ، هو انه محتاج إليه من الناحية الفسيولوجية ، كما يحدث حين تنقص الاملاح فى جسمه بمعنى أن حاجته لهذه الاملاح تصبح حاجة عضوية ملحة فيقبل على تناول الجبنة والمخللات ، أو حين يصر على قصر طعامه على تناول الحلوى والمربى والعسل ، وهذا كثيرا مايؤدى إلى قلق الأم التى ترى أنه من الضرورى أن يتناول الخضر واللحوم فى وجبة الغذاء وتحاول أن ترغمه على ذلك باللين تارة وبالعنف أخرى وكثيرا ما تبوء مجهوداتها بالفشل .

علاوة على ماسبق فقد يكون اهمال الأم فى اعداد طعام ابنها وعدم عنايتها بتنويعه من الأسباب التى تؤدى إلى فقد الصغير لشهيته شيئا فشيئا حتى يتعود الانصراف عن الطعام و يفقد ما يجده فيه من متعة .

وأخيرا وليس آخرا قد يتعود الصغير هذا السلوك بسبب سوء تنظيم أوقات غذائه فنجده يتناول كوبا من الكوكاكولا قبيل الغذاء أو يتعاطى قطعة كبيرة من الشكولاته وكلها تفقده رغبته وشهيته للطعام حين يحل موعده ، ومما يزيد الأم تعقيدا ما تبديه عادة من قلق وما توجهه له من ملاحظات وتوجيهات .

هذه هي أهم الأسباب الرئيسية التي كثيرا ما تؤدي إلى انصراف الاطفال عن طعامهم بصفه عامة أو عن صنف معين بصفة خاصة ، وذلك دون أن تتدخل العوامل الصحية والمرضية في ذلك ، هذا النوع من السلوك من أنواع العادات التي يؤسف لها كثيرا لما لها من تأثير سيء على صحتهم من جهة ولحرمانهم من متعة وقت الغذاء وما يترتب عليها من أشباع دافع أولى قوى من جهة أخرى ، وحرمانه من التمتع بفرص الاجتماع مع أخوته ووالديه وما يتبع ذلك من متع عقلية واجتماعية خصوصا إذا كان عمر الصغير حوالى سن السادسة وما فوق ذلك ، إذا يكون الاجتماع حول المائدة فرصة جميلة للتحادث والتآلف بين الأبناء والآباء اجتماعا قد لا يتاح للصغار في النهار بسبب انشغال الوالد في الخارج بعمله اليومي وانشغال الأم بالاعمال المنزلية : —

كيف نساعد الصغير على أن يستعيد شهيته :

إن مساعدة الصغير على التخلص من عادات الأكل غير المرغوب فيها

واستعادة شهيته ليست من الأمور اليسيرة ، ويحتاج الأمر من الأمهات والبالغين المحيطين به إلى صبر وضبط نفس إلى حد كبير ويمكننا أن نقول ان الأم تنجح عادة فى ذلك إذا ما اتبعت التوجيهات الآتية :

أولا : عليها أن تكف عن قلقها حول طعامه ، فلا تظهر انها شديدة الرغبة فى أن تعود إليه شهيته ، ويتم لها ذلك إذا وضعت أمامه الصنف الأول بطريقة عادية دون مبالغة فى الاهتمام ، فإذا اقبل عليه كان بها ، وإذا انصرف عنه غيرته بالطبق الآخر ، فإذا لم يقبل عليه كما يجب تركته وشأنه ، ونحن نحذرها من أن تبدى له شيئا من الملاحظات حتى ولو كانت مديحا أو تشجيعا أو لوما وتقريظا ، إذ إنه لا يلبث أن يتبين من لهجتها شدة عنايتها بأمره فيستمر فى المقاومة ، كذلك نحذرها من أن تتحدث عنه وعن شهيته لأخوته أو لأى شخص بالغ آخر على مسمع عنه ، هذا ونحن لا ننكر أن تنفيذ هذه النواحى قد يكون من أصعب ما يمكن على بعض الامهات اللاتى لا يستطعن بطبيعتهن أن يكن محايدات على طول الخط بحيث تقف من ابنها موقف المتفرج ، وكثيرا ما تكشف نفسها باختلاس النظر إليه ومراقبته ، وقليل منا يعلم أن هذه النظرة لا تخفى على الصغير .

ثانيآ — عليها أن تعلم أن الطفل استمر أياما وأسابيع فى الانصراف

عن طعامه حتى فقد شهيته ، لا يستطيع أن يسترد هذه الشهية بين يوم وليلة ، ولهذا كانت فى حاجة إلى عزيمة وصبر مدذا قد تطول إلى أسبوع أو أسبوعين ، حقا إن هذا النوع من العلاج اختبار لعقلية الأم ومدى قدرتها على ضبط النفس ، وقد دلت الملاحظة على أن معظم الأمهات يفقدن ثقتهن بطريقة العلاج و يشعرن بالتعاسة والشقاء بعد بضعة أيام لعدم استجابة الصغار و إصرارهم على العناد والانصراف عن الطعام ، لهذا ننصح الامهات بوزن أبنائهم عند بداية المعالجة وفى نهاية كل أسبوع حيث يجدن أنهم قد فقدوا بعض وزنهم فى الأسبوع الأول وربما الثانى ، على أنهن يشعرن بالاطمئنان إذا عرفن مقدار مافقد بدقة ، كما يشعرن بارتياح كبير حين يعلمن انهم يستردون ما فقدوه بسرعة بمجرد عودتهم الى شهيتهم الطبيعية .

واضرب مثلا لذلك بطفل عمره سنتان اضطرت أمه إلى أن ترسله إلى عيادة نفسية لأنه لا يقبل على غذائه بشهية ، بدأت الإخصائية النفسية فى تدريبه على استعادة الشهية بمساعدة أمه التى كانت على جانب كبير من الحكمة ، واستمر انصرافه عن غذائه مدة أسبوعين وكان الصغير فى اثنائها عليلا بسبب ماانتابته من حالات القيء وبسبب مقاومته لأمه على تناول الطعام مدة تسعة أشهر قبل استشارة الإخصائية النفسية ، لدرجة أن المعالجة

النفسية بدأت تشارك الأم فى قلقها ، ولكن فى نهاية الأسبوعين كان ارتياحها كبيراً حين طلب الصغير بنفسه الطعام وكرر طلب المزيد منه .

(ثالثاً) من المفيد أن تترك الأم أو من يقوم مقامها أمام الصغير المنصرف عن طعامه بعض المأكولات بحيث تكون فى متناول يده فى أى وقت يريد ، وعليها الا تلقى بالا لما يفعله بهذا الأكل ، فإذا أكله زودته بغيره دون أن تبدى أية ملاحظة ، ودون أن يبدو منها بالقول أو بالعمل ما يدل على ملاحظتها له أو ارتياحها لتناوله ، وإذا سكبه على المنضدة أو الأرض فعليها أن تنظفه دون إبداء ملاحظة أو لوم وعتاب . فى مثل هذه الظروف يشعر الصغير ألا داعى إلى الاقتتال مع أمه ومقاومتها فيقبل على طعامه إذا لاحظ أنه غير مراقب . وليس معنى ذلك أننى أنصح بأن نسمح للصغير بتناول طعامه دون مواعيد فى أى وقت من أوقات النهار بعد أن تعود إليه شهيته ، فلا بد من تنظيم أوقات وجبات الطفل لأن ذلك يفيده صحيا ويساعد على تنظيم عمليات الهضم .

(رابعاً) عليها ألا تصر على تعويده على آداب المائدة وعلى عادات النظافة قبل سن معقول ، فقد دل البحث على أن أصرار الأم على تعويد الصغير قبل سن الثالثة مثلا بعض عادات المائدة وآدابها قد يصرفه عن تناول طعامه بشهيته ، كما يحدث حين يحاول طفل الثانية مثلا على استخدام

يده فى تناول قطعة بطاطس أو بعض المكرونة بدلا من استخدامه الملعقة وتصر أمه على استخدام الملعقة .

واذكر بهذه المناسبة ما كان يفعله ابنى « هشام » حين كان عمره عشرين شهراً فقد مر عليه وقت كان يرفض فيه تناول الشاى من الكوب بينما كان يشرب من « البراد » الصغير الذى يعدله فيه الشاى واللبن الذى يشربه كل صباح ، ولكنى لم أصر على منعه من ذلك فلم يجد سبيلا إلى المقاومة، وعاد إلى كوبه دون عناء بعد عدة محاولات زال بعدها عنصر الجدة فى السلوك الأول .

لهذا فأنا أنصح الأمهات ألا يبدأن فى تعويد الصغير على الروتين اليومى وآداب المائدة قبل أن يكون مستعداً لذلك والا ينهرنه إذا فعل ما يضايقهن أثناء تناول الطعام بصب اللبن على المنضدة مثلا أو على السجادة بل يجب على كل منهن إذا أرادت ألا تسمح بأى مخالفة لقواعد النظافة أن تضع أمامه قطعة من المشمع يمكن غسلها بعد كل وجبة .

كذلك أنصحها بأن تسمح له من آن لآخر بأن يجرب الأكل بمفرده خصوصا إذا أبدى هو رغبة فى ذلك فإن ذلك يزيده شعوراً بالاستقلال كما يشعره بقدرته على العمل و يضاعف من المتعة التى يحصل عليها من غذائه

هذا وقد تقلق بعض الأمهات حين يلاحظن إقبال أبنائهن على صنف

معين دون غيره ، وذلك ظنا منهن انه لا يأكل وجبات متزنة الأمر الذى يعرضه للضعف والمرض ، وأنا أرى ان هؤلاء الأمهات يبالغن فى الخوف على صحة أبنائهن فليس هناك خطر عليهم من عدم اتزان الوجبات ذلك لأن أقبالهم على نوع معين من الطعام كثيراً ما يرجع إلى نقصه فى أجسامهم لحاجتهم إلى هذا العنصر تجذبهم إليه ، هذا فضلا عن انه يجب علينا أن نسلم لأبنائنا بحق اختيار طعامهم كما يفعل البالغون ومن الخطأ اجبارهم على تناول ما لا يرغبون فيه ، والحق أننا نبالغ فى قلقنا من عدم اتزان وجبات أبنائنا ولكننا لو تأملنا فيما يتناوله كل أثناء يوم بأكمله لوجدنا ان أنواع الطعام التى يتناولها يكمل بعضها البعض الآخر بطريقة لا بأس بها وإن كانت تختلف عما جرينا عليه كبالغين ، فلو اختار الطفل مثلا الجبن فى الصباح وشرب بعض اللبن فانه يعوضه عن اللحم الذى رفض تعاطيه فى وجبة الغذا. ، ولو أكل قطعة من الطماطم بين الأكلات فإنها تعوض عن الخضار الذى رفض تعاطيه ، وهكذا وقليل جدا من الصغار هم الذين يعانون من عدم اتزان وجباتهم ، ولكن بعض الأمهات يضخمن هذه المشكلة ويبالغن فى الخوف والقلق ، وهذا ما يؤدى إلى تدخلهن فى شهية أبنائهن ويحاولن إجبارهم على تناول أصناف معينة ظنا منهن أن هذه الأصناف ذات قيمة غذائية خاصة ، وهن لا يعلمن ان ذلك يصرفهم عن الإقبال على طعامهم ويبعث فيهم روح المقاومة والعناد .

الفصل السادس عشر

عندما يكره الطفل مدرسته ويحاول التهرب منها

هناك مشكلة أخرى من المشكلات اليومية التى لفتت نظر الآباء وقد تثير فيهم بعض القلق والاشفاق ، وهى تغير اتجاه الصغير نحو المدرسة وكرهه لها ومحاولة انتحال الفرص للتغيب عنها .

والحق إن الدور الذى تقوم به المدرسة فى حياة الطفل لا يمكن تجاهله ، فهى عامل مهم يساعد الآباء على تثقيف الأبناء ، ذلك أن التراث الثقافى للمجتمع الحديث بلغ درجة من التعقيد بحيث أصبح من المتعذر على الآباء أن يقوموا بهذه المهمة دون مساعدة ، ولذلك كان على المدرسة مساعدة المنزل فى إعداد أبنائنا لكى يكونوا أعضاء ناضجين مزودين بكل ما يحتاجون إليه من التراث الثقافى للجماعة ، وذلك باكسابهم أنواعاً مختلفة من الخبرات المعرفية والمهارات المتعددة ، فضلا عن آداب التعامل فى المجتمع ، وعن اتجاهات الجماعة وميولها ومثلها العليا . لهذا كان من المهم مساعدتهم على حسن التكيف للوسط المدرسى حتى يفيدوا منه أكبر فائدة .

ويمكننا أن نقول ان الأطفال عادة يذهبون إلى المدرسة وعندهم

استعدادات واتجاهات طيبة نحوها . فهم يعرفون الكثير عنها قبل دخولها من آبائهم وإخوتهم وأبناء الجيران المحيطين بهم ، ويترقبون اليوم الذى ينتمون فيه إليها ، ومع ذلك فهم يهابونها فى أيامهم الأولى ، وهو أمر طبيعى لانتقالهم من مجتمع الأسرة حيث تسود علاقات القرابة . وحيث يكون الطفل محور انتباه والديه وإخوته إلى المجتمع المدرسى ، حيث يجد الطفل نفسه فرداً فى مجتمع كبير غريب عن تجاربه المحدودة ، مجتمع تسوده علاقات لا عهد له بها . على أن هذه الهيبة فى العادة لا تعدو بضعة الأيام الأولى من دخوله ، يقبل بعدها على النشاط المدرسى وينغمس فيه ويتمتع به ومع ذلك فهناك فئة من الأطفال تجد صعوبة فى التكيف وتقضى ساعات المدرسة فى تعاسة وشقاء ، ويساعد على ذلك عوامل متعددة بعضها يتعلق بالوسط المدرسى وبعضها بالبيئة المنزلية نفسها .

هذا وقد أجرى بحث على ٢١٢ (١) من أمهات الأطفال فى السنة الأولى من التحاقهم بالمدرسة ، وقابل الباحث الأمهات مرات ثلاث فى مقابلات شخصية ، كانت الأولى قبل دخول الأطفال المدرسة لبحث

(1) a — Stendler, C. B. "Social class differences in parental attitudes towards school at grade I level (Child Development) Vol 22. P 36. ff. (1951).

b — Stendler, C. B. & Young N, "Impact of First grade influence up on the socialisation of a child : Changes after eight months of the school. (Child Develop. 1951) Vol 22 p. 113 — Irr.

درجة استعدادهم للانتماء للمجتمع المدرسى ، فذكرن جميعاً أن أبناءهن كانوا يترقبون ويتوقون إلى دخولها ، وحدثت المقابلة الثانية بعد مضى شهرين من دخولهم ، وكانت المقابلة لدراسة ما إذا كان الأطفال قد أظهروا تغيرا فى سلوكهم فى اتجاه النضج فى بحر الشهرين وقد أكد ٨٦٪ منهن أنه قد حدث تغير ماحوظ على سلوك أبنائهن فيما يتعلق بفكرة الصغير عن نفسه وسلوكه بصفة عامة ، وقد شمل التغير أيضاً شعوره بالأهمية وزيادة اعتماده على نفسه فى الملبس والمأكل ، وفى عمل الواجبات ، كما لوحظ أن كثيراً منهم قد صار أكثر استجابة لمنبهات الوسط ، وأميل إلى التعاون والمساعدة ، أما المقابلة الثالثة فقد حدثت بعد مضى ثمانية أشهر من دخولهم وأكدت الأمهات استمرار نموهم وتطور سلوكهم .

على أنه بالرغم من ن اتجاههم بصفة عامة نحو المدرسة كان موجبا إلا أن اتجاه بعضهم كان سالباً واستمر انصرافهم عنها . . . فبينما ذكر غالبيتهم أنهم يحبون المدرسة ، انتقد ٤٢٪ منهم المدرسة والمعلمة ، وذكر ٣٩٪ أنهم لا يريدون الذهاب إلى المدرسة ويفضلون عليها البقاء بالمنزل

من هذا البحث وغيره نلاحظ أن الأطفال لا يتكيفون للوسط المدرسى بنفس السرعة ونفس النسبة ، كما أن أثر المدرسة عليهم لا يتم على أكمل وجه وبدرجة واحدة بالنسبة لجميع التلاميذ ، فهناك عوامل

متعددة تتحكم فى أثر المدرسة على تلاميذها منها علاقة المعلم بتلاميذه بعضهم بالبعض الآخر ، ثم الفلسفة التعليمية التى تتبعها المدرسة ، والإمكانيات التى تضعها فى متناول يدهم وكلها عوامل ذات أثر ملحوظ على تكيف التلاميذ للمدرسة ، يضاف إليها عوامل أخرى تتعلق بالبيئة المنزلية ، أهمها اتجاه الوالدين والبالغين المحيطين به فى المنزل نحو المدرسة ثم الجو العام الذى يسود العلاقات الاجتماعية فى الأسرة ، هذا فضلا عن إمكانياتها الاقتصادية والاجتماعية التى قد تساعد على التحصيل أو تعرقله .

أما عن علاقة المعلم بتلاميذه فقد سبق[1] أن ذكرنا أنها على جانب كبير من الأهمية فى تكوين اتجاه الصغار نحو المدرسة ، وكلنا يذكر على الأقل معلما من المعلمين كان له سببا فى التأثير عليه تأثيرا طيبا ، وفى دفعه إلى الجد والتحصيل ورفع مستوى طموحه ، كما أن كثيرا منا يذكر معلما من معلميه كان سببا فى نفوره من بعض المواد وإثارة شعوره بالنقص والضعة وفقدان الثقة بالنفس .

وقد دل البحث فى أسباب سوء العلاقة بين المعلم والتلاميذ على أن من أهمها عدم قدرة المعلم على فهم مشكلاتهم والنظر إليها بعين العطف ، فبدل أن يساعدهم على التخلص منها كثيرا مايلجأ إلى العقوبة أوالسخرية

(١) أنظر الفصل الثامن من هذا الكتاب « العلاقات الإنسانية بين المعلم والتلاميذ ص ١٣٥ .

كذلك قد يكون السبب فى تعكير صفو العلاقات بينهما محاولة المعلم التفرقة فى المعاملة بين بعضهم والبعض الآخر فيشعر المغبون بمرارة وتوتر وذلك فضلا عما يترتب على ذلك من اشاعة الفرقة والغيرة بين التلاميذ كما سبق أن ذكرنا .

فى مثل هذه الظروف كثيرا ما يضطر التلميذ الى اتخاذ موقف دفاعى فيقوم ببعض أنواع السلوك غير المرغوب فيه إما بالانسحاب من المضايقات والانطواء على نفسه وكثرة التغيب والهرب من الجو المدرسى ، وإما بالالتجاء إلى اللعب والمشاغبة أثناء الحصص ، وهكذا تنشط نزعته العدوانية نشاطا ملحوظا ، وقد يمتد اعتداؤه إلى المعلم والزملاء على حد سواء ، هذا فضلا عن كرهه لمادة المعلم وبطء تحصيله فيها مع أن لديه الاستعداد العقلى اللازم للتحصيل فيها بنجاح .

هذا وتؤثر علاقة التلاميذ بعضهم بالبعض الآخر فى اتجاه الطفل نحو المدرسة فيقبل عليها أو ينصرف عنها ويكرهها . ففى بعض الأحيان يخفق الصغير فى التكيف الاجتماعى بالمدرسة ويصعب عليه تكوين أصدقاء له فى هذا الوسط ، وقد لا يتقبله مجتمع الفصل بسهولة فيصادف اتجاها عدائيا من بعض زملائه فيما كسونه ويعتدون عليه ويسخرون منه ، الأمر الذى يجعل المدرسة والحياة المدرسية جحيما لا يطاق فيتحين الفرص للهرب منها .

كذلك تلعب الفلسفة التعليمية التى تتبعها المدرسة دوراً لا يستهان به فى تشجيع إقبال التلاميذ على المدرسة أو انصرافهم عنها ، وإن كان أثرها يتم بطريقة غير مباشرة، إذ أنها هى التى تحدد المناهج وطرق التدريس ونوع الكتاب المدرسى ، وقد تكون هذه كلها مبنية على فهم صحيح لاستعدادات التلاميذ المختلفة فى مرحلة النمو المقابلة لمرحلة الدراسة ، وقد لا تكون بحيث لا يراعى واضعها طبيعة الدراسين ونضجهم العقلى ، وفى هذه الحالة الأخيرة تتجه المناهج والكتب ، بل والمعلم إلى حشو عقول التلاميذ بمعلومات لا ترتبط بخبراتهم فى الحياة من قريب أو بعيد، ولذلك يشعر بعضهم بالعجز عن متابعة الدراسة بنجاح ويكون تأخرهم الدراسى هذا سبباً فى شعورهم بالنقص ، وتزعزع شعورهم بالأمن ، وتصبح المدرسة عبئاً ثقيلا على كواهلهم الصغيرة .

ومن العوامل المساعدة على كره المدرسة وتكوين اتجاه سلبى نحوها كثرة الواجبات المدرسية المطلوب من الطفل أداؤها فى المنزل بعد انصرافه من المدرسة ، وتزداد وطأة هذه الواجبات على كاهل الصغير إذا هدد بالعقوبة مما يجعل الجو الذى تتم فيه عملية التعلم جوا لا يبعث على الرضا والارتياح .

هذا وللجو المدرسى العام أثر ملحوظ فى مساعدة التلاميذ على حسن

التكيف وضمان سعادة أفراد المجتمع المدرسى فحيث تسود الروح الديمقراطية المدرسة تجد المدرس يعمل متحررا من « روتين » المناهج والكتاب المدرسى و يوجه عملية التعلم كما تقتضيها حاجات تلاميذه مع التزامه بالخطوط العريضة لهذه المناهج ، كما يبذل قصارى جهده فى تكوين علاقات ود ومحبة بينه و بين تلاميذه ، فيلجأون إليه فى حل مشكلاتهم و يتعلقون به و بالمدرسة . وتنعكس هذه الروح المرضية على كل أنواع النشاط المدرسى ، و يقبل التلاميذ على التعلم مدفوعين إلى ذلك بالرغبة فى التعلم والتحصيل و يقل الاحتكاك بينهم و بين المعلم من جهة و بينهم و بين بعضهم من جهة أخرى و يصدق العكس حين تسود الروح « الاوتقراطية » ولقد قام ليبت[1] Lippitt ، ليفين Lewin ، ببحث على رواد اندية ثلاثة ، وكان قائد احدها ديمقراطيا والثانى دكتاتوريا ، والثالث ترك لأفراده الحبل على الغارب يعملون كما يريدون . واستخلصا من هذا البحث أن للقائد اليد الطولى فى بناء شخصية رواد النادى ، وكانت أحسن النتائج فى جانب القائد الديمقراطى الذى عمل على احترام آرائهم وعدم اجبارهم على القيام بعمل لا يريدونه ، وقد ساد جو الود والوئام المجموعة بأسرها ، وكانت تعمل

---

(1) Lewin K. , Lippitt, R. , & White, R. K. , 'Patterns of aggressive behaviour in experimentally careated "social climates" J. soc. psychol. (1939) Vol lo. p. 271 — 299.

بجد سواء وجد أم غاب ، بعكس الحال فى الناديين الآخرين حيث كان الاعضاء لايعملون إلا فى وجود الرائد ، وقل التعاون بينهم ، كما قل الانتاج وكانوا ميالين إلى النزعة العدوانية ، كما كانت هذه النزعة توجه فى بعض الأحيان إلى القائد وفى بعض الأحيان الآخرى إلى بعض زملاء اتخذتهم الجماعة مخلب القط لنزواتها .

هذه بعض ظروف البيئة المدرسية التى قد تؤدى إلى كره ابنائنا للمدرسة ومنها نرى أن المدرسة مسئولة إلى حد كبير على تكوين اتجاهات سالبة نحوها و بذلك تخذل الغرض الذى أنشئت من أجله ، على أنه قد تخفق المدرسة المثالية فى تشجيع بعض التلاميذ على الإقبال عليها وعلى تكوين اتجاهات ايجابية نحوها لأن البيت يهدم ما تبنيه باستمرار ، كما يحدث حين يستخدم أفراد أسرة الصغير المدرسة كأداة تهديد له تجعله ينظر إليها كخطر يهدده بالعقوبة والألم ، فإذا أرادت الأم مثلا أن ترغم أو تجبر ابنها على أداء عمل يرفض أداءه هددته بأنها ستذهب إلى المدرسة وتقابل مدرسته أو ناظرته لتعاقبه على مخالفتها ، أوأنها ستذهب إلى المدرسة لتشهر به أمام زملائه وتعيره بسوء سلوكه، وهكذا تصبح المدرسة سيفا مصلتا على رقبة الطفل ، فلا عجب ان رغب الطفل عنها وحاول الهرب منها .

وقد يتسبب المنزل فى كره الصغير للمدرسة ، ولكن بطريق غير

مباشر حين لا تهيئ الأسرة للتلميذ جوا هاديا ووديا للعمل والمذاكرة بل على العكس من ذلك يلجأ الآباء إلى التنازع أمام أبنائهم كما يلجأ الأخوة إلى الشجار الدائم ، وهكذا يحرم الصغير من الجو اللازم للتحصيل ولتنمية القدرة على تركيز الانتباه ، وقد تؤدى هذه الظروف إلى تأخر التلميذ دراسيا الأمر الذى يشعره بالضيق وضعف الثقة بالنفس فضلا عن الشعور بالنقص، وهو شعور مؤلم فيحاول الهرب منه بالهرب من المدرسة التى تثير فيه هذا الشعور .

ومن اخطر الأمور على الصحة النفسية للابناء أن يلجأ الآباء إلى مقارنة أخ متفوق بآخر غير متفوق وتعيره بالنقص ، كما يحدث كثيرا فى محيط اسرنا فى الجمهورية العربية المتحدة . مثل هذا التصرف يؤدى إلى شعور الصغير غير المحظوظ بالإحباط والفشل والألم ، ويقرن هذا الشعور بالمدرسة فيزداد تحصيله سوءا ويزداد كرهه للمدرسة ومن بها .

هذه باختصار أهم العوامل التى تدفع أبناءنا إلى تكوين اتجاهات سالبة نحو المدرسة وكرهها والهرب منها ، على أنه فى امكاننا أن نعيد للصغير حبه للمدرسة وثقته بنفسه إذا اتبعنا النصائح الآتية :ـــ

إذا كان السبب فى كره الصغير للمدرسة هو سوء العلاقة بينه وبين معلمته أو معلمه فعلينا كآباء أن ندرس أسباب ذلك دراسة دقيقة ، ونحاول

الإتصال بالمدرسة والمعلمين لتدارس الموقف و إصلاح العلاقات ، فإن لم تجد هذه الطريقة فاننى أنصح الآب بأن ينقل ابنه إلى مدرسة أخرى حتى يعطه فرصة لـكى يبدأ من جديد .

مساعدة الصغير وتشجيعه على أن يتخذ له أصدقاء حميمين من بين زملائه فى المدرسة . ودعوتهم من آن لآخر إلى المنزل فى مناسبات سعيدة كأعياد الميلاد وغيرها من الأعياد ، ذلك لأن المدرسة التى يـكون للصغير فيها صديق حميم تصبح عزيزة عليه وليس من السهل الانقطاع عنها .

أن نـكف عن مقارنة الطفل بأخ له أو صديق أو قريب يفوقه فى التحصيل الدراسى حتى لا نزيد شعوره بالاحباط والفشل لعدم قدرته على متابعة الدراسة بنفس مستوى زملائه ، ذلك الشعور الذى يشعره بالنقص و يفقده ثقته بنفسه ، فيربط بين هذا الشعور المؤلم وبين المدرسة فيكرهها و ينصرف عنها .

أن يـكف الآباء عن استخدام المدرسة كوسيلة لتهديد ابنائهم و إجبارهم على عمل مالا يريدون .

أن نعد المعلم اعدادا سليما بحيث يقدر أهمية العلاقات الانسانية بينه وبين تلاميذه فى تكوين اتجاهات سليمة نحو المدرسة ، وأن نزوده بالمعلومات الـكافية عن النمو النفسى للتلاميذ وعن استعداداتهم العقلية وما بينهم من فروق لا بد من أخذها بعين الاعتبار .

انتهينا من الكلام عن أهم مايعرض للاباء والبالغين المحيطين بالطفل من مشكلات يومية عارضة تعرضه لبعض التوتر وتدفعه إلى الاتيان ببعض أنواع السلوك الذى كثيرا ما يظن مشكلا ، مع أنه قد لايعدو مظهرا من مظاهر النمو وقد لايعدو صعوبة عارضة ويمكن مساعدة الصغير على التخلص منها إذا ما تذرع الآباء والبالغون الذين يتعاملون معه ببعض الحكمة فى معاملته ، بقى علينا أن نتعرض لمجموعة أخرى من المشكلات أقل شيوعا من السابقة وأكثر تعمقا فى نفس الصغير وتحتاج فى العادة إلى استشارة الإخصائى النفسى وسنخصص الفصول القليلة الآتية لدراسة هذه المشكلات .

الفصل السابع عشر

عندما يسرق الطفل

قد يلجأ طفل أحيانا إلى أن يمد يده إلى حقيبة والدته ويأخذ منها بعض النقود دون علمها ليشترى بعض الحلوى ، كما يلجأ آخر إلى الاستيلاء على قلم زميله أو كتابه أو لعبة يشتهيها وقد يخفيها عن أعين صاحبها ويتفنن فى ذلك لدرجة تبعث الدهشة فى نفوس البالغين ، فهل نعتبر هذا العمل سرقة يعاقب الطفل عليها عقابا شديدا حتى لا يعود إلى مثل هذا العمل مرة أخرى ؟ أم أن الطفل لا يقصد بهذا العمل السرقة بمعناها المعروف ولهذا كان علينا أن نغمض أعيننا عن فعلته .

للاجابة عن هذا السؤال نقول إنه لا يحق لنا أن نحكم على الطفل بأنه سارق بالمعنى المفهوم من السرقة قبل أن نعرف الدوافع التى دفعته إلى هذا السلوك غير المرغوب فيه ، ذلك لأن مسبباته متباينة ومعقدة وعلى دراستها يتوقف سلوك البالغين معه ويمكننا أن نجمل البواعث التى تدفع الصغير إلى السرقة فى الأسباب الآتية :—

قد يسرق الطفل لعبة أخيه أو صاحبه لانه يجهل معنى الملكية وكيف

يحترم ملكية الاخرين أى أن نموه العقلى وما يترتب عليه من نمو فكرته عن الملكية يكون فى درجة لا تمكنه من التميز بين ما يستطيع أخذه وما لا يستطيع ، لذلك نراه يستولى على لعبة أخيه أوجاره ولا يرى فى ذلك شيئا معينا . حقا كثيرا ما يكون على علم بأن عمله هذا لا يرغب فيه البالغون فقد سبق أن نبهته والدته إلى ذلك ، ولكنه لا يفهم لماذا لا يأخذ اللعبة من محل اللعب مثلا وهناك مئات منها تنتظر من يأخذها ، فلماذا يحرم هو منها ؟ هذه أسئلة تحير عقله الصغير وفهمها يتوقف على نمو فكرته عن ملكية الآخرين ، ووجوب احترامها . هذا الطفل بلا شك لا يمكننا أن نعتبره سارقا ويكفى للتخلص من هذه العادة غير المرغوب فيها أن تنمى فكرته عن الملكية ، وليس ذلك بالأمر العسير إذا استطعنا أن نستغل ميله إلى حب التملك وتعضيد ذاته عن طريق هذا التملك ، وأن نشبع فيه هذه الرغبة بأن نجعل له مقعده الخاص على المائدة وطبقه وفوطته و ياحبذا لو كان لونها يختلف عن لون حاجيات أخيه أو أخوته ، وعلينا فى بداية تدريبه الا نسمح بتبادل هذه الحاجيات حتى تتضح فكرته عن الملكية .

ومما يساعد على ذلك الا نأتى لأبنائنا بلعبة واحدة لا يعرف كل منهم لمن هى حتى إذا نمت فكرتهم عن الملكية وتبين كل منهم ماهو حق

له وما هو لأخيه شجعناهم على التعاون وتبادل الحاجيات ، وإن حدث بعد ذلك أن تكرر استيلاء أحد أبنائنا على حاجيات الآخرين فيجب الا تغمض أعيننا عن ذلك ، بل علينا أن نعرفه برفق أن ما فعله خطأ ونوجهه بطريقة عملية فنطلب منه إعادة ما أخذ ثم نأخذ منه لعبته المفضلة ونحاول اعطاءها لأخيه فيثور هذا بالطبع ويحتج على ذلك ، وهنا تتاح لنا فرصة طيبة لتدريبه على احترام ملكية غيره حتى يحترم ملكيته ولا يحرم من حاجياته التي يعتز بها .

يتضح مما تقدم أن هذا النوع السابق من السلوك لا يمكن أن نعتبره سرقة لأنه مبنى على جهل وقلة خبرة الطفل بالموقف، ويرتبط به نوع آخر من السلوك فى ظاهره سرقة وهو فى الواقع ليس كذلك ، وذلك حين يقوم بالسرقة طفل ضعيف العقل يمنعه هذا الضعف من إدراكه للموقف ، فى هذه الحالة يكون سبب السرقة ضعف إرادته وقلة شعوره بالمسؤلية الاخلاقية ولذلك فهو لا يستطيع أن يضبط نفسه فتمتد يده إلى ما تتوق إليه نفسه دون أدنى تفكير فى العواقب .

مثل هذا النوع من السلوك المنحرف لابد له من علاج على أن علاجه يختلف عن علاج أنواع الانحراف الأخرى ويتوقف نجاحنا فى ذلك على فهمنا لطبيعة الطفل ضعيف العقل ، هذا الطفل لن تجدى معه العقوبة وليس

من العدل عقابه و إنما علينا أن ندربه تدريجيا على الاقلاع عن هذه العادة و إحلال عادات مرغوب فيها من المجتمع محل السابقة،وذلك بطريقه بعيدة عن الوعظ والنصائح اللفظية و إنما تعتمد على الممارسة الفعلية لانواع العادات المرغوب فيها .

هذا وقد يكون الدافع على السرقة هو أن الصغير نشأ وترعرع فى بيئة فاسدة عودته على السرقة والاعتداء على ملـكية الغير ولذا كثيرا ما يشتعل فى صدره نوع من الحقد والـكراهية للمجتمع ، ولهذا كانت السرقة تشعره بنوع من القوة والتيه بالانتصار والافلات من العقوبة، هذا النوع من السرقة هو من أنواع السلوك الهدام ولا بد من حماية أفراد المجتمع من محترفيه ، وقد يبدأ بأسباب اقتصادية ، كما يحدث حين يحاول طفل اشباع حاجته إلى الطعام فيسرق رغيفا من مطعم المدرسة أو من محل بيع الخبز ، أو كأن يسرق نقود زميله لأنه يتوق إلى شراء شىء تاقت إليه نفسه ومنعته حالته الاقتصادية من تحقيق رغبته ، على انه لا يلبث ان يتعود هذا السلوك و يساعده على ذلك فساد البيئة المنزلية أو انصراف الأبوين عن توجيهه وارشاده .

هذا النوع الأخير من السرقة كثيراً ما يكون سرقة مع سبق الإصرار حيث يفكر الطفل فى تنفيذها بدقة للافلات من العقوبة . وعلاجه يكون

بتوقيع نوع من العقوبة عليه حتى لا يعود إلى تكرارها وحتى يعلم أن اللذة التى يجنيها من السرقة أقل من الألم الذى يعانيه إذا ما انكشف أمره ، على أنه يحسن ألا تكون العقوبة مهينة لكرامته مريقة لماء وجهه ، والا يكون العقاب أمام زملائه كما يحسن أن يشجع الصغير على أن يثق بالموجه أو المرشدالنفسى أو المعلم حتى يساعده على حل مشكلاته الاقتصادية إن أمكن دون أن يقوم بالسلوك المنحرف .

بقى علينا أن نتكلم عن نوع آخر من السرقة ليس لها ما يبررها ، إذ تتوفر خبرة الصغير بالملكيةوفهم مدلولها ، كما تتوفر إمكانياته الاقتصادية، الأمر الذى ينتفى معه السرقة لسد حاجة اقتصادية ، هذا فضلا عن انتماء الطفل لأسرة فاضلة وتمتعه بأمومة رشيدة وأبوة حكيمة .

فى هذه الحالة يسرق الطفل لسبب آخر ، سبب يمتد جذوره إلى اعماق نفسه وكثيرا ماتكون ظروف البيئة المنزلية مسئولة عن هذا السلوك ، كما يحدث حين يولد له أخ صغير ملأ قلبه بالغيرة منه وزعزع شعوره بالأمن ، فساورته الشكوك المتعلقة بمحبة والديه له ظنا منه أن هذا القادم الجديد قد سرق منه حبهما وعطفهما . فيلجأ إلى بعض أنواع السلوك المميزه للغيرة مثل التحدى وعدم المبالاة والوقاحة وذلك حتى يخفى شعوره الشديد بحاجته إلى محبة والديه والرغبة الاستئثار بعنايتهم ، وقد يبالغ فى التحدى

وأظهار عدم رغبته فى عطف والديه لدرجة كبيرة وقد يتفوه بجمل وألفاظ مثل « أنى لا أريد حبهما ، ولا يهمنى ذلك » ، ويكثر من أنواع السلوك العدوانى الملىء بالتحدى والعنف كما يكثر من معاداة المجتمع .

هذا النوع من الصغار الثائرين على الأوضاع الجديدة التى لا ترضى نزعاتهم إذا ما اكتشف أثناء السرقة فإنه لا يبدى خجلا أو أسفاً وإنما يتحدى البالغين المحيطين به والذين لا يعجبهم سلوكه ويرفض أية محاولة للعطف عليه ومساعدته ، ويتلقى عقابه دون مبالاة . هذا النوع من السلوك هو الذى يسميه هادفيلد Hadfield باسم « صفة خلقيه رد فعاية » « reaction character traits » ويعنى به إنه رد فعل ليس لظروف البيئة الخارجية المحيطة به وإنما هى رد فعل لنفسه أو « ضد نفسه » ولما يعانيه من ضيق وتوتر ناتج من عدم إشباع حاجته إلى المحبة .

وأخيرا[1] وليس آخرا قد ترجع السرقة إلى أسباب نفسية أعمق من السابقة ، فقد يسرق طفل على خلق عظيم ويمتاز بحبه للمجتمع والعمل على خدمته كما يمتاز بقدرته على العمل والتحصيل . ولذلك يصفه معلموه وزملاؤه بالمثالية ، ولكن يحدث أن يكتشف هؤلاء أنه هو التلميذ الذى يسرق نقودهم من محافظهم ، أو بعض كتب المكتبة أو الأقلام والأشياء

(1) Hadfield, J. A. (1952). Psychology and mental health. pp 60 ff.

على انه فى العادة لايكون فى حاجة إلى المسروقات كما انه لايفيد منها أو يستغلها جيدا بعد الحصول عليها ولا يفهم لماذا سرقها ولذلك فهو فى العادة لايحتاط حتى لايكشف أمره ، وإذ ما اكتشف وهو يسرق كان أبعد ما يكون عن التحدى وشعر بخجل كبير مما جره على والديه وعلى نفسه من خزى وعار ، وكثيرا مايشعر بتأنيب كبير للضمير.

هذا النوع من السرقة مثل حقيقى للسرقة المرضية ، ولهذا كانت مثارا لقلق كبير للطفل نفسه ولوالديه ومعلميه ، وهو نوع من السلوك يقوم به بعض الأطفال المصابين بنوع من الاضطرابات العقلية الوظيفية « العصاب » وكثيرا ما يعنى حيلة من حيل اللاشعور أدت إلى ظهور نزعة مكبوتة بصورة مقنعة وغالبا ما تكون السرقة كما تبدو فى هذا النوع الأخير وسيلة اللاشعور التعبير عن النزعة العدوانية المكبوته .

فى هذه الحالة يجب أن يعامل الصغير على إنه مريض وليس على انه معتد ومعاد للجماعة ويجب علينا أن تخلصه من صعوباته ، على انه كثيرا ما يخفق الآباء والمعلمون فى إزالة مايشعر به من توتر وضيق وفى القضاء على الأسباب الدفينة التى دفعته إلى السرقة ولذلك ننصح بضرورة عرضه على أخصائى نفسى حتى يتوصل إلى تشخيص مرضه تمهيدا العلاجه .

الفصل الثامن عشر

الخوف والقلق

إن الخوف من الانفعالات الطبيعية المألوفة فى الحياة وله فوائد لا يستهان بها فهى تقوى إدراكنا لما حولنا وتجعلنا متيقظين لما يعترض حياتنا من إخطار ، كما أنه يساعد على تكوين الطاقة الضرورية لمواجهة المواقف الخطرة ويجعلنا على أهبة الاستعداد للعمل . ويرى هادفيلد أن الحاجة إلى مواجهة الخطر تجعلنا شجعاناً كما تساعد على ضبط النفس ومنعها من التهور ، فالخوف يلعب دوراً لا بأس به فى تكوين بعض صفاتنا الأخلاقية الحميدة وإليه ترجع الدوافع الأولى للحياة الاجتماعية ، فلولا خوف الرجل الأول من الأخطار لما تجمع فى جماعات وعشائر وقبائل وكان لهذا التجمع اليد الطولى فى بناء الحياة الاجتماعية الراقية وما لها من دساتير وعرف وعادات وتقاليد ، ولكى يتمتع الفرد بحماية الجماعة وحبها كان عليه أن يراعى مصالح غيره وأن يكون على علاقات حسنة مع من حوله وأن يكيف نفسه ليعيش بينهم حتى يكون سعيداً ومعنى ذلك أن الخوف فى الواقع أحد العوامل الرئيسية فى الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقيـة .

ورغم هذه الفوائد الجمة التى للخوف فقد يـكون سبباً فى أن يشل حركتنا بدلا من أن يكون حافزا لنا على العمل ، فالخوف من الفقر قد يدفعنا إلى العمل ولـكن الخوف الشديد من أن نفقد عملنا قد يشل نشاطنا ويؤثر فى إنتاجنا ، وقد يخاف الفرد الموت إذا أصيب بمرض طويل ولـكن خوف السليم خوفاً شديداً من الموت قد يشل تفـكيره ويمنعه من أن يحيا حياة طبيعية كبقية الناس ، وهكذا فالخوف فى حد ذاته نعمة ولـكنه يصبح نقمة إذا زاد عما يحتمله الموقف أو إذا ما تعلق بأشياء لا تستدعى الخوف لأنها لا تهدد بالخطورة ولا داعى مطلقاً للخوف منها وهكذا يتحول الخوف الطبيعى إلى قلق مرضى مضر به ومعطل لإنتاجه .

ولمـا كان معظم ما يكتسبه الفرد من مخاوف يرجع إلى مخاوف الطفولة لهذا كان انفعال الخوف من أهم الانفعالات التى لفتت أنظار الباحثين فى النمو النفسى وعلم نفس الطفل فدرسوا جذوره ومسبباته واتضح من هذه الدراسة كيف يلعب التعلم دوره فى حياة الصغير الانفعالية وان الوسط الذى يعيش فيه قد يكسبه كثيرا من المخاوف المحطمة لحياته . وأن معظم المخاوف المرضية التى تصيب المراهقين والبالغين مرجعها الانفعالات التى يـكتسبها الصغار فى محيط الأسرة لهذا نصحوا بضرورة العمل على حماية الصغير من العوامل التى تسبب الخوف أو على الأقل العمل على تجنيبه الخوف غير الضرورى .

هذا وقد دل البحث الذى قام به علماء النفس عن الخوف أمثال وطسن Watson وفالنتين Valentine و Jones جونز ، جرسلد Jersild، وهولمز Holmes وغيرهم على أن مثيرات الخوف الفطرية قليلة ونادرة و يمكننا أن نقول أن غالبيتهم قد اتفقوا على أن الشيء المجهول الذى تخفى عن المرء حقيقته والصوت العالى المفاجيء من مسببات الخوف الفطرية و يضيف وطسن إلى ذلك إسقاط المسند ، أما باقى مثيرات الخوف الأخرى فهى مكتسبة من البيئة المحيطة به ، فالطفل يتعلم الخوف من الظلام والكلاب والقطط والصراصير ، ومن الثعابين والغرباء ومن الأشياء التى لا يستطيع عقله الصغير تصورها وفهمها مثل « العفاريت » و « الغول » و « أبو رجل مسلوخة » الخ .

هذا وكثيراً ما يتطلب الخوف درجة من النضوج العقلى، فمثلا طفل الثانية لا يخاف الثعابين كما ثبت من بعض الأبحاث ولكن طفل الرابعة يخافها لأن نموه العقلى يجعله يدرك الخطر الذى يمكن أن يسببه لدغة الثعبان بينما طفل الثانية لا يستطيع ذلك .

و يمكننا اجمال المواقف التى تؤدى إلى تربية انفعال الخوف فيما يلى :

أولا — قد يتعلم الصغير الخوف عن طريق الاقتران الشرطى والتدعيم الشرطى كما يحدث حين يقترن أحد مثيرات الخوف الفطرية مثل

الصوت العالى المفاجىء ، برؤية شىء أو حيوان معين مثل كلب أو قط ، فمثلا إذا كان طفل الثانية من عمره يلعب بجانب اخوته ورأى كلب العائلة مقبلا نحوه فمد يده إلى فمه ليداعبه وحدث لسبب من الأسباب أن ارتفع صوت الكلب بنباح مفاجىء فإن الطفل ينزعج ، فإذا حدث أن تكرر النباح كلما حاول الصغير الاقتراب من الكلب ارتبط هذا الصوت العالى المفاجىء بالخوف من الكلب بل من الكلاب عموماً .

ثانياً — يلعب التقليد دوراً كبيراً فى تكوين مخاوف الصغار كان يقلد هذا أخا له يخاف من حيوان معين أو كأن يقلد أمه أو أباه فى خوفهما من العواصف أحدهما أو كلاهما ، كذلك قد ينتقل الخوف إلى الصغير من البالغين المحيطين به عن طريق الإيحاء فيشعر بالخوف والتوتر دون وجود علة ظاهرة وإنما مظهر والدته تجاه بعض المواقف ينقل إليه ما تشعر من الخوف .

ثالثاً — قد يتعلم الصغير الخوف كنتيجة لتجربة قاسية مرت به فهو يتعلم أن يخاف الكلاب إذا فاجأه كلب غريب فى يوم من الأيام وهو يلعب أمام بيته ويخاف الزنبار إذا لسعه يوما وهو يلعب فى الحديقة لسعة آلمته طويلا ويخاف طبيب الأسنان بعد أن خلع ضرسا آلمه .

رابعاً — قد يخاف طفل من شخص أو من شىء إذا كان هذا

الشخص أو الشيء موضوعاً لحلم مزعج أطار النوم من عينيه ، فإذا حلم الصغير مثلا أن ثورا هائلا أخذ يطارده قاصدا إيذاءه أو سبب له هذا الحلم فزعاً شديدا فإننا نجد هذا الفزع والخوف ينتابه كلما رأى ثورا يشبه الذى كان سبباً فى فزعه فى الحلم .

خامساً — قد يتعلم الطفل الخوف من شيء يجهل طبيعته تحت تأثير بعض البالغين المحيطين به ، ومن أمثلة هذا النوع خوف الطفل من الجندى أو الشرطى أو من العفاريت أو « الغول » لأن خادمته أو والدته كانت تهدده به كلما أرادت ارغامه على القيام بعمل لا يريده .

تلك بعض مسببات الخوف الرئيسية ، على أن ظروف الطفل وقت حدوث انفعال الخوف سواء كانت فسيولوجية أو نفسية هى التى تحدد درجة الخوف وطريقته فى التعبير ، فإذا كان الطفل مريضا ، أو جوعانا أو متعبا أو مضطربا انفعاليا أو وحيدا بين غرباء كانت استجابته لمنبهات الخوف قوية جدا وقد يؤثر ذلك على صحته النفسية . أما إذا كان يشعر بالأمن لقربه من أمه أو لوجوده بين من يطمئن على نفسه معهم أو لو كان فى حالة نفسية وفسيولوجية طيبة ، فإن استجابته لمثيرات الخوف تكون أخف حدة ، ومعنى ذلك ان الخوف لا يتوقف على مثيراته الخارجية فقط وإنما يتوقف على ظروف الصغير الداخلية وحالته العامة أثناء حدوث الانفعال .

كما يتوقف على درجة نضوجه العقلى وتقدمه فى السن فقد يخاف الصغير فى السنة الأولى من منبهات يألفها ويفهمها فى السنة الثانية فيبطل خوفه منها .

هذا وينقسم الخوف من حيث موضوعه وطبيعته إلى أنواع نذكر منها : —

(ا) خوف متعلق بموضوعات موجودة فى البيئة المحيطة بالصغير وينشأ هذا النوع فى العادة من ظروف الصغير فى الوسط ، مثل خوفه من الظلام والكلاب والغرباء أو من الامتحان ، وقد يكون له حق فى الخوف ، وهو مفيد إذا كان عن خبرة وتجربة ، وإذا كان على درجة معقولة وحدث فى الوقت المناسب لأنه يجنبه الوقوع فى الخطر ويمنعه من التهور وتعريض حياته للمخاطر .

(ب) خوف من نواح ذاتية مثل خوف الفرد من المرض الطويل بعد ان مرض عزيزا لديه ، أو خوفه من ان يخذل نفسه ويفقدها مركزها المرموق فى المجتمع لانه يشعر فى نفسه بنواحى ضعف تقلقه مثل حدة الطباع أو حدة النزعة الجنسية الخ أو كأن يشعر الصغير بالخوف من فقد حب أمه له لان به بعض نقص يقلقه .

(حـ) خوف من موضوع غامض لا يعرف عنه الصغير شيئا مثل

الخوف من النار وعذابها فى الآخرة والخوف من « الغول » وأبو رجل مسلوخة » وما إليه من انواع المخاوف التى تفزع الطفل وتقض مضجعه وتحرمه النوم الطبيعى الهادىء الضرورى لسلامة صحته النفسية .

(د) وأخيرا هناك نوع من المخاوف المرضية الخطيرة وهو خوف عصبى غامض من الحياة عموما هو مانشاهده فى أنواع القلق العصبى وسنتكلم عليه حين كلامنا عن القلق .

ومن ذلك نرى أن المخاوف التى يكتسبها الطفل من البيئة متعددة كما ان مصادرها وأسبابها متنوعة ، وتتفاوت فى درجتها وخطورتها على الصحة النفسية باختلاف شدتها وعمقها ودرجة الحاحها، على انه لا يسعنا أن نقول إن من المستحسن أن نعمل بقدر الإمكان على استبعاد العوامل التى تسبب الخوف أو على الأقل لا تخرجه عن الدرجة الضرورية اللازمة للمحافظة على الحياة كما يجب علينا أن نجنب أبناءنا التعرض لخطر المخاوف المرضية التى تنقلب إلى قلق شديد الخطر على صحتهم النفسية ، وإنى أرى بحق ان الوقاية أفضل من العلاج الذى قد لايفلح فى اقتلاع جذور الخوف تماما . وفيما يلى بعض التوجيهات للأم التى تريد مساعدة صغيرها على أن يشب سليم الجسم والنفس .

أنصح أولا وقبل كل شىء أن يكون الآباء والبالغون المحيطون بالطفل

فى المنزل والمدرسة قدوة حسنة له فلا يظهرون مخاوفهم له حتى لا تنتقل عن طريق التقليد أو الإيحاء ، واذكر فى هذا المقام ما حدث لسيدة أعرفها وطفلها البالغ من العمر سنتين . كان للصغير دب كبير يحبه ويقضى وقته فى اللعب معه ، وذات يوم بينما كانت الأم نائمة و إذا بالولد يقذف دبه على الأرض قذفة أحدثت صوتا مرتفعا فهبت من نومها مذعورة بصورة مبالغ فيها فانتقل خوفها إليه وامتنع عن تناول الدب من الأرض و بدأ منذ ذلك اليوم يخافه و يأبى الاقتراب منه .

هذا وعلينا ألا نستخدم التخويف إطلاقاً فى إرغام أبنائنا على طاعتنا حيث تكون هذه الطاعة على حساب صحتهم النفسية ، وعلينا أن نراقب الخدم ونمنعهم من استخدام التخويف كسلاح مسلط على رقبة الصغار المساكين .

إذا لاحظت الأم أو المعلمة أن الصغير قد تعلم الخوف من بعض الأشياء التى لا تستدعى خوفاً فيمكنها أن تربط الموقف الذى تعود الطفل فيه الخوف بموقف آخر ذات طابع مطمئن ومريح ، فلو كان الصغير يخاف الظلام مثلا فمن الممكن أن تحمله أمه بين ذراعيها وتشعره بدفء حبها وحمايتها له ثم تطلب منه أن يطفىء النور ويضيئه عدة مرات وهى تضحك وتداعبه ، كذلك يمكنها أن تلعب معه فى حجرة إضاءتها قليلة فإذا اطمأن لهذا الجو تدريجياً

استطاعت أن تطفىء النور كله وتقص عليه قصة مسلية وهو بين ذراعيها حتى ينام ويألف الظلام ويزول خوفه منه .

هذا ومن العوامل ذات الأثر الفعال فى إزالة مخاوف الأطفال التقليد الاجتماعى وعلى الأخص تقليد الأصدقاء والرفقاء من نفس السن ، فالطفل الذى يخاف الكلاب أو القطط مثلا كثيرا ما تزول مخاوفه إذا ما شاهد أخاه الأصغر أو رفيقه يلهو بها.

كذلك قد يكون الاقناع وإفهام الصغير حقيقة الموقف من العوامل الفعاله فى إزالة المخاوف إذ أننا نعلم أن قصور عقل الصغير عن فهم بعض المواقف قد يكون سببا فى تهيبه الموقف وخوفه منه ويزول الخوف إذا تعوده وفهم طبيعة موضوع الخوف .

القـــلق

يقصد بالقلق حالة من الخوف الغامض الشديد الذى يتملك الإنسان ويسبب له كثيرا من الضيق والألم ، والشخص القلق لا يستقر له قرار ولا يستطيع أن يركز انتباهه طويلا على عمل . يبدأ عملا ثم يتركه لآخر دون أن يتمه ، ويبدو يائسا متشائما يشك فى كل ما يدور حوله ويتوقع الشر فى كل خطوة يخطوها . وهو يشعر بالخوف من أمور كثيرة ، يخاف الموت ويخاف المرض ويخاف الفقر ويخاف فقدان عزيز لديه . . . الخ .

وكذلك يبدو متوتر الأعصاب لأتفه الأسباب ويقفز خوفا لاضعف الأصوات ، ولا يشترك اشتراكا فعليا مع زملائه فيما يدور حوله من أمور ، ويكثر من الانطواء والابتعاد عن الناس والمجتمعات .

وكثيراً ما يصاحب حالات القلق بعض العوارض الجسمانيه التي توصف بأنها « نفسية فسيولوجية » -Pshcho-somatic ، مثل خفقان القلب والصداع وعسر الهضم والارتيكاريا ، والإعياء والأرق ، وجفاف الحلق فتزيد هذه العوارض الجسمانية النفسية من قلقه ومخاوفه .

هذا ويرى[1] هادفيلد Hadfield أن القلق «خوف مشوب بالاحباط» « Frustrated Fear » وينشأ من حالة التوتر التي يشعر بها الفرد إذا وجد نفسه عاجزاً عن مقابلة موقف الخوف أو الفرار منه ، ولهذا فهو يختلف عن انفعال الخوف الذى يجد سبيلا إلى التفريغ بعد أن يقوم الفرد بنوع من النشاط يوصله للهرب من الخطر ، أما فى القلق فإن الفرد يجد نفسه فى موقف لا يعرف كيف يتخلص منه ، فالطفل الذى يعيش فى أسرة دب الشقاق فيها بين الوالدين وأصبح من المألوف أن يهدد كل منهم أمامه بترك المنزل الأمر الذى بعث الخوف فى نفسه واشعره بعدم الأمن ، طفل معرض للقلق لأنه لا يجد سبيلا إلى تحويل مخاوفه وإلى مقابلة هذا

(1) Hadfield J. A, (1952) - Psychology and Mental Health. London p. 237.

الموقف بنجاح يخلصه مما يشعر به من توتر .

« أما فرويد Freud[1] فيرى ان القلق رد فعل لحالة الخطر. و يتخلص الأنا من هذا الخطر بعمل شيء لكى يتجنب تلك الحالة ، أو لكى يبتعد عنها : فتظهر حالة القلق » ، كما انه يميل إلى اعتبار أن حالات القلق ناشئة عن صدمة الولادة و يقول إنه لا يعنى أن القلق يختلف عن جميع الحالات الوجدانية الأخرى ، فهذه الحالات هى أيضا فى رأيه ناشئة عن خبرات مبكرة جدا وعلى جانب عظيم من الأهمية، وربما « كانت هذه الخبرات[2] سابقة لوجود الفرد » .

و يرى أن الطفل إذا ما اعترضه موقف من المواقف الانفعالية ذات الصبغة الانفعالية القوية فإنه قد يقلق و يكون لهذا القلق كل المظاهر التى تدل على قلة حيلته وعجزه عن التصرف فى الموقف .

و كذلك يفرق هارت Hart بين الخوف والقلق على أساس أن الخوف مثيره موضوعى بينما القلق مثيره ذاتى داخلى ولكن هادفيلد لا يوافقه على ذلك و يقول إن بعض المنبهات الموضوعية قد يثير فينا القلق ، فقد نصاب بقلق شديد إذا مرض عزيز لدينا مرضا خطيرا ، و يرى ان الواجب

---

(١) سيجمند فرويد « القلق » ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتى سنة ١٩٥٧ ص ١٢٥ .
(٢) نفس الكتاب ص ١٣٢ .

ألا نستعمل كلمة القلق إلا مع إحباط انفعال الخوف ومع ذلك فنحن نستعمله مع التجاوز مع انفعال الغضب والحب (الجنسى) لاننا نعلم أن أى إحباط لرغبة من الرغبات يهدد شخصيتنا ولا بد من أن يثار الخوف إزاء هذا التهديد ، وهذا علاوة على أن انفعالات الغضب والحب قد تكون هى نفسها موضع خوف .

وهناك فرق بين القلق و بين الانقباض رغم ما بينهما من علاقة ، وذلك لأن الفرد القلق لا زال يقوم بمجهودات للتغلب على ما يشعر به من توتر وتحقيق الهدف ، وهناك أمل يحدوه إلى العمل رغم قلقه وتوتره على انه لا يصل إلى حالة الانقباض depression إلا إذا وصل إلى مرحلة يئس فيها من إشباع الحاجة ولذلك استسلم للانقباض والتعاسة .

من ذلك نرى أن القلق أخطر وأبعد أثراً على الصحة النفسية من الخوف غير أنه لا يسعنا إلا الاعتراف بأنه بالرغم من أن القلق من أنواع السلوك غير السوى إلا أن القليل منه مفيد وطبيعى ، وقلما يخلو أحدنا من فترات اعترانا فيها الخوف والقلق وكان سببا فى تبصرنا فى عواقب أعمالنا على أنه اذا زاد قليلا عن هذا الحد هدد صحتنا النفسية وعطل انتاجنا وقلل من مستواه ، وهذا ما نلاحظه على طلبتنا حين يشتد قلقهم على نتيجة الامتحان ويعجزون عن التركيز على ما يطلب منهم من اجابة .

أنواع القلق :

لقد قسم « هادفيلد » القلق إلى الأنواع الآتية :

(ا) القلق الموضوعى . (ب) القلق الشرطى العادى .

(ح) القلق الذاتى أو الشخصى . (د) القلق العصبى .

القلق العادى الموضوعى :

ويحدث حين يوجد منبه مناسب بعث الخوف فى النفس وعجز الفرد عن إيجاد وسيلة مناسبة لمقابلته فيتعذر عليه الفرار والخروج من المأزق ، كما يحدث حين يشعر الصغير بأن هناك خطرا يهدد حب أمه له بسبب قدوم أخ صغير ، فيعجز عن أن يقابل الموقف ويتزعزع شعوره بالأمن ويسترسل فى القلق ، أو كما يحدث للكثير منا حين يمرض شخص عزيز علينا مرضاً خطيراً ، فى هذه الحالة يكون المثير موضوعى وقد يكون لنا حق فى مخاوفنا ولكن هذا الخوف ينقلب إلى قلق لأنه لا يجد سبيلا إلى تفريغ شحنته ، هذا وقد ثبت بالدراسة ان السنوات القليلة الأولى من حياة الطفل مسئولة عن تنمية هذا النوع من القلق لأن نموه العقلى ونضوجه العام يجعله عديم الحيلة أمام مخاوفه .

ثانيا — القلق الشرطى العادى :

يختلف القلق الشرطى العادى عن القلق العادى الموضوعى السابق الإشارة إليه فى أنه يحدث ليس فقط من وجود منبه موضوعى للقلق ،

ولكنه يمتاز أيضاً بأنه قلق دعمته تجربة سابقة ، ولهذا فهو قلق مبالغ فيه ، ومن أمثلة ذلك خوف الطفل المبالغ فيه من رؤية الكلاب لأن كلباً أفزعه فزعاً شديداً فى الماضى ، هذا النوع من القلق قد يكون نوعيا ومرتبطا بموضوع معين ، وقد يكون عاماً ، فإذا كان القلق الشرطى نوعيًّا ، فإنه يرتبط بموقف معين كما يحدث حين يخاف الصغير الكلاب بعد أن عضه كلب فى الماضى أو كان يخاف الماء بعد أن سقط به يوماً وأشرف على الغرق ، ويلاحظ ان القلق فى هذه المواقف يكون شديداً ومؤلماً جداً ويحمل المواقف أكثر مما تحتمل فهو قلق مبالغ فيه كثير الإلحاح لأن المنبه الحاضر أو الوقتى زاد فى عمق وأثر تجربة الماضى ، ومما يزيد فى خطره على الصحة النفسية أن مصدره مجهول لصاحبه وهذا ما يجعله يقف مكتوف اليدين إزاءه لا يعرف كيف يواجه الموقف ولا كيف يهرب منه .

أما القلق العصبى العام فانه يرتكن على وجود « استعداد عصبى أو استعداد عصابى عام » فاذا تعرض الصغير للمرض باستمرار وإذا كان يعيش فى منزل كثر فيه النزاع بين الأبوين ، انتقل عدم الاستقرار والشقاء الذى يعم المنزل إلى الصغير فيتزعزع شعوره بالأمن ويكون قلقاً غامضاً تجاه الحياة يتوقع الشر فى كل ركن ويرتبك فى كل موقف جديد ويتجنب الجديد من أنواع النشاط .

ثالثاً — القلق الشخصى العادى :

وفيه يكون موضوع القلق داخلياً أو ذاتياً مثل خوف المرء من نفسه فيخاف مثلا من الضعف الجنسى و يخاف الزواج، وتمتلىء نفسه خوفاً وقلقا من أن يضع نفسه فى مواضع كان يحب تجنبها ، والمعروف أن بعض الرجال يفضل الموت على أن يفقد شرفه .

هذا و يختلف القلق الشخصى العادى عن القلق العصبى فى أن مصدر القلق الشخصى العادى معروف لدى صاحبه ولـكنه لا يستطيع وقفه ، أما القلق العصبى فمصدره غير معروف لصاحبه لأنه قد نسيه وكبته ولم يعد يذكره فى عالم الواقع المحيط به ، هذه المخاوف الذاتية كثيراً ما تثير القلق لأنه من المستحيل أن يهرب المرء من نفسه ، وذلك رغم معرفته لمصدر القلق المتعلق فى العادة بنزعات لا يوافق عليها المجتمع ولهذا تعمل الذات العليا أو الذات على عدم السماح لها بتفريغ ما تحمله من طاقة بطريقة تزيل التوتر ، ومعنى ذلك أن القوى التى تعمل على منع هذه النزعات من الاشباع هى أيضاً قوى ذاتية داخلية .

رابعاً — القلق العصبى Nerotic Anxiety

يميل معظم علماء النفس إلى إرجاع معظم المخاوف الشاذة إلى مواقف موضوعية، ولـكن إذا ما استمرت هـذه المخاوف مثل الخوف من السقوط

من عل أو الخوف من الاختناق فإن أصلها فى الغالب يكون معقداً وترجع إلى عوامل نفسية عميقة فى النفس، فقد يخاف الطفل من الكلاب لأن كلبا أخافه على أن هذا الخوف قد يكون أيضاً رمزا لخوفه من أبيه الغاضب ، وقد لا يكون الأب من النوع الغضوب إطلاقا ولكن الصغير صوّره هكذا لأنه يشعر بنوع من الخطيئة أو الذنب الذى من المعقول أن يثير غضب الوالد . ومعنى ذلك أن القلق العصبى يرجع ليس فقط إلى مخاوف ذاتية و إنما إلى مخاوف مكبوتة ولا شعورية وهذا هو السبب فى كون هذه المخاوف مفككة وعنيفة ولا تخضع للارادة وكثيرا ما تنعكس على أشياء عادية فى الوسط الذى يعيش فيه الفرد .

الظروف المساعدة على تكوين القلق .

لقد ثبت بالبحث أن ما نشعر به من قلق على اختلاف أنواعه كثيرا ما يرجع إلى مخاوف موضوعية تكونت أو تعلمناها فى طفولتنا المبكرة ، وتتعدد الظروف والمناسبات المساعدة على ذلك حتى إنه يمكننا أن نقول بحق أن البيئة المحيطة بنا فى هذا الوقت المبكر من حياتنا مسئولة عن ذلك إلى حد كبير و يمكننا تلخيص هذه الظروف فيما يلى :

١ — كثيرا ما تكون أزمة الولادة كما يقول فرويد وكثير من المحللين النفسيين سببا مباشراً فى تكوين القلق لأن الولادة بالنسبة للصغير

حدث كبير ولهذا كثيرا ما يشيرون إليها « بصدمة الولادة » ، هذا ويزداد أثر هذه الصدمة إذا ما تعرض الصغير لمزيد من الصعوبات حينما تتعسر الأم أو تطول مدة الولادة، ويذهب فرويد Freud إلى أكثر من هذا فيقول إن الصغير قد يمر فى خبرات وهو ما زال فى رحم أمه تسبب له القلق أى أن « جراثيم القلق » والاستعداد له[1] سابق لعملية الولادة .

٢ — قد تكون علاقة الصغير بوالديه ونوع الأمومة أو الأبوة التى يتلقاها منهما سببا فى تربية المخاوف التى تسبب القلق . كما يحدث حين يشعر الصغير بقلة عناية أمه به و إهمالها له، أوحين يشعر انه طفل غير مرغوب فيه من والديه أحدهما أو كليهما ، أو حين يتعلق بأحدهما ويغار عليه من الآخر فيرى فيه منافسا له على حبه وينتابه نوع من الصراع الناتج من رغبته فى الابتعاد عن الوالد المنافس وحاجته إلى كسب مودته والاعتزاز بها .

٣ — قد يكون تعرض الصغير لمرض طويل الزمه الفراش طويلا سببا فى تكوين القلق المبنى على الخوف من المرض، وكثيرا ماتساعد معاملة الأم لصغيرها فى هذه المرحلة على تربية القلق كما يحدث حين تبالغ الأم فى

(١) سيجمند فرويد « القلق » ترجمة الدكتور عثمان نجاتى ص ١٣٢ .

بإظهار قلقها عليه وتبالغ فى تحـذيره ولفت نظره إلى خطورة مرضه وسوء عواقبه .

٤ — كذلك قد يكون سبب القلق وما تبعه من ألم وتعاسة سوء علاقة الصغير باخوته أو زملائه فى المدرسة وغيرته منهم ، ويساعد البالغون المحيطون به على ذلك حينما يكثرون من مقارنته بالمتفوق منهم ويعيرونه بالنقص ، الأمر الذى يفقده الثقة بالنفس ويشعره بالنقص ويشعل قلبه بالكراهية والحقد .

٥ — وأخيراً وليس آخرا قد يكون النظام السائد فى الأسرة وشدته والاصرار على تعويد الطفل على أداب الجماعة ومثلها فى سن مبكرة وعقوبته أو تهديده بالعقوبة إذا لم يرق إلى ما يطلبه البالغون من مستوى أخلاق ، سببا فى شعوره بالذنب والخطيئة وما يتبعه من جهة وتمرده على السلطة من جهة أخرى .

هذه بعض الظروف المسئولة عن اصابتنا بالقلق وما يترتب عليه من أثر على صحتنا النفسية ، ومنها نرى أن الأسرة مسئولة إلى حد كبير عن مخاوفنا وما يقلقنا ، لهذا كان من الضرورى أن نعمل على وقاية أبنائنا من القلق فالوقاية أفضل من العلاج خصوصا وان بعض حالات القلق قد تؤدى إلى اضطرابات عقلية وظيفية خطيرة ، ويكون ذلك بأن نعمل على أن نوفر

لهم ما هم فى حاجة إليه من ود ومحبة حتى تشبع فيهم هذه الحاجة الهامة وتشعرهم بالأمن والاطمئنان الذى هو حجر الزاوية فى القضاء على المخاوف بأنواعها ، كما أن علينا أن نكون رشيدين فى امومتنا وأبوتنا فنحبهم ونحميهم دون أفراط أو تفريط . وعلينا أن نعمل على مساعدتهم على فهم مايحيط بهم من المواقف والمنبهات التى تتطلب منهم حلا وكثيرا مايعجزون عن التكيف لها لقلة خبرتهم بالحياة ، ذلك لأن الطفل قد يخاف موقفا لايلبث يألفه ويزول خوفه منه بعد أن يفهمه، كذلك علينا أن نعمل على تشجيعه على أن يثق بنفسه وعلى أن يواجه مشكلات الحياة بشجاعة وواقعية .

على انه يجب علينا اذا وجدنا أن أحد أبنائنا يعانى قلقا أشعره بالألم والاكتئاب وتدخل فى عرقلة كفايته الإنتاجية فعلينا أن نستشير اخصائيا نفسيا قبل أن يستفحل أمر القلق ويتعقد .

الفصل التاسع عشر

مركب النقص وضعف الثقة بالنفس

الشعور بالنقص وعدم الكفاية شعور يعترى الفرد إذا وجد نفسه عاجزاً عن أن يحل ما يعرض له من مشكلات بطريقة ترضيه وتقبل من المجتمع ، ولهذا فهو شعور طبيعى ، فقليل منا من لم يشعر فى وقت ما من حياته بنوع من العجز عن التصرف فى موقف ما أو بنوع من النقص حين يقارن نفسه أحياناً بمن هو أكفأ منه وأكثر نجاحا فى التكيف لمواقف الحياة ، على أن هذا الشعور لا غبار عليه إذا كان شعوراً عابراً ووقتياً أما إذا لازم الفرد وأضعف ثقته بنفسه لدرجة عرقلت تكيفه وأثرت فى إنتاجه فإنه يصبح سلوكا مرضيا . ومثل هذا الشعور بالنقص يشعر الفرد بالعزلة عن المجتمع إما من الناحية الجسمانية أم العقلية أم الانفعالية .

والخوف والقلق من أهم الانفعالات المصاحبة للشعور بالنقص ، كما يصاحبه التردد وعدم القدرة على اتخاذ أحكام والتصرف فى المواقف لأن هذا الشعور يرتبط ارتباطا وثيقا بعدم الكفاية وضعف الثقة بالنفس .

ويرى بعض علماء[1] النفس أن الشعور بالنقص ما هو إلا شاهد من

---

(1) Beran Wolfe, W (1932) How to be happy though Human.

الشواهد التي تشير إلى أن طريقة الفرد فى معالجة مشكلات حياته طريقة غير سليمة ، فإذا ما تعدلت هذه الطريقة زالت أعراض الشعور بالنقص وأعادت إليه ثقته فى نفسه .

أعراض الشعور بالنقص المرضى :

إن لمركب النقص أعراضاً وشواهد نذكر منها :

١ — الأرق وعدم القدرة على النوم الهادىء فالشخص الذى يعانى من مركب النقص شخص قلق يخاف الاجتماع بالناس لأن الاجتماع يذكره بما ينقصبه وفى نفس الوقت يخاف العزلة والوحدة ، ولذلك فهو يقاوم النوم بطريقة شعورية أو لاشعورية لأن النوم يتطلب الوحدة ويجسمها له فيزداد قلقه ويعمل على استبعاده ، ويكون نومه سطحياً متقطعاً ويشبّه من يعانى هذا المركب بحامية فى جيش محارب طلب من رجالها أن يكونوا على استعداد دائم فلا ينام منهم إلا عدد قليل بالتناوب .

٢ — تعتبر الأنانية من الأعراض الهامة للشعور بالنقص . فالشخص الذى يشعر بالنقص « له منطق خاص به » يسعى إلى فرضه على من يعيشون حوله . ويشعر بالمرارة والتعاسة لما يعانيه من نقص ولذلك يضفى هذه المرارة على معاملته لغيره ويرثى لنفسه ويجعل جل تفكيره مركزاً

حولها بفضل مصلحته حتى إذا ما تعارضت مع صالح الجماعة و يحارب من حوله بطريقة شعورية أو لاشعورية ظناً منه أنهم يهددون مركزاً يحرص عليه رغم اقتناعه بأنه ليس أفضل من يصلح له ، أو أنهم يحاولون حرمانه من متعة أو مغنم من مغانم الدنيا .

حقاً إن الأنانية أو التفكير المركز حول الذات من أنواع السلوك الطبيعى فى مراحل سنى حياة الطفل الأولى ، أما إذا نما الفرد وصار يافعاً ولا زال محتفظاً بهذا النوع من السلوك الأنانى كان سلوكه دليلاً على ما يعانيه من شعور بالنقص والضعة .

٣ — كذلك من أعراض مركب النقص عدم الاستقرار «والعصبية» nervousness وسهولة الإثارة . فيكثر المرء من الحركة و يغالى فى النشاط وكثيراً ما يبدو قلقاً غير مستقر متشائماً حذراً يتوقع الخطر فى مواقف ليس فيها خطر حقيقى ، و يشعر شعوراً خفياً لاشعورياً بالخطر والوحدة من أشياء ومواقف لا تبعث أى خوف فى نفس الشخص السوى المتكيف الوسط .

٤ — من أعراض مركب النقص أيضاً الاكتئاب وعدم المبالاة بالعالم المحيط بالفرد . والملل والتردد المزمن ، والصداع والميجرين ، وسوء الهضم العصبى وخفقان القلب والتعب دون سبب وفقدان الشهية وغيرها من الأعراض التى كثيراً ما تصاحب الخوف والقلق .

٥ — كذلك نلاحظ أن الشخص المصاب بالشعور بالنقص يميل إلى التعويض عما يشعر به من نقص بالتعاظم والتعالى ومحاولة لفت النظر إلى مقدرته وقدرته ، فيدعى لنفسه أعمالا وأشياء لم يقم بها ، ويعتدى على حقوق الغير وهذا ما ينفر من حوله منه ويزيد فى ابتعاد الناس عنه .

٦ — كذلك كثيرا ما يكون المصاب بالشعور بالنقص حقوداً معتدياً لأتفه الأسباب ويمارس نزعته العدوانية بالطريقة التى تتفق مع طبيعته ، فقد يلجأ إلى الاعتداء بطريقة مكشوفة بالقول أو الفعل ، وقد يلجأ إليه بطريقة مقنعة بالايقاع بين الناس أو إيذائهم من وراء ظهورهم كلما استطاع إلى ذلك سبيلا ، أو بالمداعبة الثقيلة « والتندر عليهم » وإثارة ضحك الناس عليهم وهكذا .

٧ — وأخيراً قد يلجأ الفرد بعد أن ضعفت ثقته بنفسه وشعر بعجزه عن مقابلة ما يعترضه من مواقف إلى الخيال وأحلام اليقظة حتى يعوض فى هذه الاحلام عن نواحى النقص التى يشعر بها وينفس عن بعض ما يشعر به من توتر .

أسباب الشعور بالنقص

إن أسباب الشعور بالنقص متعددة منها الأسباب التى ترجع إلى عيوب جسمانية ومنها أسباب متعلقة بقدرات الفرد واستعداداته ومنها ما هو

متسبب عما مر به من ظروف عائلية وبيئية ويمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلي :—

١ — العيوب الجسمانية :

(ا) معظم حالات الشعور بالنقص ترجع فى الغالب إلى العيوب الجسمانية لأنها عيوب ظاهرة تلفت نظر المحيطين بالفرد وتثير منهم تعقيبات وإشارات هى السبب المباشر فى الشعور بالنقص، فإذ ولد طفل غير جميل فى أسرة يتمتع أفرادها بقسط وافر من الجمال ، كثر التعقيب على ذلك أمام الصغير غير المحظوظ وترتب على ذلك شعوره بالنقص والتعاسة وتترتب درجة مايشعر به من نقص وضعف الثقة بالنفس على طريقة معاملة اسرته له ، فإذا أكثرت من مقارنته بالاخوة المحظوظين ومن تعييره بنقصه كان لهذا النوع من المعاملة اسوأ الأثر على صحته النفسية وافقدته ثقته بنفسه وكانت سببا فى صعوبة تكيفه، والحق إن الحياة فى المجتمع الحديث تجعل مركز الطفل أو الشخص الذى يعانى عيبا جسمانيا لا يحسد عليه ، لأن هذا النقص سيعوقه عن التنافس اللازم للبقاء فى هذا المجتمع مهما كانت البيئة التى نشأ فيها مثالية وعملت على التغاضى عن النقص وحاولت مساعدته فى التعويض عنه تعويضاً سليما ، ذلك لأن الطفل الذى يولد ضعيف النظر أو الذى مرض مرضا طويلا ادى إلى ضعف سمعه لاشك فرد معاق إذ

سيكون سببا فى زياده ما يبذل من جهد وعمل حتى يصل إلى ما وصل إليه الطفل السليم العادى بمجهود أقل ، وكذلك الحال فى حالة العرج أو أى عيب من العيوب الجسمانية الأخرى ، مثل نقص عضو من أعضاء الجسم أو تشويهه .

٢ — الشول left-handedness

من العيوب الجسمانية التى تسبب الشعور بالنقص الشَوَلْ ، ومعناه سيادة النصف الايمن من الجهاز العصبى (الدماغ) على النصف الأيسر ، وذلك على عكس المعروف من سيادة النصف الأيسر على الأيمن ، هـذا العامل الفسيولوجى يؤدى إلى استخـدام الفرد لليـد اليسرى بدل اليمنى فى الأعمال التى تستخدم فيها الغالبية اليد اليمنى ، والحق إن الأشول رغم تدريبه على أن يقضى بيده اليسرى كل أعمال اليد اليمنى إلا أنه يفقد امتيازات كثيرة لأن العالم معد ومكيف لسيادة اليد اليمنى . ونضرب مثلا لذلك قيادة السيارات والأجهزة الميكانيكية واشارات المرور وغيرها من الأعمال الكثيرة التى نقوم بها فى حياتنا اليومية العادية .

هذا ويربط بعض علماء النفس بين الشول وبين التأخر الدراسى ومنهم ولف Wolf مثلا الذى يرى أن السبب فى أن نسبة كبيرة من الشول يعانون تأخرا دراسيا فى اللغة هو أن الأشول يجد الحركة من اليمين إلى

اليسار اسهل له من الحركة من اليسار لليمين، ولما كانت القراءة والكتابة فى اللغات الأوربية من اليسار لليمين لذلك كان أميل إلى التعثر فى القراءة واستبدال الحرف الأخير من الكلمة بالحرف الأول .

على إنى أرى أن رأى ولف wolf هذا فى غير محله وذلك لأن بعض الأمم و بعض اللغات تكتب وتقرأ من اليمين لليسار و إذا كان هـذا الرأى صحيحا لتعثر هؤلاء فى القراءة والكتابة إذا كانوا عاديين تسود ايديهم اليمنى على اليسرى .

وعلى كل حال فقد عملت ابحاث متعددة عن الشول وعلاقته بالتحصيل المدرسى فى اللغة ونتائجها غير متسقة ولا زلنا فى حاجة إلى مزيد من المعرفة بأثر الشول على التحصيل المدرسى .

ظروف الطفل فى الأسرة :

كثيراً ما تكون ظروف الطفل فى الأسرة من الأسباب التى تبعث فيه الشعور بالضعة والنقص وقد سبق أن ذكرنا أن نوع الأمومة والأبوة التى يحظى بها الصغير من والديه مسئول إلى حد كبير على هذة النتيجة المؤلمة المؤسفة ونحن لا ندعى أن الأمهات والآباء تعمل عن قصد و إرادة إلى الإساءة إلى أبنائهم على هذه الصورة و إنما نقول انه حيث يشعر الصغير بأنه طفل غير مرغوب فيه ، أو بأن والديه يفضلون عليه أحد إخوته لأى

سبب من الأسباب ، وحيث تكثر مقارنته بأخ أو أخت متوفقة عليه فى الاستعداد العقلى أوالتحصيل المدرسى ، يزداد احتمال شعور الصغير بالنقص وضعف الثقة بالنفس .

كذلك قد يكون مركز الطفل فى الأسرة سبباً فى هذا الشعور كما يحدث مثلا حين يكون الطفل أصغر أخوته ، الأمر الذى جعله يحظى بقدر كبير من التدليل وجعل والديه يجيبونه إلى كل ما يريد و يعاملونه كصغير قليل الحيلة لدرجة جعلته يعتقد أنه فعلا غير قادر على أن يقوم بما يقوم به أخوته ببساطة وأذكر فى هذه المناسبة طفلا فى السابعة كان له أخت تكبره مباشرة وأخ أكبر من الاثنين وكان الصغير يعامل على أنه صغير باستمرار لدرجة جعلته يشعر بالعجز فكلما طلبت أمه منه طلباً كان رده عليها « أنا لا أعرف كيف أقوم به ولكن أختى فلانة أو أخى فلاناً يستطيعون عمله » وهكذا يشعر الطفل بعجزه وقلة حيلته لدرجة جعلت أمه تأتى به إلى العيادة النفسية لاستشارتى فى أمره

هذا وقد يشعر الطفل الوحيد أيضا بضعف ثقته فى نفسه لأن طبيعة مركزه فى أسرته تجعلهم يجيبون له كل طلباته دون أن تترك له الفرصة لكى يعمل بنفسه ويتبين قدرته فيزداد ثقة فى نفسه

٣ — الحياة الجنسية :

لقد ثبت من الدراسة النفسية التى عملت للمصابين بالشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس أن الحياة الجنسية تلعب دوراً هاما فى تربية هذا الشعور الهدام للصحة النفسية فكثير من الرجال شبابا كانوا أم كهولا فقدوا ثقتهم بأنفسهم واعتراهم الشعور بالنقص بسبب ما يشعرون به من خوف وقلق يتعلق بحياتهم الجنسية وعلاقاتهم بالجنس الآخر ، وقد يشعر الفرد بالنقص فى هذه الناحية حتى قبل أن يمارس الاختلاط الجنسى بالفعل ويرجع السبب فى ذلك إلى أن المجتمع خصوصاً فى المجتمعات الشرقية جعل الرجل فى المرتبة الأولى بالنسبة للمرأة وجعل منزلته فى البيت العربى منزلة لا تدانيها منزلة أى فرد آخر من أفراد الأسرة ، على أنه لكى يحظى بهذه المنزلة لا بد أن يتصف بصفات متعددة يعتبرها المجتمع مقياساً للرجولة « وتلعب القدرة الجنسية » دوراً كبيراً بين هذه الصفات، ولهذا كان من الطبيعى أن يشعر الرجل بالقلق خوفا من اخفاقه فى اثبات « رجولته » وكان من الطبيعى أن تصبح الحياة الجنسية من الأسباب القوية لتربية الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس .

٤ — العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤدية للشعور بالنقص :

كثيراً ما تلعب العوامل الاجتماعية دوراً ملحوظاً فى تنمية الشعور

بالنقص عند بعض أفراد المجتمع غير المحظوظين . فحيث توجد أقليات مضطهدة يكثر الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس خصوصاً إذا لم تشعر هذه الأقليات بالاضطهاد وتقف منه موقفاً عدوانياً ، وهذا ما يشاهد عند كثير من زنوج أمريكا حيث ربت أجيال البيض الطغاة هذا الشعور عند كثير منهم بسبب مالاقوه على أيديهم من ظلم واضطهاد . وهذا مايشاهد أيضاً عند كثير من أفراد الأمم التى وقعت فى فترات طويلة من حياتها تحت نير الاستعمار وذل الاستعمار ولذلك نجد الكثير من أفراد هذه المجتمعات يخافون الاقدام ويخافون الفشل ولا يثقون فى أنفسهم فتزيدهم ضعف الثقة ضعفاً وإذلالا ، وتعرف الأمم المستعمرة هـــذا وتستغله لصالحها .

كذلك قد تؤدى بعض العادات والتقاليد أحيانا إلى الشعور بالنقص كما يحدث فى المجتمعات الشرقية التى استبعدت المرأة من ميادين الخدمة الاجتماعية اوحكمت عليها بأن تحرم من العلم والمعرفة . فى هذه المجتمعات ترى المرأة منزوية مترددة قليلة الثقة فى نفسها، على أن معظم الأمم العربية قد نبذت هذا الاتجاه وأتاحت للمرأة معظم حقوق الرجال فى التعليم وفى ميادين الخدمة الاجتماعية والسياسية .

وأخيرا قد يكون ضعف المستوى الاقتصادى من مسببات الشعور

بالنقص فالحرمان الإقتصادى وما يتبعه من استغلال أصحاب رؤوس الأموال للعمال وأبنائهم ومن نقص الإمكانيات الضرورية لإكمال الفرد لتعليمه وللعيش على مستوى كريم يجعل الطبقات الدنيا تشعر بنقص كبير إزاء هذه الطبقات المحظوظة .

٥ — ظروف الحياة المدرسية :

كذلك قد يكون التأخر الدراسى من الدواعى أو المسببات القوية للشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس عند بعض التلاميذ ، ولما كنا نعلم أن التأخر الدراسى قد يحدث لتلاميذ على درجة كبيرة من الاستعداد العقلى ويتمتعون بأمومة وابوة رشيدة ، كانت الظروف المدرسية مسئولة إلى حد كبير عن هذا التأخر وما يتبعه من شعور بالنقص ، فقد يخفق التلاميذ فى التحصيل المدرسى لأن المناهج لم تراع ميولهم وطبيعة نموهم ولذلك كانت على درجة كبيرة من الصعوبة اشعرتهم بمرارة الفشل مرات ومرات ، وقد تقل ثقة التلميذ فى نفسه إذا لجأ المعلم إلى طرق التقويم التى تشعر المتخلف بالاحباط والنقص ، كأن يقسم الفصل الواحد إلى مجموعتين مثلا يسمى إحداهما مجموعة المجتهدين ويسمى المجموعة الثانية بمجموعة المتأخرين « والأغبياء » أو إذا دأب على تعيير المتخلف بما ينقصه وعلى مقارنته بغيره من زملائه المجتهدين كما يفعل كثير من المعلمين .

هذه هى فى نظرى أهم العوامل التى تساعد على الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس ومنها نرى أنها متعددة النواحى وأن بعضها لا مفر منه ، لهذا كانت مسئولية القائمين بأمر الصحة النفسية فى المجتمع كبيرة حتى يمكن مساعدة من يعانى هذا الشعور المؤلم على التخلص منه أو الأقل على تخفيف حدته ولتحقيق هذا الهدف أمامنا طريقتان .

(ا) الطريقة الوقائية .

(ب) الطريقة العلاجية .

الطريقة الوقائية :

تتلخص هذه الطريقة فى توجيه الآباء والبالغين المحيطين بالطفل فى الأسرة إلى الحرص على تشجيع الصغير على الثقة فى نفسه ، والضغط على النواحى التى يمتاز فيها عن غيره حتى تشغله ملاحظة هــذه النواحى عن التفــكير فى نواحى ضعفه ، فــكلنا يعلم أن كل فرد مهما كانت استعداداته محدودة يملك ناحية تمكنه من أن يفخر بها إذا استطاع أن يجد البيئة والإمكانيات التى تساعده على ابرازها .

كذلك على الآباء أن يتجنبوا مقارنة أحد ابنائهم بآخر أكثر حظا منه خلقا أو استعدادا ، أو محاباة أحدهم لأنه يملك استعدادات حرم

ابن آخر منها فليس أخطر على الاعتداد بالذات وليس أدعى إلى أضعاف الثقة بالنفس من ملاحظة الصغير بهذا التمييز.

كذلك عليهم أن يوفروا لأبنائهم قدرا رشيدا من المحبة والرعاية مع الابتعاد عن التفريط الذى يشعر الصغير بأنه غير مرغوب فيه وعن الأفراط فى الحماية الذى يجنبه القيام بكثير من الأعمال التى تضاعف منه قدرته وتكسبه ثقة فى نفسه وشعورا بأهمية مايمكن أن يؤديه من أعمال وهذا دون شك صمام الأمن ضد الشعور بالنقص .

أما فى المدرسة فإن المعلم يقوم بدور كبير حقا فى تربية الثقة بالنفس والشعور بالمسئولية ، إذا راعى أن تكون علاقاته مع تلاميذه مبنية على المساواة وعدم التحيز و إذا عمل على مساعدة المتخلف بصبر وأناة ، وعلى تشجيعه فى النواحى التى أظهر فيها تقدما بدلا من تعييره بما عنده من نقص .

كذلك يقوم بدور كبير فى تجنيب تلاميذه التأخر الدراسى وما يتبعه من شعور بالنقص إذا حاول أن ينزل إلى مستواهم وأن يعتمد على ميولهم الحقيقية ودوافعهم الفعالة فى تحقيق التحصيل على مستوى سليم .

الطريقة العلاجية :

تتلخص هذه الطريقة فى محاولة علاج ما يشعر به الفرد من نقص ويمكن إجمالها فيما يلى :

١ — من الوسائل الفعالة فى علاج الشعور بالنقص واستعادة الثقة فى النفس تدريب العضو المعتل أو القدرة العاجزة . هذا التدريب كثيراً ما تزيد فى قدرة العضو وقوته لدرجة قد تفوق فى بعض الأحيان قوة الأعضاء السوية أو العادية النمو ، وهكذا تتحقق سعادة الفرد و يتخلص من شعوره بالنقص.

فلو فرض مثلا أن كان الطفل يعانى من ضعف البصر فإنه فى العادة يعمل على تمرين نفسه على طرق أفضل للابصار قبل أن يعرض نفسه على الطبيب ، وقد يشعر الفرد بنقص فى قدرته على تركيز الانتباه فيمرن نفسه على هذا التركيز ويصبح بعد التدريب أقدر من الأشخاص العاديين على تركيز الانتباه .

كذلك قد يعانى طفل من أحد عيوب النطق ويشعر بتعاسة ونقص شديد من جراء ذلك . فإذا ما ذهب إلى عيادة نفسية وتمرن على النطق الصحيح وعلى الضغط على مخارج الحروف فإنه فى كثير من الأحيان يصبح أفضل من الأطفال الذين لم يشكوا من هذا النقص ، فتدريب العضو المعتل

أو القدرة العاجزة من العوامل الفعالة فى إعادتها إلى حالتها الطبيعية أو إلى حالة قريبة جداً من الطبيعية ويتخلص صاحبها من شعوره بالنقص .

٢ — كذلك يمكن علاج النقص باستخدام عضو من الأعضاء السليمة للتعويض عن النقص فى العضو أو القدرة المعتلة أو الناقصة . كما يحدث حين يستخدم الضرير الصور الذهنية المختلفة بدل حاسة البصر إذا كانت أصابته فى عينيه لم تحدث منذ ولادته . هذا وقد ينبغ الفرد رغم هذا النقص وخير مثل لذلك أن هومر كاتب القصتين اليونانيتين الخالدتين الالياذة والأوديسا كان ضريراً ، كما أن كثيرا من الفلاسفة والشعراء والكتاب العالميين كانوا يعانون من ضعف البصر وعوضهم الخيال عما يفتقدون .

هذا وكثيراً ما تستخدم حاسة السمع لتعوض عن عدم القدرة على الابصار كما تستخدم القدرة على إدراك العلاقات المكانية وحاسة الابصار فى التعويض عن الشول ويجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام أن هذا النقص لم يعق صاحبه عن النبوغ فكثير من المثالين العالميين كانوا يعانون من الشول ونضرب مثلا لذلك المثال العالمى الذى ظهر فى عصر النهضة الأوربية ليوناردو دافينشى « Leonardo da Vinci » .

٣ — من أفضل الطرق العلاجية لتشجيع الفرد على التخلص من الشعور بالنقص هى توجيهه إلى احتراف الأعمال التى يعتبر فيها النقص الذى

يشعر به الفرد ميزة من المميزات التي يتطلبها العمل ، فالشخص الذى يعانى من ضعف السمع لدرجة أشعرته بالنقص وأضعفت ثقته بنفسه يمكن أن يتخلص من هذا النقص ويسترد ثقته بنفسه إذا احترف عملا من الأعمال التي لا يؤثر فيها ضعف السمع بل على العكس يساعد ضعف السمع على التقليل من تأثر الفرد بالأصوات المشتتة للانتباه ، فالاشتغال بفن الرسم أو النحت أو فى التأليف الأدبى يتطلب الهدوء وتعتبر الأصوات عوامل مشتتة يحاول المؤلف أن يبتعد عنها ، ومعنى ذلك ان الفنان ضعيف السمع يجد فى هذا الضعف نعمة لا نقمة .

٤ — من الطرق الفعالة فى علاج الشعور بالنقص و إعادة الثقة إلى النفس هو أن نعلم الفرد طريقة تعمل فيها شخصيته كوحدة فى التعويض عن هذا النقص بحيث نجعله يتجه إلى نواحى الخدمة الاجتماعية التي ترضى الفرد وتسعده وتشعره بأهمية وقيمة الخدمات التي يمكن أن يؤديها للمجتمع فيزول بذلك شعوره بالنقص مهما كان مصدره ، وأفضل مثل نسوقه فى هذا المقام المثل الخالد الذى قام به بريل . وكان ضريرا فقد اخترع طريقة الكتابة البارزة التي يستخدمها العميان والتي فتحت أمامهم باب السعادة والنور والأمل ، وكذلك مثل الطبيب الذى اكتشف ميكروب السل بعد أن مرض به ، والأمثلة على ذلك متعددة فى مختلف الميادين .

الفصل العشرون

التعود على استخدام وعاء الاخراج والتبول اللإرادى

يعتبر تعويد الصغير على استخدام وعاء الاخراج للتبول بدل الاخراج اللاإرادى من أبرز مشكلات الأطفال فى السنتين الأوليين من عمرهم ، كما أنها من أكثر ما يكون تأثيراً على علاقة الصغير بوالدته أو من يقوم مقامها فى هذا التدريب ، وتبدو هذه المشكلة عند بعض الأسر من الأسباب الرئيسية لتوتر علاقة الصغير بوالديه، والسبب فى ذلك أن تعلم عادات النظافة والتحكم فى عضلات المثانة والمستقيم ليست من الأمور السهلة الميسورة فى كل الأحوال . كما أن الآباء كثيراً ما يتطلبون منه أن يتحكم فى هذه العضلات قبل أن يكون قادراً على ذلك بيولوجياً .

وإذا ما درست الظروف التى يتم فيها التدريب فإننا نجد النجاح فيه يتطلب مجهوداً يختلف عن المجهود الذى تقوم به الأم أثناء التغذية ، إذ أن الأم فى التغذية تقوم لابنها بخدمات كثيرة ، بينما يقوم هو بدور بسيط ، دور المتقبل لا المعطى ، فهى تعد الغذاء وتقدمه له ، وعليه أن يتناوله وهو أمر سار بالنسبة إليه ، أما التمرين على استخدام الوعاء فيتطلب منه مجهوداً

وتعاوناً أكبر ، ثم إنه مجهد له ولا يتبعه إشباع حاجة تدعمه وتحببه فيه ، بل هو لا يعدو عادة عليه أن يتعلمها ، وكثيراً ما يشعر أثناء هذا التعلم بالإحباط الذى يكون بسيطا إذا عولج التدريب بحكمة ، وقاسياً إذا كانت الظروف غير مواتية .

ومما يزيد فى صعوبه التمرين على استخدام الوعاء أنه يعنى التحكم الإرادى فى فعل منعكس لا إرادى . إذ المعروف أنه إذا ما امتلأت المثانة شعر الصغير بالتوتر الذى لا يزول إلا بعملية التفريغ بمعنى أنه يوجد رباط طبيعى بين المنبه (امتلاء المثانة) و بين الاستجابة (التفريغ اللاإرادى) ولابد من تغيير هذا الرباط بين الشعور بامتلاء المثانة وتفريغها حتى يتفق سلوك الصغير مع متطلبات البالغين المحيطين به ، ويتم هذا التغيير كأى عملية تعلم بطريقة تدريجية وتبدأ بالعمل على تنبيه والديه إلى مساعدته وتنتهى بتعلمه كيف يذهب هو إلى دورة المياه .

هذا وقد دلت الدراسة الأنترو بولوجية لكثير من القبائل والشعوب على أن هناك اختلافاً كبيراً فى طريقة التدريب ونوعه ، فبعض الشعوب متساهلة إلى درجة كبيرة فى هذا التدريب فتسمح الأم لصغيرها بأن يفرغ المثانة كما يريد فى السنة الأولى دون أى تدريب ، بينما نجد على العكس من ذلك أهالى تنالا Tanala فى مدغشقر شديدين للغاية فى تعويد صغارهم

على عادات النظافة فى سن مبكرة جداً حيث يبدأون التدريب فى سن شهرين أو ثلاثة و يتوقعون من الصغير السيطرة تماماً على هذه العضلات فى سن ستة أشهر ، و يعاقب بشدة إذا ما تبرز دون تحكم و إهمال الإرادة بعد هذا السن .

كذلك تختلف طريقة التدريب ووقته باختلاف المستوى الاجتماعى للأسرة وقد وجد بصفة عامة أن الطبقات العليا والوسطى أحرص على تدريب أبنائهم فى سن أكثر تبكيراً .

متى يجب أن يكون التدريب .

لقد اتفق علماء نفس النمو بصفة عامة على أن هذا التدريب يجب الا يبدأ قبل أن يكون الطفل مستعدا من الناحية البولوجية للتحكم فى عضلات المثانة ، كما يجب أن يكون قادرا على الجلوس جيدا وقادرا على أن يتفاهم مع والدته بطريقة ما ، وقد ثبت من دراسة تعلم هذه العادة أنه من المستحسن الا نبدأ فى عملية التدريب قبل سن ١٨ شهرا ، على أنه ليس معنى ذلك أنه لا يحدث تدريب اطلاقا قبل هذا السن و إنما كثيرا ما يؤدى التبكير إلى عواقب غير حميدة قد يكون ضمنها توتر علاقة الصغير بوالدته ومنها اتعاب الطفل واثقال كاهله دون مبرر ولذلك يقول موسن[(١)] Mussen ، كونجر Conger

(1) Mussen & Conger (1956)"Child development and personality".p195

« إذا ما اثقل كاهل الطفل بعدد من الحركات المعقدة التى يجب أن تعمل فى تعاون واتساق، مثل تلك التى تتطلبها فى التحكم اللارادى فى عضلات الاخراج قبل أن تنمو المعدات العصبية والعضلية اللازمة لذلك فإننا نضع عبئا ثقيلا على الصغير كان الأفضل أن نجنبه اياه » .

كيفية تدريب الصغير :

لكى يدرب الصغير على التحكم فى عضلات المثانة هناك خطوات لا بد أن يمر بها حتى يتم له تعلم العادة المطلوبة ، فنبدأ مثلا بأن نعوده الا يفرغ المثانة كلما أراد وفى أى مكان وأن نعلمه أن هذا التفريغ الاعتباطى لا توافق عليه أمه وقد ثبت بالدراسة أن الصغير يفهم هذه التعليمات قبل أن ينفذها وهذا هو السبب فيما يبدو عليه من قلق قبيل عملية التفريغ .

هذا ولا بد لتدعيم العادة المرغوب فيها أن تعمل الأم أو من يقوم مقامها على اثابته إذا ما استخدم الوعاء ، فإذا تم له ذلك باستمرار تكوّن رباط شرطى بين المنبهات الداخلية (التوتر الحادث فى المثانه والمستقيم) وبين المنبه الخارجى (الوعاء ودورة المياه) والاستجابات الخاصة باستخدام الوعاء .

كذلك لوحظ أنه كلما كانت العلاقة بين الأم وصغيرها طيبة وكان

متعلقاً بها كان لرضائها عنه وشعوره بهذا الرضا أثر مدعم للاستجابة المرغوب فيها .

وهنا نتساءل ماذا يحدث إذا بدأ التدريب قبل الأوان أو إذا اتسم بالشدة واستخدام العقوبة .

إن دراسة عملية التعلم والقوانين التى تتحكم فيه تبين لنا أن التعلم الناجح يعتمد على استعداد المتعلم من جهة وعلى الطريقة التى تعلم بها من جهة أخرى فإذا بدأت عملية التدريب قبل أن يكون الصغير مستعداً لذلك أى قبل أن يكون قادراً من الناحية البيولوجية على التحكم فى عضلات المستقيم والمثانة كان من الطبيعى ألا يدعم السلوك، بل على العكس من ذلك قد يشعر بالاحباط والضيق من الضغط المفروض عليه ، ولهذا يكون التقدم فى التعلم ضعيفاً ولا يتفق مع الوقت والمجهود الذى يبذل فيه، فإذا صاحبت العقوبة هذا المجهود كان لذلك نتائج لا تحمد عقباها بالنسبة للتدريب وبالنسبه لنمو شخصية الصغير مستقبلا . فالشعور بالخوف والألم أثناء التدريب قد يعمم إلى وعاء الاخراج أو دورة المياه أو إلى عملية الاخراج نفسها ، ولهذا يلجأ بعض الأطفال إلى منع الاخراج أطول مدة ممكنة ، فإذا حدث هذا زاد توتر المثانة بسبب امتلائها ، وزاد احتمال عدم القدرة على السيطرة ، بل على العكس تصبح عملية التفريغ فى أى وقت ودون

سيطرة مدعمة لأنها ستؤدى إلى زوال ما يشعر به من ضيق من الامتلاء بالفضلات ، وهذا بالطبع يجعل تعويده على النظافة من الأمور الصعبة كما يجعل التقدم فى التعلم بطيئاً .

علاوة على ذلك فإن العقوبة والخوف والقلق الذى يصاحب التدريب غير السليم على عادات الاخراج المتفق عليها من المجتمع قد تعمم إلى الأم التى تحاول فرض التدريب عليه ، فيصبح رؤيتها باعثاً من بواعث قلقة وخوفه وقد يتجنب الطفل التعامل معها ، وقد تؤثر علاقاته بأمه أو من يحل محلها أثناء التدريب على اتجاهاته فى مستقبل حياته .

ويذكر كل من ميلر Miller ، ودلارد Dollard أن الخجل الزائد والانسياق قد ترجع إلى استخدام الشدة الزائدة مع الفرد وهو لم يزل فى المهد التحكم فى عضلات الإخراج ؛ فإذا ما كثر عقابه بعد استجابات الإخراج التلقائية فإنه يتعلم الا يقوم بأى استجابة إلا إذا كان متأكداً من أنها صحيحة وتتفق مع ما يتوقعه والداه والمجتمع منه .

ويذكر كل من كونجر Conger ، موسن Mussen أنه ينشأ من استخدام العقوبة فى التمرين على التحكم فى الاخراج أحد نتيجتين : ــ الأولى متعلقة

(1) Miller, N. E. & Dollard J (1950) "Personality and psychotherapy New York.

(2) Mussen & Conger (1956) Child development and personality p 198.

باتجاه الفرد وفكرته عن نفسه فقد يخفق الصغير فى التفرقة بين اتجاه والديه نحوه وبين اتجاههم نحو طريقته فى الاخراج، فيخلط بين عدم رضائهما عن طريقته و بينه هو نفسه فتتوتر علاقته بهما، ولما كان اتجاه الوالدين يلعب دورا كبيرا فى اتجاهه نحو نفسه فقد ينظر إلى نفسه كطفل قذر لا يستحق العناية.

النتيجة الثانية لاستخدام العقوبة فى التمرين على التبول هى أنه قد يترتب على استخدام العقوبة فى تدريب الصغير على عادات التبول المرغوب فيها التأثير على وظائف الفرد الجنسية ، ففى هذا السن قد يخفق الطفل فى التمييز بوضوح بين عملية الاخراج وأعضاء الاخراج ، فالخوف والقلق الذى يصاحب الاخراج وينشأ عن التجاور الجسمانى بين عضو التناسل والمستقيم والمسالك البولية تعميم الصغير للخوف والقلق المتعلق بالتحكم فى عضلات الاخراج ، إلى أعضاء التناسل وأنواع النشاط الجنسى ، أو بعبارة أخرى « إن بعض (١) الانفعالات التى يمارسها الصغير فى هذه الفترة قد تعم وتشمل حياته الجنسية المستقبلة لأن أعضاء التناسل هى نفس أعضاء الاخراج » .

هذا وقد عملت عدة أبحاث عن أثر طريقة التدريب على الإخراج

---

(1) English O. S, & Pearson .G H. J. (1945) "Emotional problems of living " New York p. 46.

واستخدام « التواليت » وعلى اختبار صحة ما جاء به المحللون النفسيون الذين بلغ اهتمامهم بالسنتين الأوليين من حياة الصغير إلى أن سموا السنة الأولى بالمرحلة الفمية حيث يتلذذ الصغير من مص أصابعه ومن المص عموماً ثم السنة الثانية وتتركز فى عملية الإخراج وما يترتب على الإخراج من عادات قد يثبت عندها الصغير ، كما يحدث فى حالة التدريب القاسى المبنى على العقوبة حيث يبدأ الطفل فى معاندة والدته وعدم الإقبال على الإخراج كلما أرادت الأم ذلك مستخدمة وعاء الإخراج واذكر فى هذه المناسبة أطفالا كانوا يقاومون أمهاتهم عن طريق الإمساك عن الإخراج لأيام متتالية .

ويرى كثير من المحللين النفسيين أن التدريب السيء أو التدريب المبكر قد يكون سبباً فى اتصاف الصغير فى مستقبل حياته بصفات معينة اسموها « anal character » وهى العناد والحرص والميل إلى النظام لدرجة تجعله مقيتاً، وقد أثبت Sears [1] سيرز فى بحث له أن هذه الصفات الثلاث السابق الإشارة إليها مرتبطة بعضها ببعض لدرجة يمكن اتخاذها معيارا للتمييز بين مختلف الأشخاص .

من كل ذلك نرى أن عملية تدريب الصغير على التحكم فى عضلات الإخراج ليست من الأمور اليسيرة وهى تحتاج من الأم إلى حكمة كما تحتاج

(1) Sears R, R, (1936) "Experimental studies of Projection. I. Attribution of traits J. Soc. Psychol. Vol VII 151-163.

إلى صبر وتسامح وقدرة على التحكم فى الأعصاب حتى لا تلجأ إلى العقوبة لأنها إن فعلت عطلت عملية التعلم وربما أساءت إليه دون أن تدرى. كما أن عليها أن تبدأ تدريبه فى الوقت المناسب فلا تبكر فى ذلك بحيث تجعل عملية التدريب مكروهة وباعثة للقلق والإحباط ، ولا تسرف فى التأخير فتعطل تدريبه .

على أننا نلاحظ أنه فى بعض الأحيان قد يستمر الصغير فى التبول اللارادى مهما كانت الأم رشيدة وحكيمة فى مراعاة حاجة الطفل ومرحلة نموه ، فما هى الأسباب التى قد تؤدى إلى ذلك ؟ للإجابة عن هذا السؤال سنتعرض لمشكلة أخرى مرتبطة بالمشكلة السابقة هى مشكلة التبول اللارادى فى سن متأخر .

التبول اللارادى المتأخر

قد يستمر بعض الأطفال فى التبول اللارادى أثناء النوم أو اليقظة حتى سن الخامسة وفى بعض الحالات الثامنة أو التاسعة وربما إلى ما بعد ذلك الأمر الذى يقلق الوالدين كثيراً ويؤثر فى صحة الصغير النفسية ويشعره بالخجل والنقص .

وبدراسة كثير من حالات التبول اللارادى المتأخر فى العيادات النفسية اتضح أن السبب فى ذلك أحد اثنين :

الأول : قد يكون سبب التبول هو مرض الصغير أو ضعف عضلات المثانة، كما يحدث حين يعانى الصغير التهابا فى مجرى البول من النوع المعروف عند الذكور باسم « Urethral Inflamation » وعند الإناث باسم « Vulvo Vaginitis » أو كما يحدث فى حالة الانهاك العصبي العام وفقر الدم ونقص الفيتامينات أو التهاب اللوزتين والأمراض المتوطنة إذ يؤدى الضعف العام الناتج منها إلى ضعف السيطرة على العضلات وقد يحدث التبول لمجرد شرب الصغير لكثير من المياه قبيل النوم أو لأنه قد تعرض للبرد، فى هذه الحالات يزول التبول اللارادى أثناء الليل إذا ما عولجت الأسباب الفسيولوجية التى أدت إليه .

السبب الثانى : فى التبول اللارادى هى العوامل النفسية التى هددت شعور الطفل بالأمن وقادته إلى الخوف والقلق . ويرى بعض[1] علماء النفس أن أهم عنصر فى التوتر الذى يعانيه الطفل فى هذه الحالة هو الخوف سواء أكان قائما بذاته أو داخلا فى تكوين انفعالات مركبة ، فقد يكون الخوف قائما بذاته كما فى الخوف من الظلام أو من بعض الحيوانات أو من تهديد البالغين المحيطين به بالعقوبة أو غير ذلك .

وقد تكون الغيرة هى السبب فى التبول اللارادى وفقد الطفل السيطرة على عضلات المثانة .

(١) عبد العزيز القوصى (١٩٥٢) أسس الصحة النفسية ص ٢٨٢

هذا ويشعر الصغير بالغيرة فى محيط أسرته لأسباب متعددة ، فقد يشعر بالغيرة من مولود جديد زعزع شعوره بالأمن خوفا من انصراف والديه عن محبته ، وقد يشعر بالغيرة من أحد الأبوين على الطرف الآخر ويجد فيه منافسا له على حبه واجتذاب عطفه وعنايته ، كما يحدث فى حالة عقدة أوديب السابق الإشارة إليها حيث يتعلق الولد بأمه تعلقا شديدا ويجد فى أبيه منافسا له على حبها ، أو كما يحدث فى عقدة الكترا حين تتعلق الفتاة الصغيرة بوالدها الخ ، كذلك قد يغار الطفل من أخ له أصغر أو أكبر حباه الله مواهب لا يتصف هو بها ، ويزداد شعوره بالغيرة إذا كثرت إشارة الوالدين وأصدقاء الأسرة إلى هذه المواهب الأمر الذى يؤدى إلى شعوره بالنقص وضعف الثقة بالنفس .

كذلك قد يرجع التبول إلى أسباب مدرسية كما يحدث حين يخاف الصغير من المجتمع المدرسى عند بداية انضمامه إليه ، أو كما يحدث حين يحترق قلبه غيرة من زميل له متفوق عليه .

هذا وقد يكون سبب التبول اللارادى معاملة الوالدين للصغير ونوع النظام السائد فى الأسرة ومدى استخدامها للعقوبة أو التهديد بها أثناء تدريب الصغير على آداب المجتمع وعاداته ، ومدى ما يتطلبه الآباء من الأبناء .

هذا ويرى بعض علماء النفس أن شدة حماية الصغير والافراط فى محبته وحمايته وإجابة كل طلباته قد تؤدى إلى عدم قدرته على التحكم فى عضلات المثانة حتى فى سن متأخر عن السن الذى يستطيع فيه الطفل العادى التحكم فى هذه العضلات .

من ذلك نرى أن الظروف المحيطة بالصغير فى المدرسة والأسرة بل والمجتمع قد تؤدى إلى عملية التبول اللارادى رغم سلامة صحته الجسمانية . هذا وكثيرا ما يكون التبول اللارادى مصحوباً ببعض المظاهر السلوكية غير السوية الأخرى مثل الخوف وشدة الحساسية والقلق والشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس ، كما تكون مصاحبة أحيانا لحالات هستيرية .

لهذا كان الأفضل أن تعرض حالات التبول اللارادى فى سن متأخر على الاخصائى النفسى ، على أننا ننصح الآباء والمعلمين والبالغين المحيطين بالطفل إتباع الارشادات الآتية لعلها تفيد فى علاجه قبل أن يستفحل الداء .

أولا — على الأباء العمل على فحص الصغير طبياً فحصاً دقيقاً حتى يتأكدوا من أسباب التبول اللإرادى ، فإن كانت جسمية حول الصغير إلى الطبيب المختص لعلاج نواحى الضعف البدنى .

ثانياً — إذا ما ثبت أن الطفل صحيح البدن وليس به أى اختلال عضوى ، كان السبب نفسياً ويحسن فى هذه الحالة استشارة اخصائى نفسى

الدراسة الظروف التى أدت إلى هذه الصعوبة ، فقد يكون السبب ولادة أخ صغير فى الأسرة أشعره بالغيرة و بعث فى نفسه الخوف من انصراف والديه عن محبته ، وقد تكون معاملة والديه له هى السبب ، وقد يكون كثرة تنازع الوالدين بعضهما مع البعض الآخر مما زعزع شعوره بالأمن سبباً فى هذه الحالة ، أو أن تكون تفريقهما فى المعاملة بين الاخوة . الخ ، فى هذه الحالة يمكن الاخصائى النفسى توجيه الأباء إلى مايجب عليهم عمله .

ثالثاً — يجب التذرع بالصبر فى معاملة الصغير وتجنب تعييره بهذا النقص وكثرة لفت نظره إليه . كما يجب تجنب عقوبته لأن العقوبة ستزيد الأمر سوءاً .

رابعاً — تشجيعه على استعادة ثقته بنفسه و بالدور الذى يجب أن يقوم هو به للتخلص من هذه العقوبة ، وافهامه انها بسيطة ويمكن التغلب عليها إن هو تعاون مع المعالج ومع والديه .

خامسا — مراعاة مواعيد تبوله وتقديم وعاء الأخراج له فى هذه المواعيد ، كما يجب أن يقدم له قبل النوم وعند الاستيقاظ مباشرة .

سادسا — تعويد الطفل ضبط نفسه نهاراً مدة كافية ، وذلك بالمباعدة بين أوقات ذهابه إلى دورة المياه للتبول .

سابعاً — منع تناول السوائل بكميات كبيرة قبل النوم ، وذلك حتى تساعده على عدم التبول أو على الأقل نباعد بين مراته ، و بذلك نعمل على أن يستعيد ثقته بنفسه تدريجياً .

ثامنا — تدفئة الطفل جيداً أثناء النوم وعلى الأخص فى الشتاء وفى ليالى الصيف الباردة نوعا ، فكثيراً ما تكون إصابته بالبرد سبباً فى التبول .

الفصل الحادى والعشرون

بعض عيوب النطق الشائعة

إننا نزعج حين نكتشف أن أحد أبنائنا الصغار يعانى من إحدى صعوبات النطق ولا يستطيع أن يعبر عن نفسه بسهولة والحق إن هذه المشكلة كثيرة الحدوث وقد تكون مجرد صعوبة عارضة أو دورا من أدوار النمو اللغوى عند بعض الصغار، إذ أن الطفل فى سنى حياته الأولى يتعلم النطق ويكتسب لغة قومه تدريجياً من الوسط المحيط به، ومن المحتمل أن يتعثر بعض الشيء قبل أن يسيطر تماماً على اللغة، على أن العى والتعثر والتهتهة كثيراً ما تكون عرضا من الأعراض السلوكية للطفل الذى يعانى صعوبة نفسية أو نقصا فى معدات النطق. ويمكن القول أن التعثر فى النطق يرجع إلى أسباب متعددة نذكر منها ما يلى:

١ — قد يتعثر الصغير فى النطق لأن عنده بعض النقص فى معدات النطق مثل اختلال أربطة اللسان أو عيوب الأسنان أو الشفة العليا أو عيوب التفكين أو سقف الحلق، فى هذه الحالات يمكن علاج عيوب النطق. إذا ما عولجت ناحية النقص علاجا عضويا.

٢ — قد ترجع عيوب النطق إلى ضعف السمع ضعفا جعل الصغير عاجزاً عن التقاط الأصوات الصحيحة للألفاظ ، ويزداد الأمر سوءاً إذا لم يكتشف هذا العيب فى سن مبكرة ، ويحضرنى فى هذه المناسبة حالة طفل حول إلى العيادة النفسية بكلية البنات وكان عمره حوالى خمس سنوات ولكن نطقه كان معايبا للغاية وبدراسته وفحصه طبيا اتضح أن السبب فى عدم قدرته على استخدام اللغة الصحيحة فى التعبير عن نفسه بوضوح هو ضعف سمعه وقد تحسن نطقه كثيراً حين عملت له السماعة اللازمة .

٣ — هذا ويرجع الكثير من عيوب النطق إلى ظروف البيئة وإلى تعلم عادات النطق السيئة وتنقسم العيوب التى ترجع إلى خبرات الصغير فى الوسط إلى نوعين :

(ا) عيوب ترجع إلى تعلم عادات النطق السيء

(ب) عيوب ترجع إلى عوامل نفسية

عيوب التعلم الخاطىء :

قد نلاحظ عند الصغير بعض عيوب النطق دون أى عيب بيولوجى فى اللسان أو الأسنان أو الشفة ، كما يحدث حين ينطق الصغير فى منتصف عامه الثانى وهو النطق الذى يسمى « baby talk » وقد يثبت

للبضع سنوات على طريقته الطفولية فى النطق إذا لم يعن البالغون المحيطون به بتوجيهه وتصحيح نطقه، ونذكر على سبيل المثال بعض العيوب الناشئة عن التعلم الخاطىء للنطق، التجاء الصغير إلى حذف مقطع أو حرف من الكلمة ذات المقطعين أو الثلاثة وغالبا ما يكون هذا المقطع وسط الكلمة فينطق « جزمه » « دزة » أو « بسوت » بدل « بسكوت » . كذلك قد يخفق فى تذكر كلمة صعبة سمعها مرات قليلة فيستبدل مقطعا بآخر أو حرفا بآخر فينطق « ضداد » بدل « براد » أو « أفصر » بدل أصفر .

عيوب ترجع الى عوامل نفسية :

النوع الثانى من عيوب النطق أخطر أثرا وأكثر تعقيدا ليس فقط لتعقد أسبابه وتنوعها وإنما لماله من أثر على اتجاهات الفرد وتكيفه الاجتماعى فى مستقبل حياته، ولهذا حظى هذا النوع بالشىء الكثير من البحث والدراسة، ويمكننا أن نميز فيه أنواعا مختلفة من العيوب اطلق عليها أسماء مثل التهتهه والعقلة والحبسة واللثغة والرته وغيرها، على أن كلمة(1) تهتهه أصبحت تستعمل فى الوقت الحاضر لكل أنواع صعوبات النطق ليس فقط فى اللغة العربية بل وفى اللغات الأجنبية أيضاً، وفيما يلى بعض هذه الأنواع .

(١) الدكتور عبد العزيز القوصى « أسس الصحة النفسية » الطبعة الرابعة ١٩٥٢ ص ٣١٣

العى Stammering

وفيه يعجز الفرد عن النطق بأية كلمة بسبب توتر العضلات الصوتية وجمودها ولذلك نرى الشخص العيي يبدو كأنه يبذل مجهودا جبارا حتى ينطق بأول كلمة فى الجملة ، فإذا تم له ما أراد نراه يندفع كالسيل حتى تنتهى الجملة ثم يعود بعدها إلى نفس الصعوبة حتى يبدأ الجملة التالية .

هذا النوع من عيوب النطق قليل الحدوث نسبيا ، وغالبا ما يتسبب من عوامل نفسية أهمها تحمل الموقف بطاقة انفعالية أكثر مما يمكن أن يتحملها المتكلم بسهولة .

التهتهة :

التهتهة من أكثر عيوب النطق شيوعاً ولذلك قد تطلق كلمة تهتهة ويقصد بها كل أنواع عيوب الكلام كما سبق أن ذكرنا ، وتبلغ نسبة التهتهة حوالى ١٪ من أطفال المدرسة فى المرحلة الأولى ، ومعناها أن يلجأ الصغير إلى تكرار الحرف الأول من الكلمة أو تكرار الكلمة كلها ، وقد تكون التهتهة مؤقتة أو مستمرة فهى مؤقتة إذا ما حدثت حين يتعرض الطفل لموقف له صفة انفعالية أعجزته عن استخدام اللغة بطلاقة بعد أن اختنق تأثراً ووقفت الكلمات على شفتيه، هذا النوع من التهتهة

يزول بمجرد انتهاء الموقف الذى أثاره ، وقد تكون التهتهة مستمرة إذا كانت عادة الطفل فى النطق الأمر الذى يقلق الآباء والمعلمين .

ويرجع ظهور التهتهة كعيب من عيوب النطق عند الصغار إلى أسباب متعددة نذكر منها :—

١ — الخوف من أهم العوامل التى تقود الصغير إلى التهتهة لما به من صبغة انفعالية قوية ومؤلمة لا يستطيع الصغير احتمالها ، كما يحدث حين يقف خائفا أمام والده الذى يهدده بعقوبة أليمة .

٢ — قد يكون سبب التهتهة عدم تمكن الصغير من اللغة تمكنا يجعلها فى متناول يده وطوع أمره فيسبق تفكيره تعبيره وتؤدى تزاحم الأفكار فى رأسه ورغبته الشديدة فى التعبير عنها إلى التهتهة بسبب قصور ما عنده من ذخيرة لغوية ، ولا عجب فذلك ما يحدث للبالغين حين يحاول أحدهم التحدث بلغة أجنبية لا يتقنها

٣ — كذلك قد يلجأ الطفل إلى التهتهة إذا طلب منه الكلام فى موضوع لا يفهمه معتمدا على الحفظ الآلى ، و بذلك تكون التهتهة وسيلته فى الكلام كلما ضاع منه اللفظ المناسب

هذا وقد عملت أبحاث متعددة لمعرفة العمر الذى تبدأ فيه التهتهة فى

الظهور نذكر منها بحث قام به[1] Blanton على ٤٠٠ فرد يتراوح أعمارهم بين ١٨ شهرا وثلاثين سنة واستخلص منه أن التهتهة أكثر ما تكون انتشارا حوالى سن ٢½ ، سن السادسة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الطفل فى سن الثانية والنصف يكون ميالا لدرجة كبيرة لتعضيد ذاته والانفصال عن والديه ، ويتخذ من التهتهة وسيلة لهذا التعضيد أما سن السادسة فهو فى العادة سن الالتحاق بالمدرسة والانفصال عن الأسرة وهو وقت من الطبيعى أن يشعر فيه الصغير ببعض التوتر أثناء انتقاله من محيط الأسرة المألوف إلى وسط المدرسة الغريب عليه .

أما بيرت وبوم[٢] ورتشارد سن فقد لاحظ كل منهم أن التهتهة تظهر فى أعمار مختلفة ، فيلجأ الطفل إلى التعثر فى كلامه بعد أن يكون قد استطاع أن يعبر عن نفسه بطلاقة ، وتتفق هذه الأعمار مع الأوقات التى يصطدم فيها بصعوبة من صعوبات التكيف للوسط ، فمثلا قد تظهر فى سن السادسة أو السابعة حيث يبدأ الصغير حياته المدرسية ، كما أنها قد تظهر فى سن الثالثة عشر حين يجد بعض صعوبات التكيف للوسط المدرسى فى المرحلة الاعدادية ، وربما ظهرت فى مرحلة الدراسة الثانوية لنفس السبب

(1) Blanton S, (1929) Speech disorder (M. n. Hyg) N. Y. Vol 13. p. 740–753.

(٢) دكتور عبد العزيز القوصى « أسس الصحة النفسية » طبعة ١٩٥٢ ص ٣٢٦ .

ويلاحظ أن البنين أكثر عرضة لصعوبات النطق من الإناث ولعل ذلك يرجع إلى أن استعداد البنات اللغوى فى العادة أكبر من استعداد الذكور كما ثبت من بحث Macarthy[1] .

هذا وقد ظهر من دراسة حالات العى والتهتهة وغيرها من صعوبات النطق إن هذه الأسباب فى العادة يصاحبها مظاهر سلوكية أخرى غير سوية مثل الشعور بالنقص والانطواء والحساسية الشديدة وسرعة الغضب والتحدى والاعتداء والجرأة غير المستحبة .

صعوبات النطق والتحصيل المدرسى :

تؤثر صعوبات النطق فى التحصيل المدرسى للصغير وعلى الأخص النواحى اللغوية ، ذلك لأن ما يعانيه من عيوب فى النطق قد يمنعه من أن يشترك فى أنواع النشاط التعليمى المختلف وعلى الأخص ذلك النشاط الذى يتطلب طلاقة لغوية ، أو يتطلب اشتراكا جماعياً . ويبدو الصغير فى هذه الحالة منطوياً مكتئباً هزيلا خصوصاً إذا كان حساساً لدرجة تجعل ملاحظات الزملاء العارضة لها وقع مؤلم عليه .

علاج التهتهة وعيوب النطق :

تعالج عيوب النطق وعلى الأخص التهتهة والعى فى عيادات خاصة

(1) Macarthy, D. « Language development of the preschool child » in (Child behavour & development) (1943) p. 116.

على أيدى مختصين أعدوا خصيصا لذلك ، ويحتاج العلاج عادة إلى مجهود كبير وإلى وقت طويل وصبر واناة من كل من المعالج والمعالَج ، على أن هذه المراكز الخاصة لا تتوفر دائماً فى كل الجهات ولهذا كان الواجب أن يوجه المعلم وتوجه الأباء إلى أتباع إرشادات وتوجيهات عامة لعلها تنفع فى علاج بعض هذه العيوب ، ويجدر بنا فى هذا المقام أن نشير إلى أنه لا توجد قواعد عامة يمكن تطبيقها فى كل الحالات . وإنما لكل طفل ظروفه التى لا بد من أخذها بعين الاعتبار بجانب الاعتبارات الأخرى .

ويلاحظ أن أهم نواحى العلاج هى أن ينجح المعالج فى مساعدة الصغير على أن يثق بنفسه ويثق بمقدرته على التخلص من عيوبه ، وقد يضطر المعلم أو الأباء إلى استخدام الإيحاء للوصول إلى هذه النتيجة .

يلى ذلك فى الأهمية مساعدة الصغير على ألا يكون متوتر الأعصاب اثناء الكلام حساساً لعيوبه فى النطق ، بل عليه أن يكون فى حالة تراخ ، ويمكن تحقيق ذلك بجعل جو التدريب جوا يسوده الود والوئام والتفاهم والثقة المتبادلة بين الصغير والشخص البالغ الذى أخذ على عاتقه مساعدته سواء كان المعلم أم أحد الوالدين ، هذا التراخى يقلل من تركيزه لانتباهه على عملية النطق فيقل تعثره ، ولهذا ينصح بعض المعالجين بحث الصغير الذى يعانى عيباً أو تهتهة على أن يدق بقدمه على الأرض دقات منتظمة أو

أن يقوم بتحريك يده حركة خاصة أو أن يخبط على فخذه بطريقة معينة حتى تقلل هذه الحركات من درجة انتباهه للنطق وصعوباته بدلا من تركيز انتباهه على الفكرة موضوع الحديث كما هو الحال عند السويين.

وإذا ما كان الطفل الذى يعانى من صعوبة النطق عصبيا قلقا متوترا كان على الآباء والمعلمين أن يعودوه على أن يتحدث ببطء وأن يتأنى فليس هناك مايدعو إلى العجلة، وألا يظهروا اهتماما خاصا بما يعانيه من جهد فى النطق، وأن يتذرعوا بالصبر ويقبلوا الصغير كما هو دون قلق حتى لا ينتقل قلقهم إليه فيزيد من توتره وصعوبته.

هذا ومن المستحسن استشارة إخصائى نفسى لدراسة ظروف الصغير البيئية والتى من الممكن أن تكون سببا فى تكوين صعوبات نفسية اتخذت صورة التهتهة، فإذا ظهر أن ظروفه فى الأسرة لم تكن مواتية وأنه يغار من واحد أخوته أو أن معاملة الأبوين لم تكن رشيدة، كان الواجب تغيير هذه المعاملة حتى تقتلع الأسباب النفسية التى تسببت فى عيوب النطق وهكذا نعالج نفسية الصغير جنبا إلى جنب مع عيوب النطق، أما إذا كانت الأسباب هى عدم قدرته على التكيف للوسط المدرسى فيستحسن تغيير الوسط المدرسى إلى مدرسة أخرى حتى يمكن أن يستعيد الصغير ثقته بنفسه ويتخلص مما يشعر به من نقص ربما كان سببا فى سخرية بعض زملائه منه، الأمر الذى يزيد فيما يعانيه من صعوبات وتعثر.

وأخيراً وليس آخر علينا أن نشجع المتعثر فى النطق على العناية بالتفكير فيما يقول وتحضيره قبل أن ينطق به ، فالتمكن من الموضوع يجنب الفرد التعثر وعدم التمكن منه قد يدفع السوى إلى التهتهة ، وهذه هى الطريقة التى كان ملك انجلترا السابق يعالج بها ما يعانيه من صعوبات فى النطق فاستطاع بذلك أن يقلل من التهتهة ما أمكن لدرجة خفيت على الكثيرين من سامعيه .

الفهرس

صفحة

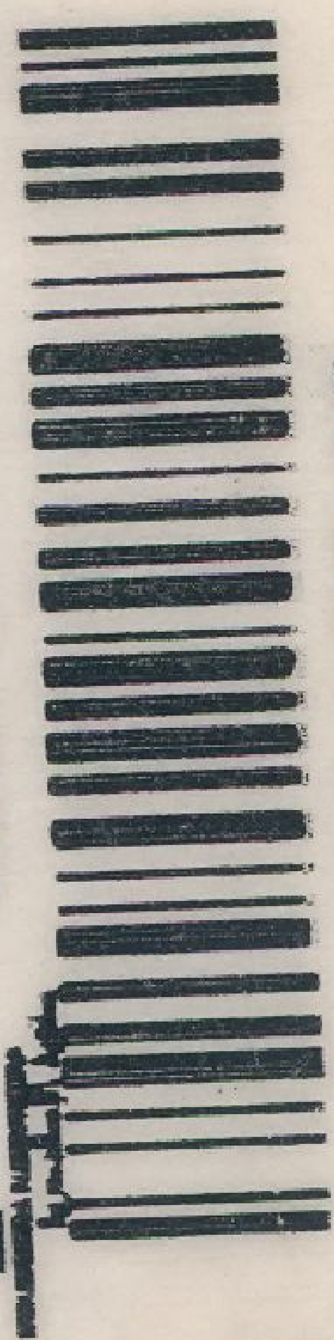
صفحة

صفحة

الباب الثالث

مشـكلات الأطفال اليومية

صفحة



مطبعة لجنة البيان العربي
٥ شارع مصطفى كامل – بالظاهر ت ٩٣٧٣٩

الثمن ٤٥